

أدب المحنة

أو

شعراء المحسن بن علي (ع)

تأليف

سيد محمد علي الحلو

فهرس المطالب

- الإهداء
- مقدمة
- تمهيد
- روايات الهجوم على الدار
- أخبار إسقاط المحسن (عليه السلام)
- شعراء المحسن بن علي (عليه السلام)
- السيد الحميري
- البرقي أبو محمد عبدالله بن عمار البرقي
- السيد المرتضى (قدس سره)
- علي بن المقرب
- القاضي النعمان ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد التميمي
- طلائع بن رزيك الملك الصالح
- الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن
- الشيخ مغامس الحلي
- الحر العاملي
- آية الله الحجة السيد مهدي بحر العلوم
- الحسن بن علي الهبل اليماني أمير شعراء اليمن
- الشيخ كاظم الأزري
- الشيخ جابر الكاظمي
- الشيخ هاشم الكعبي
- أحمد بن زين الدين الاحسائي
- الشيخ حسن الخطي
- الشيخ محمد حسن آل سميسم
- الشيخ سليمان البلادي البحراني
- الشيخ عبدالله العوي الخطي
- الشاعر حافظ ابراهيم
- الشيخ سلمان البحراني التاجر
- الشيخ علي بن الشيخ حسين بن محمد البلادي البحراني
- الحاج جواد بدقت
- الشيخ حسن بن محمد الدمستاني
- الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

- الشيخ صالح الكواز
- الشيخ عبد الحسين شكر
- الشيخ حبيب شعبان
- السيد عيسى الكاظمي
- العلامة السيد باقر الهندي
- الشيخ محمد الملا
- آية الله العظمى العلامة السيد محمد القزويني
- السيد مهدي الحلبي
- الشيخ أحمد آل طعان
- السيد حيدر الحلبي
- الشيخ جواد الحلبي
- الشيخ محمود سبتي
- الحاج مهدي الفلوجي الحلبي
- الشيخ كاظم آل نوح
- آية الله السيد صدر الدين الصدر
- السيد مهدي الاعرجي
- السيد خضر القزويني
- آية الله الشيخ علي الجشي
- عبدالله الخباز القطيفي
- آية الله الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء
- آية الله العلامة الحجة السيد محمد حسين الكيشوان القزويني
- الملا حسن الجامد القطيفي
- السيد صالح الحلبي
- آية الله العظمى المحقق الشيخ محمد حسين الاصفهاني
- الشيخ عبد الغني الحر العاملي
- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
- العلامة الشيخ حسن الحلبي
- العلامة الحجة الشيخ محمد علي قسام
- الشيخ قاسم محي الدين
- آية الله الحجة آية الله الشيخ عبدالله بن معتوق القطيفي
- الشيخ محسن بن شريف الجواهري
- الشيخ عبدالله الوائلي الاحسائي
- الشيخ محمد سعيد الجشي
- آية الله العظمى السيد مهدي الحسيني الشيرازي
- الشيخ ابراهيم المبارك

- الشيخ عبد العظيم الربيعي
- الشيخ محمد علي اليعقوبي
- الملا حسن بن عبد الله آل جامع
- آية الله السيد محمد جمال الدين الهاشمي
- الشيخ عبد المنعم الفرطوسي
- الشيخ عبد الحسين الحويزي
- محمود مهدي
- الشيخ يوسف محمد عمرو الوائلي
- حجة الاسلام الدكتور الشيخ أحمد الوائلي
- حجة الإسلام الشيخ عبد الستار الكاظمي
- المهندسة السيدة كوثر شاهين
- عبد الهادي المخوضر
- الشيخ جعفر الهلالي
- الشيخ محمد سعيد المنصوري
- الشيخ محسن الفاضلي
- الشيخ صالح الطرفي
- احسان محمد شاکر
- وللشيخ علي ابن الشيخ محمد آل سيف الخطي
- وللسيد رضا الهندي قوله
- لبعض الطالبين
- السيد علي بن أحمد بن ناصر الجد حفصي
- الشيخ محمد بن أبي ابراهيم آل عصفور
- لبعض المتأخرين
- لبعضهم
- لبعضهم
- الشيخ ياسين بن أحمد الصواف
- السيد عبد الهادي حفيد الميرزا الشيرازي



الأهداء

سيدتي فاطمة ..
أيتها الصديقة الشهيدة ..
يا أم المحسن الشهيد ..
كم يعجبك أيتها الممتحنة أن نتوسل إليك بهذه الكنية الحزينة ..
فانها مثار آلامك الأبدية ..
وإذا غابت عنا هذه الكنية بين
تداعيات الكتمان .. وانهزامية الخذلان ..
لأن "محسنتك"
حقيقة مضيعة .. وكوثر مهدور ..
فان فصول هذا الكتاب تذكرة لتلك الفاجعة المؤلمة ..
فاقبليني سيدتي في كتابي هذا
شاهداً على كل ما جرى لك من محن وبلاء ..
واليك يا سليلة الزهراء ..
شقيبتي الكبرى "العلوية أم حيدر"
فبينما أنا مشغول باعداد هذا الكتاب حتى جاء نعيك المفجع ..
سبع عجاف لم أرك أيتها البارة ..
فان محنتك ومحنة الاخريات من نساء العراق المثكول
امتدادات من محنة أمك فاطمة ..

مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على محمد وآله المنتجبين المهديين.

تُعد القصيدة الشعرية قراءة ناضجة لفترة تاريخية معينة، واستقصاءً رشيداً لملامح تلك الفترة ومعالمها، ولعل مقطوعة أدبية واحدة تُغني عن دراسة تاريخية مضنية، تدخل في حيثياتها نزعةً غير رشيدة، أو رشيدة إلا انها حذرة تخفي من ورائها معالم قضية سعى الكاتب إلى تجنبها حذراً، أو إخفاءها طمعاً.

والقصيدة الشعرية فضلاً عن ترسيم ملامح فترة زمنية، فهي تدافع هواجس تزدهم في صدر الشاعر ليخرجها مقطوعة أدبية تُعبّر عن طموحات تلك الفترة وآلامها.. أي أن القصيدة الشعرية هي تسجيلٌ لمشاهد حسية من محنة سياسية مرتجلة، أو عبثية سلطوية مقبّية حلت في الأمة وأسست منهجة حكم زحفت على الأمة لتستوعب كل فترات الزمنية، إذن فالقصيدة الشعرية مشاهدات واعية لفترة زمنية معينة كما انها قراءة ملحمية واعية يتجاوز بها الشاعر حدود المحذور، ويخترق من خلالها

الصفحة

6

حواجز الممنوع، لذا فهي تخبو عند أزمات سياسية معينة، وتتوهج عند انفراج سياسي معين، ومن هنا ظهرت أدبيات هذه الأزمات وأطلق عليها البعض "بالمكتمات الأدبية"، أي القصائد التي قيلت مكتومة الانشاء، مكتومة العنوان..

كانت قصيدة أعشى همدان (1) عينة جيدة للمكتمات الأدبية، وقد روتها المشاريع التاريخية تحت عنوان "المكتمات" فقد جاءت عبارة الطبري عند روايته لهذه المقطوعة بقوله: وكان مما قيل من الشعر في ذلك [أي في وثبة التوابيين وجهادهم ضد الحكم الأموي] قول أعشى همدان، وهي احدي المكتمات كنّ يكتمن في ذلك الزمان، ثم روى قصيدته كاملة (2). وتبعه على

1- قال أعشى همدان في قصيدة له يمدح التوابيين ووثبتهم ضد الحكم الأموي المنحرف، فمن قصيدته التي تسمى "بالمكتمات".

فاني وإن لم أنسهنّ لذاكرٌ	رزينةً مخبات كريم المناصبِ
توسل بالتقوى إلى الله صادقاً	وتقوى الإله خير تكساب كاسبِ
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها	وتاب إلى الله الرفيع المراتبِ
تخلّى عن الدنيا وقال اطرحها	فلستُ إليها ما حييتُ بأبِ
وما أنا فيما يُكبرُ الناس فقدهُ	ويسعى له الساعون فيها براغبِ
فوجههُ نحوَ النوية سائراً	إلى ابن زياد في الجموع الكبابِ
بقوم همُ أهلُ التقية والنهي	مصاليهُ أنجاد سرأهُ مناجبِ
مضوا تاركي رأي ابن طلحة حسبهُ	ولم يستجيبوا للأمير المخاطبِ

فساروا وهم من بين مُلتمس الثقى
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا
وآخرَ مما جرَّ بالأمس نائب
اليهم فحُسوهم ببيض قواضب
إلى أن يقول:

فان يقتلوا فالقتلُ اكرمُ مبيتة
وما قُتلوا حتى أثاروا عصابةً
وكل فتى يوماً لا حدى الشواعبِ
مُجِلين ثوراً كالليوث الصواربِ (3)
2- انظر تاريخ الطبري 4: 472 مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1939 م.
3- تاريخ الطبري 4: 274.

ذلك ابن الأثير في كامله بقوله عند روايته لقصيدة أعشى همدان حيث قال: قال أعشى همدان في ذلك وهي مما يكتّم ذلك الزمان (1). ثم روى قصيدته كاملة كذلك. إذن فالظرف السياسي قد أسس لوناً أدبياً خاصاً سمي "بالمكتمات"، كانت تعبيراً عن نفس مكتوم يُنفس الشاعر به عن هواجسه واحساساته، ثم هو خلاصة لتاريخ مقهور وحق ممتهن. وإذا كانت المكتمات الأدبية قد اختفت لفترة سياسية معينة ثم أظهرت المشاريع التاريخية وسجلتها الجهود الثقافية، فان "مكتمات أدبية" تعاني من قهر ثقافي لا زال متسلطاً على المشروع الأدبي، يكتّم أنفاسه أو يخفيه تحت معذرات تبريرية، كالحفاظ على وحدة الأمة وعدم الاثارة لتاريخ انتهى، لا حاجة لنا في اعادته، إلى غير ذلك من التبريرات الانهزامية التي تلغي تراثاً أدبياً وحقائق تاريخية، هكذا هي قصائد هذا الكتاب مكتمات دائمة لم يُرفع عنها المحذور، ولا تتمتع بحقها المسموع، تلغيها الجهود الثقافية، وتكتمها المشاريع التاريخية، فثقافة المأساة الفاطمية لا تزال تدخل تحت عناوين الحظر الأدبي الذي من خلاله أسست بعض المدارس الثقافية محاولات اخفاء تقليدية كانت جهودها منصبّة لمسح القضية التاريخية بحجة الحفاظ على وحدة الأمة وسلامتها من الانشقاق، علماً أن محاولات الاخفاء هذه هي أولى مراحل التفرقة والانشقاق لدى الأمة، أي تعيش الأمة بين الواقعية التاريخية وبين التمويه القصصي الذي يلتف على الحقيقة فتضطرب عندها الرؤية وتختلف من

1- راجع ابن الأثير في الكامل 3: 345 دار الكتاب العربي بيروت ط5 1985 م.

خلالها الافهام، فتنشأ بسببها مواقف الاختلاف و الفوضى.

هذه هي مكتومات هذا الكتاب، تحاول الخروج عن سلطنة المشروع الثقافي الذي صوّفها في عداد الممنوع، والانفلات من قبضة التقاليدات المفروضة على القضية التاريخية سواء كانت على أساس سردي، أو على شكل مقطوعة شعرية تخرج من بين مطاوي كتاب انفلت عن تقاليدات الممنوع، أو مشاريع ثقافية جزئية إلا أنها متناثرة لم تستقل بعنوان بل جاءت كترتيبات إندماجية تسترقُ الفُرصَ وتتحين المواقف.

لذا بدأت قصائد الكتاب من نصف القرن الهجري الثاني حيث استطاعت المشاريع الأدبية الشيعية أن تفتح على الاعلان عن مظلومية آل البيت (عليهم السلام) بحذر شديد، ظهرت ملامحه على نفس المقطوعة الأدبية التي تجرأت على هذا النمط الثقافي .
الاعلامي، لذا فان فترة القرن الهجري الأول قد حُجبت عن المشاركة في هذا المشروع الأدبي مع ما تملك من تراث أدبي فاطمي مقهور بين الاخفاء والتعتيم حتى أن المتتبع لأدبيات هذه الفترة لم يعثر من بعيد أو قريب على أدبيات فاطمية تحكي مظلومية الزهراء (عليها السلام) ومأساتها مع أن هذه الفترة لعلها أثرى الفترات الأدبية التي أظهرت مظلومية الزهراء (عليها السلام) وذلك لشواهد منها:

أولاً: أن المجتمع العربي مجتمع "تسجيلي" يهتم بأرشفة المواقف التاريخية في محاولات أدبية تتعدا القصيدة الشعرية، وتُظهرها أدبيات المشاهد الذي كان يُسجل الموقف في مخيلته الأدبية الشعرية.

ثانياً: كانت التكتلات السياسية عبارة عن طبقات شعرية تترصد أية

حادثة تتحفز من خلالها قريحتها الشعرية، وتتفجر عندها موهبتها.
ثالثاً: كان الاعلان عن الموقف السياسي المعارض أو المؤيد من خلال المشروع الأدبي الذي يتشكل على أساس المقطوعة الشعرية المتكونة من البيت الواحد إلى القصيدة حتى الملحمة الشعرية الكاملة.

وإذا كان الأمر كذلك فلا نعقل فترة سياسية مهمة مع ما صاحبها من وقائع دينية .
إجتماعية حساسة دون أن تُسجل مشاريعها الأدبية موقفها الواضح من الرفض أو التأييد.
إن مشاريع المكتّمات الأدبية شواهد تاريخية على خنق أي مشروع ثقافي رافض لتوجهات السلطة، أو معارض للانفلاتية الشرعية أو الخروقات التي يرتكبها النظام، ففي أي رحاب حر يمكن التعبير عن المعارضة السياسية إذن؟

وفي أي رحاب ثقافي مخنوق يمكن للمشروع الأدبي أن يتحرك من خلاله بحرية تعبيرية كاملة؟ هذا ما سبّب في حذف تراث شعري حاول اظهار خروقات السلطة الحاكمة وارتكابها لأفطع مظلومية جرت على آل بيت النبي الاطهار (عليهم السلام) التي كانت أهم عناوينها مظلومية الزهراء (عليها السلام)، حتى غدت مشاريع الأدب الفاطمي من أهم مكتمات تلك الفترة التي تورّط حتى من حاول اظهار المكتّمات الأدبية، في اخفائها، فالطبري ومثله ابن الأثير وغيرهم الذين حاولوا اظهار هذه المكتّمات وتسجيلها في مشاريعهم الأدبية لم يجرؤا على رفع الحظر المضروب على المشروع الأدبي الفاطمي الذي حدد معالم تلك الفترة السياسية ونقل صورة المأساة.

إن كتابنا الذي برّج أعماله من القرن الهجري الثاني دون إدخال القرن الهجري الأول في مشروعه دليل آخر على مكتمات تلك الفترة القاسية وما تعرضت له من محاولات اتلافية فنية دقيقة حاولت الغاء فترة ثقافية وشطب جهد أدبي كبير. هذا ولعل الظرف السياسي المترخي هو الذي أباح للسيد الحميري أن ينشر مكتماته حتى تبعه أهل عصره فأذاعوا منها طرفاً، وأشاروا إليها نتقاً. فكانت القصيدة الحميرية فاتحة عهد لأن تتنفس مكتمات الأدب العربي لتحال إلى اطروحات فكرية فضلا عن كونها اطروحات سياسية متحدية. هذه هي الأسباب التي دعت أن يتخطى الكتاب من القرن الأول الهجري إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الذي تفجرت فيه المكتّمات الأدبية إلى صيحات ثورية حقيقية.

كانت مسألة الاسقاط التي تعرضت اليها السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام)، من أهم ملامح تلك الفترة السياسية الواثبة على حقوق آل البيت (عليهم السلام)، حيث أظهرت خطورة الموقف السياسي الحاد الذي سحق من خلاله كل الاعراف الدينية والاجتماعية مدى استعداد القوى السياسية إلى قلب المعادلات والثوابت، لذا جاءت مسألة الاسقاط، قراءة واعية لفترة سياسية عارمة بكل توجهاتها السلطوية المقيتة، فلم تقف في طريقها أية مرتكزات دينية أو أعراف اجتماعية، فكان الكتاب مشروع أدبي أظهر معالم هذه الفاجعة المؤلمة، وامتد هذا المشروع ليشمل حتى القصائد التي تحدّث عن مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) دون التصريح بمسألة الاسقاط لأسباب سياسية صرفة.

استطاع هذا المشروع أن يؤسس غرضاً شعرياً مستقلاً، اطلق عليه "بالأدب المحسني" الذي من خلاله أمكن تحديد ملامح هذا الأدب ومعالمه. ان استقلالية الأدب المحسني بشخصيته المستقلة، أرفد الدائرة الأدبية بالجهود النهضوية الذي ينتمي إليها الأدب الشيعي يوم أسس الأدب الحسيني فصارت إليه شخصيته المستقلة ومعالمه المعروفة، ولعل أهم ما حققه هذا المشروع هو أرشفة الأدب المحسني وحفظه في مشروع خاص يمكن أن يكون فاتحة عهد جديد لمشاريع أدبية محسنية جديدة تتبناها جهود تحقيقية أخرى لتسد ثغرات هذا التأسيس وتزيد من دراسته دراسة تحقيقية تاريخية. ان محاولتنا هذه اجابة لكل تخرصات المشاريع التبريرية التي حاولت الشطب على فترة تاريخية مقدسة من التراث الإمامي، وتقنيد لكل التخرصات المتدافعة بين واقعية الحدث وبين رغبة التثقيف الساذج، فهو إذن، قراءة واعية لفترة زمنية أخفتها المحاولات التثقيفية المضادة، التي لم تستطع الصمود أمام واقعية الاحداث الإسلامية الجلية.

قم المقدسة

في الأول من ربيع الأول 1418 هـ
محمد علي السيد يحيى الطلو

تمهيد

كل شيء لم يعد على حاله، فالشمس المشرقة المرسله بخيوطها الذهبية الصفراء تبعث باحزانها اليوم منكسفة كئيبة.. والسماء الزرقاء الصافية تجلجل بدوي صامت يبعث على فزع مذهل يلف أهل المدينة وقد عمَّ الخبر أرجائها.. "النبي قد مات، النبي فارق الدنيا،

النبى التحق بالرفيق الأعلى.. " صحبة تأخذ بأهلها إلى حيث الأبعاد المجهولة الحزينة..
والعاصفة الحمقاء تبعث بزوابعها حتى تكاد تقتلع الأرض ومنَّ عليها..وكأن الأرض غير
الأرض، والسماء غير السماء، والناس.. الناس أولئك الذين تحدقوا حول رسول الله (صلى
الله عليه وآله) يتبارون في الدنو منه ويفتخرون بالقرب له ويتنافسون من صحبتهم إليه
يفترقون اليوم في أحياء المدينة وشعابها، فالانصار أولئك الذين تدافعوا على قريهم من
رسول الله (صلى الله عليه وآله)وقدموا له كل غال ونفيس يتحلقون اليوم حول سيدهم سعداً
في مسجد النبي(صلى الله عليه وآله)يتشاورون في أمر البيعة..و الأوس منهم ينخرطون
إلى سيدهم أسيد بن حضير وهو يثبُط الانصار عن سيد الخزرج سعداً منافسة منه لسعد
ليقول لأوس الانصار "والله لئن وليتها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا
لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فبايعوه فانكسر على سعد

والخزرج ما أجمعوا عليه (1)، وفي الخزرج من قام خطيباً ليقول.. نحن الانصار وكتيبة
الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت الينا دافة من قومكم فاذا هم يريدون أن
يغصبونا الأمر(2).. فقام أبو بكر وقال: يا معشر الانصار إنكم لا تذكرون فضلا إلا وأنتم
له أهل وأن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، هم أوسط العرب داراً ونسباً، وقد رضيت
لكم هذين الرجلين وأخذ بيد عمر وأبي عبيده بن الجراح.. وكان أبي بكر استجد بعصية
الانصار يوم أثاروها قبليةً بين حيين تُقاتلُ أوسها خزرجها، وتبغى خزرجها على أوسها بغياً
يوجب منها هناك العصمة وخذلان الحرمة، فلما جاء النبي (صلى الله عليه وآله) آخى
بينهما فماتت تلك العصية الرعاء.. ولعل أبا بكر أعوزته الحجة فأثار غبار تلك العصية
التي لا زالت تزكم أنوف الحيين.. فأى العرب لا ترضى هذا الأمر إلا في قريش؟ وأي منها
تخولها القبلية حتى لا تختار إلا من أوسط العرب داراً ونسباً؟ فان كان الأمر كذلك فبنو
هاشم أحق بحجة أبي بكر، وآله أولى بمقالته، ولعل أبي بكر أراد أن يُخمدَ أنفاس الانصار
الذين إشرأبت أعناقهم ليروا أنهم أحق بالأمر منه ومن غيره فقد قال فيهم رسول (صلى الله
عليه وآله) الانصار شعار والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا وادياً أو شعباً واستقبلت
الانصار لسلكت وادياً وادي الانصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار.
ولعل الانصار لم يقبلوا بمقالة أبي بكر ولا يرضوا من أنفسهم منافسه الأمر أهله، فلم
يغب عنهم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) في علي: يا معاشر الانصار،

ألا أدلكم على ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي، فان جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل (1). فكيف بعد هذا كله ينافسون علياً وقد أفضى رسول الله بالأمر إليه، فالיום هو الثامن والعشرين من صفر للسنة الحادية عشر من الهجرة وحادثة الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة الحرام لسنة عشر، شهران ونصف بين وفاة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وخطبة حجة الوداع من غدير خم وقد اجتمع المسلمون بما فيهم الانصار والمهاجرون وغير الانصار والمهاجرين ممن حضر محط رسول الله (صلى الله عليه وآله) رحاله في غدير خم ليعتلي رحله ويأخذ بيد علي بعد أن قال: أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب واني مسؤول وانكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون، قالوا نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حقا وأن الموت حق وأن البعث حق عبد الموت وأ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قالوا بلا نشهد بذلك، قال: اللهم أشهد ثم قال: يا أيها الناس ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم قال: يا أيها الناس أني فرطكم وانكم واردون على الحوض حوض المرض مما بين بصري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضه، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما، الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرقه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا

ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض (1).

هكذا أشهدهم على أنفسهم وشهدوا على أنفسهم أنه قد بلغ خير تبليغ وسمعوا مقالته ووعوها، فكيف لهم أن يستبدلوها بمقالة أبي بكر حتى يذكّرهم بعصبيتهم التي طحتهم سنين عجاف؟! وما أن أنهى أبو بكر مقالته هذه حتى تقدم إليه عمر فقال له: ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعه وبايعه الناس بين مغلوب مقهور كسعد وخزرجه وقد خرج من المسجد مغاضباً لم يبايع، وبين معاند حاسد لخزرج سعد وسيدهم، كأسيد بن حضير من الأوسيين الذين تحركت فيهم حمية الجاهلية فذكّرتهم بدمائهم التي لا زالت لم تجف بين خزرجها وأوسها من الانصار..

فتدافعوا لبيعة أبي بكر حرصاً منهم على أن لا يكون الأمر في سعد يوم كان خصمهم تقائلهم نزعة الحيين القبلية، فاخترت أسيد أبا بكر على منافسه سعد، وذهبت به العصبية على أن يخرجها من أهله الانصار المدنيين ليضعها في أهل المهاجرة من المكيين، وهكذا عرف أبو بكر كيف تُتكا جراحات الحيين بعد أن "عافاها الله" لتلئم بحبه وحب رسوله (صلى الله عليه وآله)، وإذا استطاع الخليفة أن يغلب الحيين من المدينة لينتزعها لعصيته فإن أبا سفيان قد يؤس من الأمر وهو السيد المطاع في قومه قد رأى أن الأمر يتلاقفه أقل حي من قريش . كما عبّر هو بقوله . فان أبا بكر لم يرغب عنه أن يتغلب على نزعة أبي سفيان الذي قال لعلي والعباس: ما بال هذا الأمر في أقل حي من

1- المراجعات للسيد عبدالحسين شرف الدين رواه عن الطبراني والحاكم والنسائي ومسنده أحمد بن حنبل وغيرهم. راجع المراجعات: 164 وما بعدها.

قريش، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً، ثم أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنني لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أمورك.. ولما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: مالنا ولأبي فصيل انما هي بنو عبد مناف.. فقليل له: أنه قد ولى ابنك، قال: وصلته رحم(1).

إن لم يرغب عن أبي بكر مناورات السياسة لدى أبي سفيان ومساوماته في الحكم والامارة، ولم يخف على أبي سفيان وغيره أن الأمر يكون في أوسط العرب داراً ونسباً . كما احتج أبو بكر نفسه على الانصار . فكيف والحال هذه يتقدمهم أبو بكر وهو في أقل حي من قريش؟ وليس أبو سفيان وحده قد احتج بتأخر أبي بكر عن أحياء العرب فان أبا قحافة

حينما سمع ابنه أبا بكر يصيح بوجه أبي سفيان، دنا من أبي بكر وقال له: أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق الله؟ وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية لقد تعديت طورك وجزت مقدارك(2).

هذه نزعة القبلية الجاهلية التي احتج بها أبو بكر على الانصار وأثار غبارها في وجوههم فقد واجهته اليوم حتى من أقرب الناس إليه من أبيه وغير أبيه، فقد تسرع أبو بكر بحجته هذه، فالحجة عليه ان لا على غيره، فقد حاج نفسه بنفسه، ورمى بكنانته على صدره، وأحدث عليه فتقا لا يرتقه هو ولا غيره، فان في المسلمين من هو أقرب منه حساباً ونسباً، ولم يرغب ذلك عن ذهن أبي بكر فانه ارتكز في نفسه وعند غيره أن في القوم لرسول الله أقرب حساباً، وإليه أقصر نسباً، فبنو هاشم عصبته وحامته وحشاشته، وعلي فيهم خير من عرفته قريش وغير قريش، أول من أسلم،

1- تاريخ الطبري 3: 902.

2- مروج الذهب 2: 314.

وخير من جاهد، وأكرم من آخى، ولم ينكر ذلك أبوبكر، فقد احتج عليّ بذلك معاتباً واستنكر على أبي بكر مغاضباً، قال المسعودي. لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة، خرج علي فقال أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع حقاً، فقال أبو بكر: بلى ولكني خشيت الفتنة..(1).

فأي حق قصده عليّ في محاججته وأي اعتراف أذعن إليه أبو بكر في جوابه؟ ألم يكن أبوبكر قد أخذ البيعة عن رضا المسلمين؟ فلم لا يحتج بذلك على علي وعلى غير علي؟ ولم أذعن لمحاججته إذن؟ فاعترف له بحقه واعترف أنه لم يرع له ذلك الحق؟ أهو حق المشورة وقد احتج الآخرون أن البيعة قد أخذت باجماع المسلمين؟ فأين كان عليّ وغيره من الهاشميين إذن؟ أم هو حق الخلافة للأقرب حساباً والأقصر نسباً كما احتج أبو بكر على غيره من الانصار؟ وهل ينكر أبو بكر أن في المسلمين أقرب من علي في حسبه؟ فهو ابن أبي طالب شيخ البطحاء، قد دانت له الرقاب وأذعنت لسيادته العرب، أم ينكر أنه أقصر نسباً من رسول الله فهو ابن عمه وختته على ابنته؟ وغير هذا وذلك فان علياً أعلم الناس وأشجعهم وأزهدهم إلى غير ذلك من صفات الامامة ولياقات الخلافة.

فقد قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم

1- المسعودي مروج الذهب 2: 703.

الصفحة

19

فليأت بابيه (1) وهو أشجعهم فعن أبي رافع قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية في غزوة أحد أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم وقتل عمر وبن عبد الله الجمحي، قال: ثم أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبه بن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبرئيل: يا رسول الله أن هذه للمواساة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انه منى وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي (2)

وهو أرهدهم حتى قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي ان الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب اليه منها، زهدك فيها وبغضها إليك.. (3) ولم ينكر أبو بكر ولا غيره فضل علي وفضيلته، ولم يسع لأبي بكر إلا أن يُجهزَ على الاحداث المتسارعة في غير صالحه، فان الأمر لا يدرك إلا بأخذه سراعاً، وأن الفرصة لا تعود إلا بالتسلل في الخفاء مرة وبالوثوب أخرى، فان الذي يطلب أمراً كأبي بكر لا يهون عليه تركه دون أخذه بأي حال، فان الامور لم تستوسق له والناس أهالهم ما أقدم عليه أبو بكر وأصحابه: فان للمهاجرين والانتصار يوم السقيفة خطب طويل ومجازبة في

1- أسد الغابة لابن الأثير 4: 44 دار احياء التراث العربي - بيروت.

2- تاريخ الطبري 2: 514 دار سويدان بيروت.

3- رواه ابن الاثير في أسد الغابة 4: 23 والعلامة الحلي في كشف اليقين: 85 وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي.

الصفحة

20

الامامة (1)، وأي خطب أعظم من وثوب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) على آله وخاصته، فان المسلمين قد سمعوا ما سمعه أهل السقيفة، وأدركوه ووعوه، حتى قال

قائلهم بعد حين: ان بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها.. (2)
وأى فلتة هي أشر من تخطي الأمر أهله؟ وهل غاب عن عمر وغيره من المسلمين قوله
يوم ذاك لعلي: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة؟ يوم
قال النبي(صلى الله عليه وآله) في غدير خم: أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من
أنفسهم؟ قالوا بلى فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه،
فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى
كل مؤمن ومؤمنة..(3).

هذا ما اختزنه ذاكرة الانصار والمهاجرين، فالمشاهد لم تغب، والاحداث لم تنس بعد،
فأى أمر يقره المسلمون لأهل السقيفة عند ذاك؟ وما الذي يفعله أهل السقيفة وقد رأوا
المسلمين قد أنكروا عليهم غير أخذهم بالقوة خوف أن تُفقد الأمور من أيديهم فتقلب
عليهم، وهل لمن أراد الأمور كمثلهم إلا أن يعاجلهم؟ فمديده عمر إلى أبي بكر للبيعة وتبعه
على ذلك أبو عبيده بن الجراح تحزياً، ولحقهم أسيد بن حضير تعصباً وانكفاً الآخرون
يرتطمون بمبايعته تخاذلاً، وإلى ذلك أشار عمر بقوله: إنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من
بيعة أبي بكر خشيت ان فارقت القوم ولم

1- المسعودي مروج الذهب 2: 703.

2- الكامل لابن الأثير 2: 221 دار الكتاب العربي.

3- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 40 مؤسسة الأ علي بيروت.

تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى به وإما أن نخالفهم
فيكون فساداً..(1) إذن فأهل السقيفة بين محذورين، بين أن يكونوا تابعين وقد خرج الأمر
من أيديهم، وبين أن يكونوا متبوعين وقد دانت اليهم رقاب العرب واشربت لهم أعناق
الناس، فان تركوا الأمر إلى أهله وقد أفضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى وصيه
علي يوم قال من كنت مولاه فعلي مولاه حتى أقر له عمر بالامارة فقال له هنيئاً لك يا ابن
أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، فقد صاروا تابعين لأمر الله ورسوله
وتركوا الأمر راضيين مرضيين في عين الله ورسوله، وان أرادوا الأمر في حوزتهم فليس
غير الوثبة على أهليهم من الانصار والمهاجرين وغير الانصار والمهاجرين من الهاشميين
وان كان فيهم علياً، فلانسحاب من الأمر إذن تبعاته وهو التخلي عن سلطان السيادة

والامارة، ونزعة القبلية وسلطانها لا تزالان تتازعان نفوس قوم كثيرين، وللوثبة تبعاتها وهي ارتكاب الامور مخالفةً والتعدي على غيرهم مجازفةً وحساب العواقب شططاً، وماذا عليهم لو خالفوا الامور وجازفوا في التعدي وشطّوا في العواقب، فان الذي يطلب الأمر مثلهم لا يهوله ذلك فانها شقشقة تهدر ثم تقر، والمهم أن يكون الأمر في حوزتهم، فاذا فرغوا من أمر سعد وأخرجوه من المسجد مغاضباً لم يبايع، فان الأمر في علي ليس كذلك، فالبيعة لأتمم إلا في علي وآل علي، والامور لا يقر قرارها إلا في مجابهة أية معارضة تقف في طريقهم الآن، وهل أقوى معارضة من علي قائماً أو قاعداً؟ ففي قيامه لصددهم فرط الأمر من أيديهم، وفي قعوده دون مبايعتهم معارضة صامته لا

1- الكامل لابن الأثير 2: 222.

يؤمنون من وثوب من بايعهم بالأمس أن يرجع اليوم عنهم فيثب عليهم وينقلب عن أمرهم، أليس بشير بن سعد وهو أول من بايع من الانصار حين سمع نداء علي اعتذر وندم على فعلته حتى اعتذر لعلي أن الناس لو سمعوا منك كلامك ما اختلف عليك اثنان(1) أي أن الامور كانت تنذر بالانقلاب بين الحين والآخر فيفرط الأمر من أيديهم، وتتفلت قيادها عن حوزتهم، فما العمل إذن وعلي في بيته تحيط به انصاره وقد رغبوا عن بيعتهم، وماذا يعتذر أهل السقيفة غداً لو أن علياً وغيره من وجوه الصحابة قد كفوا أيديهم عن مبايعتهم وتجهزوا للقائهم بالحجة والبرهان؟ وحاجوهم أن الأمر أخرجوه من بيت محمد إلى بيوتهم فنازعوه سلطانه ووصفوهم بالنكوص والخذلان؟

فليعاجلوا علياً اذن وليأخذوا البيعة منه قهراً وغلبة، أو طوعاً وانصياعاً، ومعلوم أن الحق لا يذهب سدى ولا يخذله أهله كما أنه لا يخذل أهله، فعلي لم يبايع اذا خلي هو ونفسه، وانه لم يرض إذا ترك لسبيله، فان السقيفة العارمة تسحق كل من يقف في وجهها اليوم بالقهر والغلبة، وتسالم كل من أيدها بالطوع والانصياع، فانه الانقلاب الذي يسحق كل شيء ويثب على كل شيء. فمن هو علي في مفهوم الواثين على الأمر غلبة وقوة؟ ومن هذا وذاك وأولئك اذا توقف إنجاز المجازفة على سحق كل الثوابت والمسلمات؟ فانها الغلبة وانها المعاجلة وانها الخدعة، فليعبروا عنها ما يشاؤون فان باب الاعتذار واسع بعد ذلك، ومحاولات التبرير سخية، وليقضوا أمرهم ثم فليكن ما يكون.

وإذا كانت الأمور كذلك فما الغرابة من دخول القوم بيت علي؟ وإذا كانت فاطمة حبيبة رسول الله وبضعته قد استقبلت القوم بالتوبيخ على ما خلقوا نبيهم في عترته، فما الذي يمنع القوم من أن يتموا مهمتهم العاجلة بعد ذلك ليطالبوا علياً بالبيعة وإلا حرقوا عليه الدار، وإن كانت فاطمة فيها، فمن هي فاطمة في سنة القوم؟ أليس هو الانقلاب الذي يتطلب الاجتهاد على أية حركة تصده؟ وهل غير المجازفة العسكرية التي تأخذ بالقوم إلى أبعد من ذلك ليضربوا فاطمة ويسقطوا ما في أحشائها ويباغتوا علياً وأصحابه بالدخول؟ فالوقت لا يسمح بالتأمل في عواقب الأمور، والمجازفة لا ترتضي التسامح في القرارات، فاما النصر على حساب المبادئ والاعراف، وأما الهزيمة على حساب السلطة والجاه.

هذه هي السقيفة، وهذه تحركاتها، فهي إذن حالة طبيعية في أعرف الانقلابات العسكرية والمناورات السياسية، وهي طبيعية إذن في مفهوم الوثوب على قضية لم يُدعَ الناس لها، فالثوابت لا زالت هي نفس الثوابت التي درج عليها المسلمون، والاعراف هي نفس الاعراف التي أدعن إليها المسلمون، والذاكرة لم تُغيّرْها الخطبُ والمهاترات، والجدال وتزويق الالفاظ لا يلغي ما ارتكز عند المهاجرين والانصار من النصوص الواضحة الجلية، ففي علي حفظ كل المسلمين وقائع الاستخلاف، وفي علي روى كل واحد منهم منقبةً أو فضيلةً، وفيه جرت على يد كل منهم مكرمة نبوية جلية، فكيف والحال هذه يقنع المسلمون الخلافة في غير علي، وكيف بعد ذلك كله يأخذ المسلمون من غير علي أحكامهم وقد شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) له بالقضاء والعلم والزهد والشجاعة ومن ثم شهد له بأنه يحب الله ورسوله كما يحبه الله

ورسوله؟ هذه هي حيثيات أحقية علي للخلافة، شهادة الكل بأنه إمام الكل، وتلك هي حيثيات الانقلابات العسكرية، تحرك سريع من السقيفة إلى المسجد حتى دار علي، تشاور سريع ومباغنة الانصار لأخذ البيعة، وهجوم الدار لاجراء علي مبايعاً قهراً وغلبةً.

ساعات عدة لينتهي كل شيء، ويُغلق كل شيء، ويعطل كل شيء، فلا معارضة
الزهريين، ولا مماثلة الأمويين، ولا شقشقة الانصار، فالزهريون دخلوا تحت مظلة الشيخين
لينتهي الأمر بعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص تابعين ضعيفين قد رضيا الخلافة
دون علي بن أبي طالب، والأمويون قد أخذوا نصيبهم من الامارة بعد توعيد وتهديد أبي
سفيان حتى ولي ابنه امارة، فدعى لهم وأيدهم وأقر ما في أيديهم، والانصار هدرت شقشقتهم
بعد خذلان أسيد بن حضير باخوانه الخزرج ليخرجها من أيديهم منافسة، فنكصوا الخزرج
عن سيدهم سعداً وانقادوا لمنافسهم أسيد جهلاً وتغريراً.

هذه هي الحالة العامة الهائجة المائجة في المدينة، وهذه هي الحالة العامة من الخذلان
والنكوص لتلك الاحياء التي سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصه في علي
واستخلافه له، فقد تخاذل الناس عنه، وقد توازر القوم عليه، فما الذي يمنع هؤلاء الذين
ارتبط مصير مهمتهم ببيعة علي وبسط يده اليهم، وهل في أعراف المناورات السياسية غير
معالجة علي ومن امتنع مثله من أصحابه بأخذ البيعة قهراً وغلبة حتى لو كلف الأمر
اقتحام الدار، أو تطلب الأمر تهديدهم بالقتل مرة وبلا حراق أخرى؟ وهل يمنع القوم حرمة
علي في داره أو يمنع القوم وقوف بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وجوههم
تعذّ لهم علي ما

ارتكبه وتوبخهم فيما هم أقدموا عليه؟ وفي أعراف العرب وتقاليدهم أن المرأة لها
حرمتها ولها كرامتها ان هي استغاثتهم أو سمعوا نجاتها، والشهامة العربية لا ترتضي من
أصحابها أن يققوا في وجه امرأة رحمة بضعف حالها، فكيف بابنة رسول الله (صلى الله
عليه وآله) وقد خرجت تصدهم عن علي وقد أحرقوا به ليخرجوه قهراً أو يقتلوه وأصحابه،
وتذكروهم بأن للبيت حرمة وللمرأة المصابة كرامتها، فكيف ببيت الوحي ومهبط الرسالة؟
وكيف بحرمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكرامة بضعته؟

فحسبت فاطمة أن في خروجها استتجافاً بهذه الاعراف الانسانية واستنهاضاً لتلك التقاليد
العربية من أن تضام المرأة أو تنتهك حرمتها، أو تمنع الآخرين من اقتحام الدار درأً للفتنة
وتطبيباً للخواطر، إلا أن القوم لهم حساباتهم فان الفرصة مؤاتية لأخذ البيعة وأي تأخير أو
تردد أو تراجع سيقبل الأمور في غير صالحهم فهل بعد هذا إنتظار؟ وهل بعد هذا تردد
وتراجع؟

إذن فخرج الزهراء للقوم كان عملاً بمقتضيات النجدة والمروءة، تصد القوم وتمنعهم نوداً عن علي واطفأً للنائرة، أمله أن ينسحب القوم وقد ردتهم أعرافُ النخوة والشهامة، وكان هجوم القوم عملاً بمقتضيات المعالجة العسكرية ومناورات السياسة فأبى تأخير أو تردد في أخذ البيعة من علي سيُسقط الأمر من أيديهم وتتقلب العواقب بما لا يحمدوها. وإذا عرفنا ذلك عرفنا ضرورة الأقدام على أي إجراء من شأنه ضمان انجاح عمل القوم في تضييع الفرصة على علي وعلى غير علي، وضمان اسكات أية معارضة من شأنها أن تُعرق عمل الانقلاب على أقل تقدير إن

هي لم تستطيع أخذ الأمر لنفسها . ففي أعراف الانقلابات العسكرية معالجة الأمور قبل نتائجها، والعمل على أساس أسوأ الاحتمالات، لذا فقد جاء عمل القوم على أساس الحسابات العسكرية، لا على أساس الأعراف التقليدية، وفرق بين هذا وذاك، فالحسابات العسكرية لها حيثياتها المذكورة آنفاً، والاعراف التقليدية لها حيثياتها المذكورة آنفاً، فمن السذاجة الخلط بين الانقلاب العسكري الذي يسحق كل شيء، وبين الاعراف الاجتماعية التي تتطلب التأني في كل شيء، وعلى هذا الأساس الذي أوردهنا جاءت الروايات التاريخية عن طريق الفريقين كلها تورد الحادثة بمضمون واحد، إلا أن الذي يفرق بين الإثنين أن بعضها تورد الحادثة مع تبريرات اعتذارية تحفظ قداسة القوم، والأخرى تورد الحادثة على أساس مقتضيات الظرف السياسي المرتجل الذي عاجل الأمة وأربك وحدتها، ولا يهمنها بأي المسلكين نأخذ، إلا أن المهم هو صحة الحادثة وورودها من قبل الفريقين. فروايات الهجوم على الدار واسقاط المحسن سنوردها عن طرق الفريقين تاركين تمحلات الاعتذار والتبرير لمن يسلك هذه الطرق الوعرة على حساب الواقعية والموضوعية.

روايات الهجوم على الدار

أولاً: ما ورد عن طرق الامامية..

1 . كتاب سليم بن قيس:

أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، قال: كنت عند عبد الله بن عباس في بيته، و معنا جماعة من شيعة علي (عليه السلام) فحدثنا، فكان فيما حدثنا أن قال: يا أخوتي! توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا، وأجمعوا على الخلاف...

إلى أن قال... فانطلق قنفذ، فأخبر أبا بكر، فوثب عمر غضبان، فنادى خالد ابن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي (عليه السلام)، وفاطمة (عليها السلام) قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبي طالب! افتح الباب.

فقال فاطمة: يا عمر! أما تتقي الله عز وجل، تدخل علي بيتي وتهجم على داري؟ فأبى أن ينصرف.

ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت:
يا أبتاه! يا رسول الله!..(1)

2 . كتاب سليم بن قيس كذلك:

عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس قال: سمعت سلمان الفارسي، قال:... فقال عمر لأبي: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فانه لم يبق أحد الا قد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة؟

وكان أبو بكر أرق الرجلين، وأرفقهما، وأدهما، وأبعدهما غوراً، والآخر أفظهما وأغلظهما، وأجفاهما. فقال أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً، وهو رجل فظ، غليظ، جاف من الطلقاء، أهدبني عدي بن كعب.
فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً وانطلق، فاستأذن على علي (عليه السلام) فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا.

1- كتاب سليم بن قيس: 249 منشورات دار الفنون بيروت 1400 هـ - 1980 م قال النعماني في غيبته: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة (عليهم السلام) خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الاصول التي رواها أهل العلم من حملة حديث أهل البيت (عليهم السلام) وأقدمها لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة اليها ويعول عليها.. (*)

*- كتاب الغيبة: 101 محمد بن ابراهيم النعماني مكتبة الصدوق طهران.

فقال: إذهبوا، فإن أذن لكم، والا فادخلوا عليه بغير إذن:

فانطلقوا فاستأذنوا. فقالت فاطمة (عليها السلام):

أُحرِّج عليكم أن تدخلوا عليّ بيّتي بغير إذن.

فرجعوا، وثبت قنذ الملعون، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا، فتخرجنا أن ندخل بيّتها

بغير إذن.

فغضب عمر، وقال: مالنا وللنساء. ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا

الحطب وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابناهما(1).

ثم نادى عمر حتى أسمع علياً (عليه السلام) وفاطمة:

والله لتخرجنّ يا علي، ولتبايعن خليفة رسول الله، والا أضمرت عليك.

فقالت فاطمة (عليها السلام): يا عمر مالنا ولك؟

فقال: افتحي الباب، والا أحرقنا عليكم بيّتكم.

فقالت: يا عمر أما تتقي الله، تدخل عليّ بيّتي.

1- هنا تعارض بين التكليف الشرعي الذي لا يحل لأحد أن يدخل دار أحد دون إذنه، والاعراف الاجتماعية التي تفرض على الرجل أن يتخرج من التعامل مع امرأة بالعنف والقسوة، وبين الانقلاب العسكري الذي يتطلب معاملة القوم لاتخاذ ما يلزم، وإلا فإن تضييع الفرصة أو التأخير عن أي عمل عسكري مباغت سيكلف الانقلابيين حركتهم وأنفسهم، لذا كانت مقتضيات المباغته العسكرية، وعدم ملاحظة التخرج الديني أو الاجتماعي من دواعي تحرك الخليفة بهذا الأسلوب العنيف، وعدم تضييع الفرصة العسكرية بالانصياع إلى مقتضيات المرأة، وإلا فإن عليه ألا يقدم على عمل خطير كهذا، فإن في حساباته المسبقة مواجهة مثل هذا وأكثر.

فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار، فأضرمهما في الباب، ثم دفعه فدخل..(1)

3 . تفسير العياشي:

إن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يقبض حتى أعلم الناس أمر علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال انه مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي، وكان صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المواطن كلها، وكان معه في المسجد يدخله على كل حال وكان أول الناس إيماناً، فلما قبض نبي الله (صلى الله عليه وآله) كان الذي كان لما قد قضى من الاختلاف وعمد عمر فبايع أبا بكر ولم يدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد، فلما رأى ذلك علي (عليه السلام) ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس ففرغ إلى كتاب الله وأخذ بجمعه في مصحف فارسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع فقال علي: لا أخرج حتى أجمع القرآن فارسل إليه مرة أخرى فقال: لا أخرج حتى أفرغ فارسل اليه الثالثة ابن عم له يقال له قنقذ، فقامت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحول بينه وبين علي (عليه السلام)، فضربها فانطلق قنقذ وليس معه علي (عليه السلام) فخشى أن يجمع عليّ الناس فأمر بحطب فجعل حوالي بيته ثم انطلق عمر بنار فأراد أن يحرق عليّ بيته وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى علي ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع.(2)

1- المصدر السابق.

2- تفسير العياشي 2: 307 المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

4 . تلخيص الشافي للشيخ الطوسي:

روى ابراهيم بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا أحمد بن عمرو البجلي قال: حدثنا أحمد بن حبيب العامري، عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: والله، ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته.

5 . بحار الانوار للعلامة المجلسي:

حدثنا أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري قال: حدثنا أبي (ره) قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي، قال:

حدثني عبد الرحمن بن سنان الصيرفي عن جعفر بن علي الجواد عن الحسن ابن مسكان عن المفضل بن عمر الجعفي عن جابر الجعفي عن سعيد بن المسبب قال في حديث طويل يذكر فيه وصية عمر بن الخطاب وفيها:

أتيت دار علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، وابنتيهما زينب وأم كلثوم، والأمة المدعوة بفضة، ومعني خالد بن الوليد وقنذ مولى أبي بكر، ومن صحب من خواصنا، ففرعت الباب عليهم قرعاً شديداً، فأجابتي، فقلت لها قولي لعلي... إلى أن قال:... (1) فقالت: إن أمير المؤمنين علياً مشغول، فقلت: خلي عنك هذا وقولي له يخرج وإلا دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً.

فخرجت فاطمة، فوقفت من وراء الباب، فقالت:
أيها الضالون المكذبون ماذا تقولون وأي شيء تريدون؟

1- تلخيص الشافي 3: 76.

فقلت يا فاطمة، فقالت فاطمة ما تشاء يا عمر.
فقلت: ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب، وجلس من وراء الحجاب؟ فقالت لي:
طغيانك يا شقي أخرجني وألزمك الحجة وكل ضال غوي.
فقلت دعي عنك الاباطيل وأساطير النساء، وقولي لعلي يخرج لا حب ولا كرامة.
فقالت: أبحزب الشيطان تخوفني يا عمر؟ وكان حزب الشيطان ضعيفاً.
فقلت: إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل، وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت وأحرق من فيه أو يفاد علي إلى البيعة.
وأخذت سوط قنذ فضربت بها، وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلموا في جمع الحطب، فقلت اني مضمها.
فقالت: يا عدوا الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين.
فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته فتصعب عليّ فضربت كفيها بالسوط فألمها.
فسمعت لها زفيراً وبكاءً فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد علي وولوغه في دماء صناديد العرب، وكيد محمد وسحره..

فركلت الباب، وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها
قد جعلت أعلى المدينة أسفلها وقالت:

يا أبتاه، يا رسول الله هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك؟ أه يا فضة، اليك فخذيني فقد .
والله . قتل ما في أحشائي من حمل .
وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار فدفعت الباب ودخلت فأقبلت إلي بوجه أغشى
بصري، فصفت صفة على خديها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثر إلى الأرض .
فخرج علي فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار، وقلت لخالد ونفذ ومن معهما:
نجوت من أمر عظيم .
وفي رواية أخرى قد جنيت جناية عظيمة لا آمن على نفسي، وهذا علي قد برز من
البيت ومالي ولكم جميعاً به طاقة .
خرج علي، وقد ضربت يديها إلى ناصيتها، لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل
بها، فأسبل علي عليها ملاءتها وقال لها يا بنت رسول الله، إن الله بعث أباك رحمة
للعالمين، وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتك سائلةً إلى ربك ليهلك هذا الخلق لأجابك، حتى
لا يبقى على الأرض منهم بشراً، لأنك وأباك أعظم عند الله من نوح الذي غرق من أجله
بالطوفان جميع من على وجه الأرض وتحت السماء، إلا ن كان في السقيفة وأهلك قوم هود
بتكذيبهم له، وأهلك عاداً بريح صرصر، وأنت وأبوك أعظم قدراً من هود، وعدب ثمود وهي
اثنا عشر الفأ بعقر الناقة والفصيل، فكوني يا سيدة النساء رحمة على هذا الخلق المنكوس،
ولا تكوني عذاباً . واشتد بها المخاض

ودخلت البيت فأسقطت سقطاً سماه علي "محسناً"... (1)

6 . الاحتجاج للعلامة الطبرسي:

في رواية طويلة إلى أن قال فيها..

فانطلق . أي قنفذ . فاستأذن فأبي علي (عليه السلام) أن يأذن له، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يأذن لنا. فقال عمر: هو أن اذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير اذنه.

فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة (عليها السلام): احرّج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير إذن، فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فخرجتتا أن ندخل عليها البيت بغير إذن منها، فغضب عمر وقال: مالنا وللنساء. ثم أمر أناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معنم فجعلوه حول منزله وفيه علي وفاطمة وابناهما عليهما السلام ثم نادى عمر حتى أسمع علياً (عليه السلام): والله لتخرجن ولتبايعن خليفة رسول الله أو لأضرمن عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعده إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج علي بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدته. ثم قال لقنفذ إن خرج وإلا فاقتم عليه، فان امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً... (2)

7 . الاختصاص للشيخ المفيد:

ابو محمد، عن عمرو بن أبي المقدم عن أبيه عن جده قال: ما أتى علي علي (عليه السلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه

1- البحار 28: 268.

2- الاحتجاج، للطبرسي 1: 82 مؤسسة الأعلمي بيروت 1989 م.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأما اليوم الثاني فوالله إنني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبأيعونه إذ قال له عمر: يا هذا لم تصنع شيئاً مالم يبأيحك علي فابعث إليه حتى يأتيتك فيبأيحك، قال: فبعث قنفذاً، فقال له: أجب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال علي (عليه السلام): لأسرع ما كذبتم علي رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) ما خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحداً غيري، فرجع قنفذ وأخبر أبا بكر بمقالة علي (عليه السلام) فقال أبو بكر: انطلق اليه فقل له: يدعوك أبو بكر ويقول: تعال حتى تباع فانما أنت رجل من المسلمين، فقال علي (عليه السلام) أمرني رسول الله من أن لا أخرج بعده من بيتي حتى أولف الكتاب فانه في جرائد النخل وأكتاف الابل فأتاه قنفذ وأخبره بمقالة علي (عليه السلام) فقال عمر: قم إلى الرجل فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وقمت معهم، وظنت فاطمة (عليها السلام) أنه لا تدخل بيتها إلا باذنها فأجافت الباب وأغلقتة، فلما انتهوا إلى الباب ضرب عمر الباب برجله فكسره . وكان من سعف . فدخلوا على علي (عليه السلام) وأخرجوه ملتبساً... (1)

8 . كتاب الجمل للشيخ المفيد:

ولما اجتمع من اجتمع إلى دار فاطمة (عليها السلام) من بني هاشم وغيرهم للتحيز عن أبي بكر واطهار الخلاف عليه، أنفذ عمر بن الخطاب قنفذاً وقال له: أخرجهم من البيت، فان خرجوا والا فاجمع الاحطاب على بابهم وأعلمهم أنهم إن لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم ناراً، ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفي وسالم مولى أبي حذيفة حتى صاروا

1- الاختصاص للشيخ المفيد: 185 دار المفيد بيروت 1414 هـ - 1993 م.

إلى باب علي (عليه السلام) فنادى: يا فاطمة بنت رسول الله أخرجي من اعتصم ببيتك ليباع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون، والا والله أضرمت عليهم ناراً في حديث مشهور (1).

9 . الامالي للشيخ المفيد:

قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال: حدثنا أبو الحسين العباس بن المغيرة قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي (عليه السلام) والزبير والمقداد بيت فاطمة (عليها السلام) وأبوا أن يخرجوا فقال عمر بن الخطاب: اضرموا عليهم البيت ناراً فخرج الزبير ومعه سيفه فقال أبو

بكر: عليكم بالكلب فقصدوا نحوه، فزلت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. وخرج علي ابن أبي طالب (عليه السلام) نحو العالية فلقية ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟ فقال أردوا أن يحرقوا عليّ بيتي وأبو بكر على المنبر يبائع له ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة وإذا فاطمة (عليها السلام) واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازه بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقاً (2).

- 1- الجمل للشيخ المفيد: 117 دار المفيد بيروت ط 2، 1414 هـ - 1993 م.
- 2- الامالي للشيخ المفيد 49 دار المفيد بيروت طبعة ثانية 1414 هـ 1993 م.

10 . نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي:

قال زيد بن أسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه البيعة أن يبائعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقتة ومن فيه. قال: وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت فاطمة: تحرق علي ولدي؟ قال: إي والله (1).

11 . علم اليقين في أصول الدين للمولى محسن الكاشاني:

.. ثم إن عمر جمع جماعة من الطلقاء والمنافقين، وأتى بهم إلى منزل أمير المؤمنين (عليه السلام) فوافوا بابه مغلق، فصاحوا به: اخرج يا علي، فان خليفة رسول الله يدعوك، فلم يفتح لهم الباب، فأتوا بحطب فوضعه على الباب وجأؤا بالنار ليضرموه، فصاح عمر: والله لئن لم تفتنوا لنضرمه بالنار.. (2)

12 . الغدير للعلامة الاميني:

في حديث طويل قال:

وبعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم إن أبوا فقاتلهم. فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجتت لتحرق دارنا

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة... ثم قال: وكشف بيت فاطمة وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالحطب: والله

- 1- نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي: 271.
- 2- علم اليقين في أصول الدين للمولى محسن الكاشاني 686.

لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة . أو لأحرقنّها على من فيها . فيقال للرجل: أنّ فيها فاطمة، فيقول: وإن..(1)

13 . وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) للمحقق السيد عبد الرزاق الموسوي

المقorm:

.. فرجع الجماعة وثبت قنّذ على الباب ولما سمع عمر من الجماعة ذلك غضب وأمرهم بحمل حطب يضعون على الباب فان خرج أمير المؤمنين إلى البيعة والا احرقوا البيت على من فيه ووقف على الباب وصاح بصوت رفيع يُسمع علياً وفاطمة لتخرجن يا علي إلى البيعة والا أضرمت عليك النار، فصاحت فاطمة مالنا ولك فأبى أن ينصرف أو تفتح له الباب ولما رأى منهم الامتناع أضرم النار في الحطب.. (2) قال السيد عبد الرزاق المقorm في تعليقه على هذا الخبر: لا يرتاب من له وقوف على جوامع الحديث والسير في مجيء عمر بالحطب ليحرق بيت فاطمة مُجداً في ذلك أو مهدداً، ثم عد مصادر الهجوم على الدار من الفريقين.

ثانياً: ما رواه أهل السنة من خبر الهجوم على الدار

1 . تاريخ الأمم والمملوك لابن جرير الطبري:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير عن مغيرة، عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من

- 1- الغدير للعلامة الأميني 7: 75.
- 2- وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) للسيد عبد الرزاق المقorm: 61 منشورات المطبعة الحيدرية النجف 1370 - 1951.

المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم، أو لتخرجنّ إلى البيعة فخرج عليه الزبير مُصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه.(1)

2 . تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي:

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار... ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله..(2)

3 . العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي:

قال: الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر، علي والعباس والزبير وسعد بن عباد. فأما علي والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقينته فاطمة، فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة..(3)

-
- 1- تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري: 3 : 198 .
2- تاريخ اليعقوبي 2 : 11 مؤسسة الاعلمي بيروت .
3- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي 5 : 12 .

4 . الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري:

إن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنّها على من فيها.
فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة.
فقال: وإن.
فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً، فانه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن... (1)

5 . الملل والنحل للشهرستاني:

.. وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.(2)

6 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي:

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني ابراهيم بن المنذر قال: حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الاسود قال غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير فدخلوا بيت فاطمة، معهما السلاح فجاء عمر في

- 1- الإمامة والسياسة لأبن قتيبة الدينوري 1: 10 مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ط 3، 1963.
2- الملل والنحل للشهرستاني 1: 57.

عصابة فيهم أسيد بن حُضير وسلمة بن سلامة بن قريش وهما من بني عبد الأشهل فأقتحما الدار فصاحت فاطمة وناشدتهما الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا.

قال أبو بكر بن عبد العزيز [الجوهري]: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله قال: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الانصار ونفر قليل من المهاجرين فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم. فخرج اليه الزبير مصلاً بالسيف، فاعتقه زياد بن لبيد الانصاري ورجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبا بكر.

قال ابو بكر: وأخبرني أبو بكر الباهلي عن اسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال: قال أبو بكر: يا عمر أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، قال انطلقا اليهما . يعني علياً والزبير . فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: اعدته لأبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد دونك هذا، فأمسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر رداً لهما، ثم دخل عمر فقال

لعلي قم فبايع فتلكاً واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولوت

واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله. قال أبو بكر [يعني الجوهري] وحدثني المؤمل بن جعفر قال: حدثني محمد بن ميمون قال: حدثني داود بن المبارك قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر فقال: أجيبك بما أجاب جدي عبد الله بن الحسن فإنه سُئل عنهما، فقال: كانت أمانة صديقة، ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبي على قوم، فنحن غضاب لغضبيها.

قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال: أنشدني هذا الشاعر لنفسه. وذهب عني أنا اسمه. قال:

يا أبا حفص الهويني وما كنت ملياً بذاك لولا الحمام

أتموت البتول غضبي ونرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

يخاطب عمر ويقول له: مهلا ورويدا يا عمر أي ارفق وائتد ولا تعنف بنا، وما كنت ملياً أي وما كنت أهلاً لأن تخاطب بهذا وتستعطف ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه، لولا أن أباهما الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله، مات فطمع فيها من لم يكن يطمع. ثم قال: أتموت أمانة وهي غضبي ونرضى نحن، إذاً لسنا بكرام، فان

الولد الكريم يرضى لرضا أبيه وأمه ويغضب لغضبهما.

والصحيح عندي [والكلام لابن أبي الحديد] انها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر،
وأنها أوصت ألا يصلّي عليها، [قال] وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما، وكان
الاولى بهما اكرامها واحترام منزلتها لكنهما خافا الفرقة وأشفقا من الفتنة، فعلا ما هو
الاصح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين.. ثم قال فان هذا لو ثبت
أنه خطأ لم يكن كبيرة، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبرؤ، ولا توجب زوال
التولي. (1) والحق ان المسلك الذي سلكه ابن أبي الحديد المعتزلي في كلامه أخيراً، هو من
مبئيات "المدارس الاعتذارية" التي ابتليت بها المشاريع التاريخية، وإن التبريرات المرتجلة
التي تطلقها هذه المدارس كلّفت أمة أجيال اسلامية متحفزة لمعرفة ذاتها، حيث تعاملت
معها هذه المدارس الاعتذارية. وللأسف. بسذاجة واضحة وسطحية مقيّنة زعزعت الثقة بين
القارئ وبين هذه المشاريع واضطر البعض للجوء إلى المدارس الاستشراقية المسمومة أملا
أن يبحث عن حقيقة ذاته المضيعة بين متاهات هذه التوجهات العابثة دون جدوى.. والا ما
الذي يدعو ابن ابي الحديد المعتزلي وأمثاله في أن يبرروا حالات الفوضى التي أحدثتها
سقيفة بني ساعدة وقفزت على مبئيات اسلامية ثابتة حددها النبي (صلى الله عليه وآله)
وفرضتها مقتضيات الخلافة والامامة، بأنها حالات بريئة تظهر حرص التشكيلات الانقلابية

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 47 - 50 دار احياء الكتب العربية القاهرة ط 2 1385 هـ - 1965 م.

العسكرية المداهمة لبيت آمن من بيوت المسلمين فضلا عن بيت رسول الله (صلى الله
عليه وآله)، ومهبط الوحي والرسالة، تبررها بأنها عمليات طبيعية كانت دوافعها، "خوف
الفرقة والاشفاق من الفتنة".
إن المدارس التي تعتذر عن السطو المسلح على حقوق المسلمين ليست جديدة بتاريخ
قضايا الأمة المصيرية، وحقيق على الأمة رفضها والتعامل معها على أساس الاساءة
لحقوقها وعدم احترام مشاعرهم ومسلماها.

7 . تاريخ أبي الفداء لاسماعيل أبو الفداء:

خلا جماعة من بني هاشم والزيبر وعتبة بن أبي لهب وخالد بن سعيد بن العاص
والمقداد بن عمر وسلمان الفارسي وأبي ذر وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي ابن
كعب، ومالوا مع علي بن أبي طالب، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب:

وما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف
عن أول الناس إيماناً وسابقة
عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبى ومن
جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
وكذلك تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أمية، ثم إن أبا بكر

بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها،
وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقبته فاطمة
رضي الله عنها وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا قال: نعم. (1)

8 . إثبات الوصية للمسعودي:

فأقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول
الله (صلى الله عليه وآله)، فوجَّهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه
كرهاً، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً، وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال لا
أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلوني فاني عبد الله وأخو رسوله.. (2)

9 . أعلام النساء لعمر رضا كحالة:

وتفقد أبو بكر قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب كالعباس والزيبر وسعد بن
عبادة، فقعدها في بيت فاطمة، فبعث أبو بكر اليهم عمر بن الخطاب، فجاءهم عمر فناداهم
في دار فاطمة، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو
لأحرقن علي من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال: وإن.. (3)

1- تاريخ أبو الفداء 1: 164.

2- إثبات الوصية: 123.

3- أعلام النساء عمر رضا كحالة 4: 115 مؤسسة الرسالة بيروت طبعة خامسة 1404 هـ -

1984 م.

10 . الامام علي بن أبي طالب، لعبد الفتاح عبد المقصود:

... أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثورة، على دار علي وقد ظاهره معاونوه ومن جاء بهم فاقتموها، أو أوشكوا على اقتحام.

فاذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عيسة غضب فائر، وحنق ثائر... وتوقف عمر من خشية، وراحت دفعته شعاعاً وتوقف خلفه أمام الباب صحبه الذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبه الزهراء وغضوا الابصار من خزي أو من استحياء...

ثم ولّت عنهم عزمات القلوب، وهم يشهدون فاطمة تتحرك كالخيال وئيداً وئيداً، بخطوات المحزونة الثكلى، فتقترب من ناحية قبر أبيها.. تهتف بمحمد الثاوي بقربها تناديه باكية مرير البكاء:

يا أبت رسول الله يا أبت رسول الله...

فكأنما زلزلت الارض تحت هذا الجمع الباغي من رهبة النداء.

وراحت الزهراء وهي تستقبل المثوى الطاهر تستجد بهذا الغائب الحاضر: يا أبت رسول الله ماذا لقينا بعد من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة(1).

1- الإمام علي بن أبي طالب 1: 190.

أخبار إسقاط المحسن (عليه السلام)

أولاً: بعض ما ورد عن طريق الأمامية:

1 . الارشاد للشيخ المفيد:

وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ولداً ذكراً كان سماه رسول الله (عليه السلام) . وهو حمل . مُحسناً فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمانية وعشرون، والله أعلم(1).

ومن الواضح أن كلام الشيخ المفيد يعني أن بعض الشيعة ذكره وإن كان سقطاً، وبعضهم لم يذكره لكونه سقطاً، ولم يعدده في مقام تعداد أولاد علي (عليه السلام)، كما في زماننا وفي كل الأزمنة أنهم لا يذكرون الاسقاط عند بيان أولادهم إلا استدراكاً، ولا يظهر منه الخلاف في ذلك ولم ينقل أي شك في ذلك، وكيف واجماع الطائفة المحقة عليه. ويؤيد ذلك قول أبي الحسن الاربلي في كشف الغمة(2) عند ذكر عبارة

1- 2- كشف الغمة في معرفة الأئمة (عليهم السلام) لأبي الحسن بن عيسى الأربلي 1: 441 المطبعة العلمية قم 1381 هـ

كمال الدين بن طلحة في مقام ذكر أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام): فمنهم من أكثر فعد منهم السقط ولم يسقط ذكر نسبه، ومنهم من أسقطه ولم يره أن يحتسب في العدة به. وعلى هذا فإن كلام الشيخ المفيد واضح في عدم انكار وجود السقط، بل الظاهر منه اثباته لعدم نفيه أو ترده فيه، كيف وقد روى حادثة اسقاط المحسن في كتابه الاختصاص كما سيأتي.

2 . الاختصاص للشيخ المفيد:

في حديث الصادق (عليه السلام) عن فذك.. بعد كلام طويل قال...: فقال عليّ (عليه السلام) لها: أنت أبا بكر وحده فانه أرق من الآخر وقولي له: ادعيت مجلس أبي وأنت خليفة وجلست مجلسه ولو كانت فذك ثم استوهبتها منك لوجب ردّها عليّ فلما أنته وقالت له ذلك، قال: صدقت، قال: فدعا بكتاب فكتبه لها برد فذك، فقال: فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: هلميه إليّ، فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها فكأني انظر إلى قرط في أذنها حين نقتت ثم أخذ الكتاب فخرقه فمضت ومكنت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت... (1)

3 . دلائل الامامة للطبري:

عن محمد بن عمار بن ياسر قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي يوم زوجه فاطمة: يا علي ارفع رأسك إلى السماء فانظر ماذا

1- الاختصاص للشيخ المفيد: 185 دار المفيد بيروت 414 هـ - 1993 م.

ترى؟ فقال أرى جوارى مزيّنات معهن هدايا قال فهي خدمك وخدم فاطمة في الجنة انطلق إلى منزلك ولا تحدث شيئاً حتى أتيتك... إلى أنا قال: فقالت [أي فاطمة (عليها السلام)] ونظرت إلى الجوارى وإلى حسنهن فقلت لمن أنتن؟ فقلن لك ولأهل بيتك ولشيعتك من المؤمنين، فقلت أفيمكن من أزواج ابن عمي أحد، قلن أنت زوجته في الدنيا والآخرة، ونحن خدمك وخدم ذريتك، قال وحملت بالحسن فلما رزقته حملت بعد أربعين يوماً بالحسين، ثم رزقت زينب وأم كلثوم وحملت بمحسن، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها واخراج ابن عمها أمير المؤمنين وما لحقها من الرجل أسقطت به ولداً تماماً وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها. (1)

4 . دلائل الامامة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الامامي الثقة:

في تاريخه لوفاة السيدة الزهراء (عليها السلام) قال:.. وقبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة احدى عشرة من الهجرة وكان سبب وفاتها أن قنفاً مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع ممن آذاها يدخل عليها... (2)

5 . كتاب سليم بن قيس:

... فضربها قنفاً بالملعون بالسوط . فماتت حين ماتت وأن في عضدها

1- دلائل الامامة للطبري الامامي الثقة أبو جعفر محمد بن جرير 28 منشورات الاعلمي.
2- دلائل الامامة لابن جرير الطبري 46 مؤسسة الاعلمي بيروت ط 2 1408 - 1988.

كمثل الدمج من ضربته لعنه الله، فالجأها إلى عضادة بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، فلم تنزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة... (1)

6 . البحار للعلامة المجلسي:

في حديث المفضل عن الصادق (عليه السلام)... وادخال قنفيذ يده لعنه الله يروم فتح الباب وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتى صار كالدمج الاسود وركل الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن لسته أشهر واسقاطها اياه. وهجوم عمر وقنفيذ وخالد بن الوليد وصفقة خدّها حتى بدا قرطها تحت خمارها وهي تجمر بالبكاء وتقول: وأبتاه وا رسول الله، ابنتك فاطمة تكذب وتضرب ويقتل جنين في بطنها (2).

7 . كاهل الزيارات لابن قولويه:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لما أسرى بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء قيل له ان الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث لينظر كيف صيرك قال: أسلم لأمرك يارب ولا قوة لي على الصبر الا بك فما هن قيل له... إلى أن قال: وأما الثالثة فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل أما أخوك عليّ فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم وآخر ذلك القتل فقال يا رب قبلت ورضيت ومنك التوفيق والصبر، وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتضرب وهي حامل ويدخل عليها وعلى

1- كتاب سليم بن قيس 2: 586 نشر الهادي قم 1415 هـ.
2- البحار 53: 18.

حريمها ومنزلها بغير إذن ثم يمسه هوان وذل تم لا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب قلت إنا لله وإنا إليه راجعون.. (1)

8 . كامل الزيارات لابن قولويه أيضاً:

... وأما ابنتك فاني أوقفها عند عرشي . فيقال لها إن الله قد حكمك في خلقه فمن ظلمك وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببت فاني أجزى حكومتك فيهم فنشهد العرصة فاذا وقف من

ظلمها أمرت به إلى النار فيقول الظالم واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله ويتمنى الكرة ويعضُ الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً... وأول من يحكم فيهم محسن بن علي (عليه السلام) وفي قاتله ثم في قنفذ فيؤتيان هو وصاحبه فيضربان بسياط من نار لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً... (2)

9 . أمالي الصدوق:

في باب ما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بظلم أهل البيت قال (صلى الله عليه وآله):

وأما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين... واني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني بها وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت ارثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها... فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها وعاقب من غصبها وأذل

- 1- كامل الزيارات لابن قولويه 332 المطبعة المرتضوية النجف 1356 هـ.
- 2- نفس المصدر: 334.

من ذلها وخُذ في نارك من ضرب جنبيها حتى ألقته ولدها فنقول الملائكة عند ذلك: آمين (1).

10 . معاني الاخبار للشيخ الصدوق:

عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا علي أن لك كنزاً في الجنة وأنت ذو قرنيها ولا تتبع النظرة بالنظرة في الصلاة فان لك الاولى وليست لك الآخرة [في نسخة لك الأخرى].

قال مصنف هذا الكتاب . رضي الله عنه . معنى قوله (عليه السلام): إن لك كنزاً في الجنة يعني مفتاح نعيمها... وقد سمعت بعض المشايخ يذكر أن هذا الكنز هو ولده المحسن (عليه السلام) وهو السقط الذي ألقته فاطمة (عليها السلام) لما ضغطت بين البابين، واحتج في ذلك بما روي في السقط انه يكون محببناً على باب الجنة، فيقال له ادخل الجنة فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي.. (2)

11 . الاحتجاج للطبرسي:

... فانطلق قنفذ فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن وبادر علي إلى سيفه ليأخذه فسبقوه اليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فضبطوه والقوا في عنقه حبلاً أسود وحالت فاطمة (عليها السلام) بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدملاج من ضرب قنفذ، فأرسل أبو بكر إلى قنفذ إضربها فألجأها إلى عصابة بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها، فلم

- 1- معاني الاخبار للشيخ الصدوق 206 جامعة المدرسين قم 1379 هـ.
- 2- معاني الاخبار للشيخ الصدوق 206 جامعة المدرسين قم 1379 هـ.

تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها(1).

12 . منتهى الآمال للمحدث القمي:

قال بعد تعداده لأولاد علي... وكانت حامله بطفل قد سماه النبي (صلى الله عليه وآله) محسناً وقد سقط بعد وفاته. قال الشيخ الصدوق في معنى قوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) إن لك كنزاً في الجنة وأنت ذو قرنيها، قال: قد سمعت بعض المشايخ يذكر ان هذا الكنز هو ولده المحسن (عليه السلام) وهو السقط الذي ألقت فاطمة (عليها السلام) لما ضغطت بين البابين.(2)

13 . المنتخب الطريحي للشيخ فخر الدين الطريحي:

... أترى تكون فاطمة (عليها السلام) راضية حين عصرها خالد بن الوليد فأسقطت محسناً وضربها قنفذ مولى أبي بكر فأثر فيها الضرب أفترها تكون راضية حين سحب زوجها وابن عمها وأبو السبطين؟(3)

ثانياً: بعض ما روته أهل السنة في اسقاط المحسن (عليه السلام):

1 . اثبات الوصية للمسعودي:

... فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً وضغطوا سيده النساء بالباب حتى أسقطت محسناً وأخذوه بالبيعة

- 1- دلائل الامامة للطبري الامامي الثقة أبو جعفر محمد بن جرير 28 منشورات الاعلمي بيروت.
2- منتهى الآمال للمحدث الشيخ عباس القمي 1: 276 مؤسسة النشر الإسلامي قم 1415 م.
3- المنتخب الطريحي 136 انتشارات أرومية قم.

فامتتع وقال: لا أفعل... (1)

2 . الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي الشافعي:

وقال [أي النظام في ذكر أقواله]: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقى المحسن من بطنها. (2)

3 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي:

... فروعها هبار بالرمح وهي في اليهودج [أي زينب]، وكانت حاملا، فلما رجعت طرحت ما في بطنها وقد كانت من خوفها رأّت دماً وهي في اليهودج فلذلك أباح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم مكة دم هبار ابن الأسود.
قال ابن أبي الحديد المعتزلي: قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله فقال: إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظاهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقى ذا بطنها. فقلت: أروى عنك ما يقوله قومٌ أن فاطمة روعت فألقت المحسن فقال: لا ترويه عني ولا ترويه عني بطلانه فاني متوقف في هذا الموضوع لتعارض الاخبار عندي فيه. (3)

4 . ميزان الاعتدال لابن حجر:

قال ابن حجر في ترجمته عن أحمد بن محمد بن السري: ... حضرته ورجل يقرأ عليه: ان عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن. (4)

- 1- اثبات الوصية للمسعودي: 143.
2- الوافي بالوفيات للصفدي 5: 347.
3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي 14: 193 دار احياء الكتب العربية القاهرة.
4- ميزان الاعتدال 1: 139.

ولم نزد على أكثر من هذه الروايات المعتمدة عند الفريقين، فإن مهمتنا ليست سردية بقدر ما هي تحقيقية استدلالية تقنع باليسير من الأدلة لصححة، وتستعين بحديثات القضية المجردة عن أية نزوة تدفع بالبحث مهاوي التبريرات المجهولة الساذجة.

ولعل في هذه الاحاديث كفاية تغني القارىء عن ظنى التساؤل والحيرة التي تلم به حين مواجهته مشاريع تنقيفية تحاول الجمع بين الحقيقة من جهة وبين قداسة الصحابة من جهة أخرى، بل تذهب إلى أكثر من هذا المدى المتشدد، فلعلها تورد الحديث ثم تشكك في سنده أو تطعن في مضمونه، فمن جهة السند فانها تقتصر على طريق واحد يرويه من لا يكون اتفاق الجميع وتغمض عن كثير، وهذا لعمرى لا ينسجم والبحث الموضوعي الذي يهدفه الباحث ويصبر إليه القارىء، بل هي خيانة علمية يقصد منها اخفاء الحقيقة بأساليب ساذجة رخيصة. فروايات الهجوم والاسقاط تكاثرت حتى صارت اجماع الأمة ومسلماتها.

أما في المضمون فانها تحاول إثارة شبهات افتراضية تقحمها في مدار البحث الموضوعي وتجعلها ذريعة لابطال الحدث أو التشكيك فيه، ولا تدع القارىء أن يشارك في وجهة نظره التي تنطلق من الفطرة السليمة دون أن تمسها اضطرابات الافتراض أو تهويل الشبهات، فتجده . إذا خلّي ونفسه . يحكم بصحة ما ورد استناداً إلى خلفيات الحدث وحيثيات القضية، ومقتضيات المناسبة، والقارىء اللبيب من شأنه أن يربط بين هذه الجزئيات المتناثرة التي فرقتها مشاريع التنقيف الحاكم، وأن يجمع بين أشلاء الحادثة المتفرقة، ليخرج بقناعات رشيدة تحفظ للحادثة موضوعيتها، وتُمتن من

القضية واقعيتهما، وتؤكد أن الانقلاب غير المفاوضة، وأن الأعراف العسكرية غير الأعراف الاجتماعية، وأخيراً فإن مقتضيات الالتزامات الشرعية، غير متطلبات المنصب القادم على حساب بديهيات الدين ومسلمات الأمة.

فالانقلابات العسكرية لا تنتظر المفاوضة بين الأطراف، فإن التواني في إقتناص الفرصة، واغتنام الظرف لا يسع للانقلابيين أن يجلسوا على طاولة المفاوضات مع أطراف تملك "خزينا" من النصوص وزخماً من الأدلة القوية، قادرة أن تهزم أية محاولة إنقاذية من شأنها أن تُجهز على الثوابت، وكذا الاعراف العسكرية التي تطالب قواتها بالتحرك السريع دون أن تلتفت ورائها لتنتظر من الاعراف الاجتماعية أن تردعها عن أي عمل مُخلّ بالشرف أو الاعتبار، والافان الخطط العسكرية الانقلابية ستتأخر عن تنفيذها فتقلب على

أصحابها وبالا يكلفهم مهمتهم . إن لم نقل أنفسهم على أحسن الأحوال ، ومقتضيات الالتزام الشرعي بجميع تكاليفه المطلوبة لا يُراعي متطلبات المنصب الذي يقفز أصحابه على بديهية دينية أو ثابتة سلّمت بها الأمة وجعلتها ديناً لها ومنهجاً حياتية كذلك .
إذن فأهل السقيفة الذين تحركوا سريعاً للالتفات على محاولات الانصار وتثييط المهاجرين، لا ننتظر منهم أكثر من اقتناص الفرصة سريعاً سريعاً، ولا نطالبهم بالجلوس مع أية قوة مقابلة لهم تملك من نصوص الخلافة وأدلتها الخزين في ذاكرة الأمة يوم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كنت مولاه فعلي مولاه، اشارة لخلافته الإلهية المقدسة، ولا نأمل من أولئك الذين جعلوا تحركاتهم السريعة على أساس الحساب الزمني "العسكري" الذي يرفض أن تُشاركه الاعراف الاجتماعية في تهذيب سلوكيته المتمردة على

أعرافها، بل هل ننتظر ممن رنى ببصره إلى الجاه والامتياز والشرف يوم أن تحاملَ على علي في فتح بابه على المسجد والغاء أبواب الآخرين، إلا أن يقفز متوثباً على أي نص أو أية مسلمة دينية، من شأنها أن تلغي اعتباراته الاجتماعية وتهُمّش دوره كواحد من المسلمين، وترُجعه إلى موقعه الطبيعي وتحدد له قدره على أساس ايمانه وتكامله .
هذا ما أردنا أثباته خروجاً عن أية مجاملة فنية تُحيط بالمشاريع التاريخية لثُرمي بها إلى تشكيلات قصصية ساذجة، تتعامل مع القارىء بكل امتهان دون أ تحسب لذوقه فضلاً عن مسلماته، أية حساب، بل أن فنيات القداسة تحاول الالتفاف على واقعية الحدث وموضوعيته، عندها لا تكون الدراسة دراسةً، ولا تكون القضية التاريخية المطروحة غير عمليات تجميلية تُزِيد من تشويه الحقيقة وتُبَحّج من ملامحها الجميلة البريئة، بل لا تكون إلا تهميشات مملة ممقوتة.

فاطمة شهيدة شاهدة..

وإذا أردنا أن نستعرض ملامح المدارس الاعتذارية التي تلتف على قضية مسلمة لتلغي واقعيتها وتهُمّش فاعليتها، فإن حديث "فاطمة شهيدة" يمكن أن تقرأها بعينين أحدهما عوراء تخفي الحقيقة، والأخرى حولاء تقلب المراد.

فعن محمد بن يحيى، عن العمر كي بن علي، عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: إن فاطمة عليا السلام صِدِّيقَةٌ شهيدةٌ، وإن بنات

الأنبياء لا يطئمن. (1) حديثٌ صحيحٌ تروي مثله الطائفةُ الاماميةُ العشراتُ منه، فلا طعنٌ في سندهِ، ولا مغمزٌ في مضمونهِ، وإذا أرادت "المدارسُ الاعتزاليةُ" قراءته فانها تقرأه هكذا: إن فاطمة شهيدة، يعني شاهدة على الناس يوم القيامة وفرق بين الشهادة التي هي القتل، وبين الشهادة التي هي شهادة على الأمة بالطاعة وعلى النبي بالاداء والنصيحة. وهكذا تضطرب الأمة بين مسلمات الحديث ووضوحه، وبين توجيه المدارس وغموضها، ولعل الرجوع إلى معنى الكلمتين، رجوع إلى حقيقة الحديث ومراده..

فالشهادة التي هي القتل، هو من مات بين يدي نبي أو امام معصوم، أو قتل في جهاد سائغ، قيل سمي بذلك لأن ملائكة الرحمة تشهده، فهو شهيد بمعنى مشهود، وقيل لأن الله وملائكته شهدوا له في الجنة، وقيل لأنه ممن استشهد وقيل النبي (صلى الله عليه وآله) على الأمم الخالية، وقيل لأنه لم يمت كأنه شاهد أي حاضر، أو لقيامه بشهادة الحق في الله حتى قتل، أو لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة وغيره لا يشهدا إلى يوم القيامة، فهو فعيل بمعنى فاعل. كذا قال العلامة الطريحي في مجمع البحرين، ثم قال في قوله تعالى: إنا أرسلناك شاهداً، أي على أمتك فيما يفعلونه مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل. و قوله تعالى: شاهد ومشهود، قيل الشاهد يوم الجمعة،

1- الكافي باب مولد الزهراء (عليه السلام) 1: 381 المكتبة الإسلامية طهران 1388 هـ.

والمشهد يوم عرفة لأن الناس يشهدونه أي يحضرونه ويجتمعون فيه، وقيل الشاهد محمد لقوله تعالى: وجئنا بك على هؤلاء شهيداً... (1) وليس الشيخ فخر الدين الطريحي وحده ذهب إلى ذلك، بل ذهب مثله الفيروز آبادي في معنى كلمة شهيد فقال: والشهيد وتكسر شينه، الشاهد والأمين في شهادة والذي لا يغيب عن علمه شيء والقتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهد له أو لأن الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة أو لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية أو لسقوطه على الشهادة أي الأرض أو لأنه حي عند ربه حاضراً ولأنه يشهد ملكوت الله وملكه والجمع شهداء والاسم الشهادة. (2) والمفسرون اتفقوا على ذلك فقالوا في تفسير قوله تعالى: ويتخذ منكم شهداء، أي ليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد بذلك شهداء أحد ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة، من قوله ليكونوا شهداء على الناس(3).

والقرآن الكريم استعمل كلمة شهيد بمعنى شاهد كما في قوله تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً النساء.
قال الطبرسي في تفسيره للآية: فكيف يصنع هؤلاء الكفار إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على

- 1- مجمع البحرين للطريحي باب شد 3: 77 منشورات مكتبة الهلال بيروت 1989 م.
- 2- القاموس المحيط للفيروز آبادي باب شهد 1: 588 دار احياء التراث بيروت ط أولى 1412 هـ.
- 3- جوامع الجامع للطبرسي 89 الطبعة الثانية الحجرية 1362 هـ ش. طهران.

هؤلاء يعني قومه شهيداً، والمعنى أن الله سبحانه يستشهد يوم القيامة كل نبي على أمته فيشهد لهم وعليهم... (1) وفي كنز الدقائق في تفسير نفس الآية قال: تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم، واستجماع شرعك مجامع قواعدهم، وقيل: هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم. وقيل إلى المؤمنين كقوله تعالى:
(لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً). (2) وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله يوم تأتي من كل أمة بشهد

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال: يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة من كل أمة بشهيد بوصي نبيها وأوتي بك يا علي شهيداً على أمتي يوم القيامة. (3) إذن فكلمة شهيد التي هي القتل بين يدي الامام، تعني الشهادة على الأمة بالطاعة وعلى النبي بالاداء والنصيحة، ومن هنا يظهر أن لا فرق بين كلمتي شاهد وشهيد، ففاطمة (عليها السلام) شهيدة بين يدي إمامها، شاهدة على الأمة بعد رسولها وعلى هذا فلا معنى للتفريق بين مصطلح الشهيد الذي هو شاهد كذلك.

ثم أن الحديث يتعرض إلى مطلب مهم آخر لا ينبغي اغفاله أو التعرض إليه بالتشكيك والشبهات، فقد أوضح أن بنات الأنبياء لا يطمئن، فان

1- نفس المصدر: 86.

2- كنز الدقائق 3: 408 وزارة الارشاد الإسلامي طهران.

3- تفسير العياشي 1: 242 المكتبة العلمية الإسلامية طهران 1380 هـ.

الصفحة

61

خصوصيات الطهارة النفسية تقتضي أن تكون هناك طهارة ظاهرية كذلك. صحيح أن التركيب الفلسفي يقتضي أن تتعرض المرأة ما تتعرض اليها النساء من شؤون خاصة تتعلق بتركيبها الجسمية المقتضية للانجاب والتناسل، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون الطهارة الظاهرية من مقتضيات الطهارة النفسية التي ترقى اليها المرأة وتتكامل بلوغها إلى مرتبة تميّزها عن غيرها، فما الضير إذن أن تتميز بنات الأنبياء بهذه الخصوصية الكريمة حيث ترقّعن . تكريماً لمقامهن السامي . عن هذا الحدث وإن لم يكن مخلاً بالمرأة كمرأة، إلا أن ارتفاعه من مقتضيات التنزيه والاکرام، وليس ذلك بعزيز فان في زماننا هذا من النساء من لم تر الدم حتى في ولادتها وليس هناك خلل فلسفي في تركيبها بل أن حالاتها طبيعية جداً مع الاحتفاظ بقدرتها ولياقتها الانجابية. وعلى هذا فان المدارس الاعتدالية باتت تتداعى أمام موضوعية الحدث، وتنهزم أما اصرار وإرادة الأمة المتصدية للكشف عن الحقائق، وتعرية القراءات الانفعالية الممسوخة التي تريد أن تحوّل ثوابت الأمة إلى مشتبهات تثقيفية ساذجة.

الصفحة

62

شعراء المحسن بن علي (عليه السلام)

السيد الحميري

شهد القرن الهجري الثاني انقلابات فكرية إلى جانب انعطافاته السياسية، ذلك اثر قيام الدولة العباسية على انقاض الدولة الأموية البالية. لم تكن هذه الانعطافات تحولات سياسية فحسب بل كانت قد نشأت على اساس جدليات فكرية شاركت في تقديم رؤية اسلامية ثورية، تحتم على الأمة الانعطاف الفكري الذي يستتبعه تحولا سياسياً رشيداً. أطاحت الدولة العباسية بالنظام الأموي على أساس حركات عسكرية وتنظيم مسلح. وان شاركت الحركات الميدانية العسكرية في اسقاط النظام

الأموي . بل أكد العباسيون في منهجيتهم التنظيمية على الاطروحة الفكرية وسعوا إلى الفات نظر الأمة للخروقات الدينية والفكرية التي يرتكبها الأمويون ودعت إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله) شعاراً تقنياً مرحلياً حشدت من خلاله الأمة لمساندتها في دعوتها وعبئت مشاعر الناس للتوجه إلى مظلومية آل البيت (عليهم السلام) والتي كان من

ورائها الأمويون، وذكّرتهم بأيامهم التي ما فتأ يوم الحسين (عليه السلام) يستعيد حيويته كلما صرع شهيد أو سفك دم طاهر كريم.

كان العباسيون قد كسبوا الجولة وتحققت طموحاتهم السياسية بالوصول إلى دست الحكم، إلا أن خيبة أمل حصلت لدى الأمة بعد أن تخلت السياسة العباسية عن شعاراتها وهو الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، بل نعت الأمة على العباسيين تراجعهم عن مبادئ ثورتهم وتحولها إلى اطروحة أموية جديدة إلا أنها بلباس هاشمي جميل، يجعل اطروحة النسب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) غاية للوصول إلى مآربه، وبات آل رسول الله الأقربين . وهم آل علي . مشردون محبوبو الأنفاس، يتوجسون من بني عمومتهم كل طارئ يأخذ كبيرهم ليلحق بصغيرهم، تنفيذاً لخطة سياسية فكرية تكمن من ورائها تخلية الميدانين الفكري والسياسي للنظام، فالعليون باتوا يشكلون محور خطر يأخذ بالعباسيين في كل حين، وصار أهل البيت (عليهم السلام) معارضة صامتة تتعى على العباسيين ابتعادهم عن برنامجهم الإصلاحية، بعد تأسيسها مدارس سياسية تسعى إلى ترويض الاحداث لصالحها.

هذه صورة مجملّة عن الخط السياسي العام الذي عاشه السيد الحميري، ولم يكن السيد الحميري بعيداً عن هذه الاحداث بل لم يكن

متشاعلاً عن استهداف العباسيين للعقلية الإسلامية وتحولها إلى عقلية ساذجة وسط محاولات ثقافية صاخبة تخلط على العامة الاحداث، وتلغي مسلمة تاريخية وبيدهيات فكرية لتؤسس عليها توجهاً ثقافياً عاماً موحداً يسير في ركاب النظام ويقدم التاريخ على أساس نزعة سياسية تتعهد بحفظ الخط الفكري العباسي.

في هذه الفترة بالذات كانت المدرسة الأدبية الشيعية قد تخلت عن السير التقليدي الأدبي، الذي يلتزمه الشاعر ليرضي الذوق العام، فالغزل والمديح والهجاء إلى غير ذلك من الأغراض الشعرية باتت في المفهوم الأدبي الشيعي ترفاً ثقافياً لا يساعده الظرف السياسي المستجد الذي يتصدى للاطاحة بقيم الأمة ومبادئها، فالشاعر الشيعي يعيش في زحمة مخاضات فكرية أولدت سياسات كان لها شأنها في ترسيم الملامح العامة لكتابة التاريخ الإسلامي الذي اختزل في اسلوبه الجديد مسلمة تاريخية، وأدخلت المفردة التاريخية في خضم محاولات التسييس حتى بات الحدث الإسلامي يختفي خلف جدران السياسية

الاعلامية العباسية، فما كان الخط الثقافي الشيعي الذي يوجهه آل البيت (عليهم السلام) إلا أن يتصدى لمحاولات التزييف الفكري هذه وكانت الوسيلة الاعلامية الراجحة وقتذاك، القصيدة الشعرية التي من خلالها يحاول الشاعر تقديم اطروحته الفكرية، ولعل السيد الحميري كان باكورة الأعمال الأدبية لتلك الفترة، فقد حشد كل طاقاته للتعبير عن مظلومية آل البيت (عليهم السلام) فضلا عن تخصصه في فهرسة كرامات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهرسةً أدبية، وحفظها ضمن أرشيف القصيدة العربية التي سجّلت له باجلال جهداً رائعاً وعملاً دؤوباً مبدعاً، فكانت

مدرسته الأدبية تأخذ مشروعيتها من الإمام المعصوم الذي كان يقف على هذا الزخم الأدبي الابداعي، وبيارك للشاعر حيويته الأدبية ويحمد له مقرراته الفكرية ليسجلها في مقطوعة أدبية قد لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة، ولعل السيد الحميري الذي يبتكر الطريقة التسجيلية لتاريخ آل البيت (عليهم السلام) يحتفظ بأسلوب أدبي مختصر يسجل من خلاله موقفاً تاريخياً أو يؤكد على وقوع حادثة تاريخية كادت أن تختفي نتيجة للخط السياي العام، فلا يعدو البيتين أو الثلاثة في تسجيل الحادثة، وتسهيلاً لحفظ الحادثة وعدم ضياع الشاهد من المقطوعة الأدبية ضمن عدة أبيات من القصيدة، فالمتتبع لطريقة السيد الحميري المختصرة في تسجيل الحادثة لا يجدها إلا في ضمن بيتين أو أكثر قليلاً ولعل هذه بعض الاسباب التي اتبعها في طريقة التسجيل الشعري الروائي الذي امتاز به السيد الحميري. لذا فإن أهمية الشعر الحميري تبرز في تسجيل الحادثة التاريخية وقد أمضاها الأمام الصادق (عليه السلام) وسجّل له موقفه السليم من هذه الواقعة أو تلك وهو يقدمها بطريقته المختصرة وبأسلوبه الأدبي الرائع.

ان "المدرسة الحميرية الأدبية" كانت مدرسة توثيقية تاريخية التزمت اسلوب التوثيق وفهّرت الحدث الإسلامي وفق النهج المعصومي الذي كان يرسم ملامحه الإمام الصادق (عليه السلام) وقتذاك، لذا فان "المدرسة الحميرية" يمكن أن تكون دالة في منهجة الحدث الإسلامي والاستفادة منها في إعادة قراءة التاريخ.

ان النزعة التوثيقية في الشعر الحميري أعطت للقصيدة العربية بعداً آخر وهو البُعد

العلمي الذي جعل القصيدة العربية تشارك في معالم كتابة التاريخ

بعد تخطيطها مرحلة التسييس لتفقد موضوعيتها، ولعل هذه الحادثة التي سجلتها القصيدة الحميرية تكشف عن الجهد الاعلامي الذي بذله شعراء الشيعة في حفظ الحادثة التاريخية وتوثيقها، فإن مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) مثلاً نالت قسطاً وافراً من محاولات الانظمة السياسية لاختفائها كحادثة تاريخية مهمة تشارك في رسم ملامح التاريخ الإسلامي لذا فإن السيد الحميري يسجل الحادثة في قصيدته بحذر شديد دون التصريح بحيثيات الحدث وذكر الاسماء، وسنقدم لمحة عن تحفظات الشاعر وهو يسجل مأساة السيدة الزهراء(عليها السلام):

* * *

[1] قال السيد الحميري:

ضربت واهتضمت من حقها وأذيقته بعده طعم السلع
قطع الله يدي ضاربها ويد الراضي بذاك المتبع
لا عفى الله له ولا كفَّ عنه هول يوم المطلع(1)

[2] وقال أيضاً:

انها أسرع أهل بيته ولحاقاً بي فلا تفشي الجزع

1- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم. لأبي علي النياطي البياضي 3: 13 المكتبة المرتضوية.

فمضى واتبعته والها بعد غيض(1) جرعته و وجع(2)

[3] وقال:

وفاطم قد أوصت بأن لا يصليا عليها وأن لا يدنوا من رجا القبر
علياً ومقداداً وأن يخرجوا بها رويداً بليل في سكون وفي ستر(3)

- 1- غيظ: السقط الذي لم يتم خلقه. راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي باب غاض 2:
499 دار احياء التراث العربي بيروت.
2- مناقب ابن شهر اشوب 3: 362 المطبعة العلمية قم.
3- أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين 3: 422.

البرقي

أبو محمد عبدالله بن عمار البرقي

لم يكن القرن الثالث الهجري بأحسن حال من سابقه، فقد كانت السياقات الثقافية الحاكمة تحتم على الطبقة الواعية من التصدي إلى المحاولات الفكرية المنبعثة من مصادرة الحدث الإسلامي، وقولبته ضمن صياغة ثقافية يرسمها النظام لكي لا تتعدى مقرراته الفكرية.

إختفت في هذه الحقبة القراءة الواعية للتاريخ، وتمسك النظام الحاكم ببرمجة الفكر الإسلامي ضمن معطيات سياسية مقررة، فصنّف المتقف أنذاك

ضمن دائرة التثقيف الحاكم وفي سياقات فنية شجع عليها النظام، حيث انبعثت القصيدة العربية بكل أغراضها الشعرية، وتعهّد النظام بتشجيع الذوق الأدبي على حساب حفظ الحديث النبوي الذي باتت الأمة تشخص من خلاله الانفلاتية الدينية التي يرتكبها الخليفة وطاقمه الحاكم، فتوجّس النظام من التثقيف الديني الذي سيوقف الأمة بعد ذلك على خروقات النظام وعدم مشروعيته، لذا كان الفن الشعري ضمن أولويات اهتمام الدولة الذي من خلاله صنّف ولاء الشاعر وقربه للبلاط، فراجت القصيدة الأدبية وطغى الاهتمام العام بالشعر والشعراء، وإذا كان كذلك فليكن آل البيت (عليهم السلام) أخرى بتوظيف القصيدة الشعرية لصالح القضية الإسلامية، التي من خلالها تظهر أحقية آل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم، فانعكس هذا الاهتمام على المسلك الأدبي لشعراء تلك الفترة، وكان التحفظ الشديد قد ألجأ الشاعر إلى تقديم غرضه ضمن عرض رمزي يكاد يخفى على النظام الحاكم، ومع هذا التحفظ الشديد لم يسلم الشاعر من بطش النظام وكيدته، حتى قُتل وشرد

الكثير من "أدباء القصيدة العلوية" وكان البرقي نموذجاً لصراع الأدب الشيعي مع النظام، فتأسست مدارس أدبية متحدية توجت عطاءاتها بفضح النظام واثبات القضية الإسلامية لصالح آل البيت (عليهم السلام).
قتل البرقي سنة 245 وذلك بعد أن وصلت قصيدته النونية إلى البلاط العباسي وقرأها المتوكل ليجد فيها:

الصفحة

73

فهو الذي امتحن الله القلوب به
وهو الذي قد قضى الله العلي له
وإن قوماً رجوا إبطال ححكم
لن يدفعوا ححكم إلاّ بدفعهم
فقلدوها لأهل البيت انهم
صنو النبي وانتم غير صنوان(1)

فأمر المتوكل بقطع لسانه، واحرق ديوانه ففعل به ذلك فمات بعد أيام.
هذه هي أنشطة شعراء التشيع آنذاك، وهذه هي أساليب السلطة الحاكمة في إخماد الحس الإسلامي الذي يثبت قضية اسلامية لا تتسجم والتوجه العام للدولة، وعند هذا فكيف يراد اثبات قضية باتت من أخطر القضايا التاريخية التي تدين النظام فيما بعد، فمأساة الزهراء (عليها السلام) كانت خلاصة للحدث الإسلامي بكل خروقاته وكبواته، ومظلوميتها كانت ارهاصاً مبكراً لمظلومية الأجيال الإسلامية المتعاقبة، بما في ذلك آل البيت (عليهم السلام) التي ستجري عليهم ملاحم من الظلم والتكيل تتعاقب على تنفيذها الانظمة السياسية الحاكمة التي تنتزي فيما بعد على منصب الخلافة الإسلامية، لذا فان البرقي وغيره من الشعراء لم يقدموا سوى رمزية أدبية تُظهر معالم المأساة الفاطمية يتماشون التصريح بوقائع الحدث الفاطمي والحصول على أدنى شاهد لاثبات قضيتهم.
أكد البرقي مسألة الهجوم على الدار واحرقه ليثبت هذا الحدث

1- أدب الطف 3: 283 دار المرتضى بيروت.

الصفحة

الاحداث المتعاقبة بعد ذلك.

[4] فقال:

وكللا النار من بيت ومن حطب
وليس في البيت الاكل طاهرة
فلم أقل غدرا بل قلت قد كفرا
وكل ما كان من جور ومن فتن
والمضمرمان لمن فيه يسبان
من النساء وصدّيق وسبطان
والكفر أيسر من تحريق ولدان
ففي رقابهما في النار طوقان(1)
[5] وقال أيضاً:

فلم يوار رسول الله في حدث
واستخرجنا فدكاً منها وقد علما
حتى تعصب فرعون لها مان
بأنها حقها حقاً بتبيان(2)

- 1- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم لأبي علي النباطي البياضي 3: 13 المكتبة
المرتضوية.
2- المصدر نفسه.

السيد المرتضى (قدس سره)

على أعتاب القرن الرابع الهجري، شهد العالم الإسلامي تحوّلًا فكرياً سلبياً نتيجة أفول عصر الغيبة الصغرى الذي تعاوده السفراء الأربعة حيث شكّلوا حلقة الوصل بين الإمام عجل الله فرجه الشريف وبين الأمة، فالأمة تقودها الشرعية الإلهية فكرياً وان كانت تحت ظروف سياسية غير رشيدة، وملاحقات أمنية مشددة، وغياب القيادة الشرعية الإلهية قد أحدث انفجارات متلاحقة كان دويها تتمثله الاضطرابات الفكرية التي اخترقت فكر الأمة القادمة من خارج حدودها، وكانت القيادة السياسية ترتجل في

نزعاتها الفكرية، فتقدّم فئة على حساب ولائها وتؤخر أخرى على أساس انتمائها، وهكذا كانت الحالة الفكرية المضطربة لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها حال، وكانت القيادة الامامية المتمثلة بعلمائها تقود هذه التيارات إلى حيث السلامة الفكرية، فتؤسس منتدياتها العلمية ومحافلها الفكرية على أساس اطروحة آل البيت (عليهم السلام)، وبدأت تستقطب هذه الهيجانات الفكرية لترويضها في مشروع اسلامي واحد، كانت نتائجها الملتقى العلمي الموحد الذي يعقده الشيخ المفيد تحت منبره لتجتمع طوائف الأمة بكل تياراتها المذهبية، وتوجهاتها الفكرية فتنهل من معين آل البيت (عليهم السلام).

ترزّم هذه الحركة الإصلاحية، السيد المرتضى وذلك بعد وفاة الشيخ المفيد، والأمة بمختلف طوائفها لا زالت بحاجة إلى قيادة فكرية، فكان السيد المرتضى من أبرز المرشحين، لهذه المرجعية التي كانت تضم تحت مظلتها مختلف علماء الطوائف الإسلامية، وكان السيد المرتضى يتعامل مع الجميع على أساس توحيد الرؤية وائتلاف الكلمة، وبالفعل شهد مجلس السيد المرتضى ومحفله العلمي مختلف التشكيلات العلمية الفاطنية في العاصمة العباسية يوم كانت تتازع اطروحة آل البيت (عليهم السلام) في كل مبتنياتهما، ومع هذا الظرف الحساس فقد استطاع السيد المرتضى أن يسجّل حضوره العلمي وقيادته المرجعية للطوائف الإسلامية المختلفة، وكان في خضمّ هذا الظرف الحساس يُلقى اجاباته حيثما كانت الأمة بحاجة إلى إجابات موضوعية واعية، ولعل القراءة التاريخية الناضجة كانت تغيب عن قطاعات الأمة بمختلف فصائلها، وكانت اجابات السيد المرتضى الواقعية لا تحجبها الظروف السياسية أو قيادته الاستثنائية، فأسس رؤيته الواعية

للتاريخ الإسلامي على أساس قرائته التاريخية الرشيدة، وقدم اجاباته للأمة تأسيساً لرؤيته التاريخية الناضجة، ولعل قصيدته هذه التي سنورهاها إجابة شجاعة، وقراءة واعية، رافضة لكل مساومة على حساب الحقيقة التاريخية أو مبتنيات المذهب، فلاحفاء ولا تمويه بل هي الحقيقة المنتزعة من تراث الأمة بكل طوائفها، والناشئة من مسلماتها وبديهياتها، فجاءت قصيدته خلاصة لوجهة نظر الطائفة، واجابة ناضجة للأمة بكل تشكيلاتها العقائدية.

* * *

[6] قال في قصيدته بعد ذكر فضائل علي (عليه السلام):

برئتُ الى الرحمن ممن لفاطم
فماتت وآثار السياط بجنبها
وغسلها الهادي الوصي وضمها
فلما أضاء الصبح جاؤا لدفنها
على فذك بالسوط قنَّعها قسرا
ونحلتها غصباً ومقلتها عبرا
إلى قبرها ليلا وأودعها سرا
فما وجدوا الزهراء ولا عرفوا القبرا

الصفحة
78

فلما أرادوا نبشها ثار مغضباً
فصاح عليهم مغضباً يا آل غالب
فما نطقوا في نبشها قط كلمة
وسلَّ الحسام العضب واعتقل السمرا
فأقسم بالرحمن أجزركم جزرا
ولا شهروا سيفاً ولا برحوا شبرا(1)

1- أسرار الشهادة: 541 للفاضل الدربندي. منشورات الاعلمي طهران.

الصفحة
79

علي بن المقرب

بدأت المدرسة الأدبية التقريرية على أنقاض المدارس التاريخية التبريرية أي أن هذه المدارس روعيت في توجهاتها النزعة الشخصية للكاتب التاريخي، فالقضية التاريخية تدخل في عمليات "تجميلية" تبرر المواقف المرتجلة لبعض الوجودات المدعّمة "بالحصانة المقدسة" التقليدية التي أسبغتها أحاديث القداسة والتجليل للصحابي، وعندها تتقلّت المشاريع التاريخية في عمليات التبرير والاعتذار للقضية التاريخية مراعاة للاعتبارات، الشخصية المفتعلة.

الصفحة
80

هذه المشكلة زحفت على أكثر الوقائع، وحاولت على أساسها تصفية حسابات قدّمت المشاريع توصيات بشأنها تؤكد على غلق "ملفات" هذه الاحداث لتُحيلها إلى "مشتهيات

فنية" يقدّمها الكاتب ضمن مشروعه ديباجة تقليدية لاحداث السنة التي يريد تأريخها، أو يتقنن في تخريجات تقرر مبنتيات مدرسته.

في خضمّ ذلك ظهرت المدرسة الأدبية التقريرية وسجّلت حضورها الثقافي الذي من خلاله قدّمت مبنتيات مدرسة آل البيت (عليهم السلام) وقرأت التاريخ بموضوعية وأمانة. كان القرن السابع الهجري يحفل برواد هذه المدرسة التقريرية، وتزعّم هذه الظاهرة في البلاد الاحسانية الأمير علي بن المقرب كما تزعم نشاط الحركات السياسية الناضجة في هذه البلاد، وقاد الحركة الأدبية إلى حيث الموضوعية التقريرية، كما قاد البلاد إلى حيث السلامة الفكرية في خضمّ هذا الهيجان الفكري المتلاطمة آراءه بين المدارس الإسلامية المختلفة، واستطاع أن يرسي بلاده الساحلية على ضفاف سواحل المدرسة الإمامية ليقودها إلى شواطئ النجاة.

قرر الأمير علي بن المقرب مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وسجّل قراءاته التاريخية الموضوعية في قصيدته هذه، وأكد من خلالها تداعيات سياسية تتهاوى تحت واقعية التقرير الموضوعي للتاريخ.

[7] قال من قصيدة له:

يالبيت شعري فمن أنوح منهم	ومن له ينهلُ فيض أدمعي
اللوصي حين في محرابه	عمم بالسيف ولما يركع
أم للبتول فاطم إذ منعت	عن إرثها الحق بأمر مجمع
وقولُ من قال لها يا هذه	لقد طلبت باطلا فارتدعي
أبوكِ قد قال بأعلى صوته	مصرحاً في مجمع فمجمع
نحن جميع الانبياء لا نرى	أبناءنا لإرثنا من موضع
وما تركناه يكون مغنماً	فارضي بما قال أبوكِ واسمعي
قالت فهاتوا نحلتي من والدي	خير الانام الشافع المشقّع
قالوا فهل عندك من بيّنة	نسمع معناها جميعاً ونعي
فقال ابناي وبعلي حيدر	أبوهما أبصر به وأسمع

فأبطلوا إسهادهم ولم يكن
ولم تزل مهزومة مظلومة
أم للذي أودت به جعدتهم
ألى آخر القصيدة.

نص الكتاب عندهم بمقنع
برّد دعواها ورضّ الاضلع
يومئذ بكأس سمّ منقع(1)

1- إِبّ الطف 4 : 32.

الصفحة
82

الصفحة
83

القاضي النعمان

ابو حنيفة النعمان بن

محمد بن منصور بن احمد التميمي

كانت الدولة الفاطمية تجربة جديدة تدخلها فلسفة النظام الإسلامي، فالدولة الأموية كانت بكل دقائقها انفلتتاً سياسية قدّمت الأمة من خلالها تضحيات فكرية فضلاً عن التضحية الجسدية التي راح من خلالها الآلاف من الأبرياء، والتجربة العباسية كانت أكثر وقعاً على الأمة بعد أن أصيبت بخيبة أمل استهدف طموحاتها للوصول إلى ما كانت ترجوه من إقامة

الصفحة
84

الدولة الإسلامية بقيادة آل البيت (عليهم السلام)، فالمبادئ التي رفعها العباسيون كانت أول ضحية افتتح بها العباسيون دولتهم، وبقي الحس الإسلامي للامة المتطلع لأقامة الدولة العادلة مكتوماً تحت وطأة فشل الثورات العلوية التي لم تكن بعضها مبرمجة ضمن أيديولوجية العمل التنظيمي والعسكري من وجهة نظر آل البيت (عليهم السلام)، بل كان بعضها رغبةً في التنفيس عن المعاناة التي لم يطيقها بعض العلويين، في حين كان البعض من العلويين يرى تكليفه الشرعي يوجب عليه حتمية الانتفاضة بعد أن يرى له من الاتباع من يحثه

ويلقي عليه مسؤولية القيادة الشرعية للانتفاضة الشعبية التي تنطلق من معاناة عامة الناس دون الدراسة الميدانية الكافية لمعرفة متطلباتها أو القصور في استيعاب حدود المسؤولية الشرعية التي تضمن مشروعية تحرك الثورة وتنقلاتها، فقد كان الثوار يبتعدون أحياناً عن آل البيت (عليهم السلام) . بالرغم من المناداة بحقوقهم . وذلك لأسباب عدة منها:

أولاً: إن الموقف الأمني الذي يعيشه آل البيت (عليهم السلام) والرقابة المشددة من قبل النظام لم يفتح المجال للثوار من مواصلة الاتصال بآل البيت (عليهم السلام) وتلقي المعلومات الكاملة لصياغة الثورة وبرمجة تحركاتها، بل لم يستطع القائد أن يتصل بالإمام خصوصاً وأن القائد يعيش في ظروف أمنية سيئة يتعرض من خلالها إلى التشريد والملاحقة والاختفاء، فكيف والحال هذه يستطيع القائد أن يتحرك بحريته ليواصل لقاءاته بالإمام (عليه السلام) ومشاورته؟

ثانياً: كانت بعض الثورات العلوية مرتجلة، قد تغلبت عليها النزعة الانتقامية من النظام دون النظر إلى حيثيات امكانياتها.

ثالثاً: لم تكن بعض الثورات تتوافق مع آل البيت (عليهم السلام) لتوجسها من

نصحهم بعدم ملائمة الظروف الحالية للقيام بالثورة فيحاول القائد أن يعض النظر عن الإمام ويرتجل في قراراته خوفاً من تفويت الفرصة التي يراها بنظره القاصر فقط لإعلان ثورته بعد حصوله على بعض الانصار .

رابعاً: كانت بعض التكتلات السياسية التي تريد أن تتحرك ضمن شرعية معينة تجعل في مقدمتها شعارات علوية براقية، أو قيادة علوية ممتازة تنصدر تحركاتها لتكسب من خلالها شرعية حركية عامة، علماً أن هذه التكتلات لم تكن قد اتفقت مع آل البيت (عليهم السلام) لا منهجاً ولا أسلوباً.

هذه بعض الاسباب التي ساعدت على اخفاق الثورات العلوية التي تحركت إبّان الدولة العباسية وحتى الدولة الأموية كذلك، لذا لم تكن هذه الثورات جديرة في الحصول على النتيجة المتوخاة، كونها لم تكن ضمن اطار آل البيت (عليه السلام)، واعتقدت في آل البيت قيادة معطلة أرجنتها الظروف السياسية وغير صالحة على الأقل في هذا الطرف السياسي المشدد، لذا بررت ابتعادها عنهم كعمل تكتيكي مما سبب في اخفاقها وتعثرها.

في القرن الثالث الهجري نضجت بعض الحركات العلوية الثورية كاطروحة تنظيمية، وعمل سري دقيق، إلا أنها أخفقت كاطروحة تنظيمية تتعهد بالتزام مبدأ آل البيت (عليهم السلام) فكان الفاطميون قد تطلّعوا إلى الحكم على أساس الفلسفة الاسماعيلية القاضية بإمامة اسماعيل بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وأولاده من بعده، ولسنا في صدد استعراض عقيدتهم، بل الذي نريد تأكيده أن الدولة الفاطمية قامت على أساس شعارات علوية إلا إنها على حساب المبادئ الإمامية الاصيلية، نشطت الحركة الثقافية في الدولة الفاطمية وازدهرت القصيدة العربية لتتخذ أغراضاً فنية جديدة

كالموشحات التي راجت صناعتها حينئذ، ولعل الشاعر الإسلامي استفاد من الحس الشيعي الذي يحمله الفاطميون أن يقرر في مقطوعته قضية اسلامية، ولعل العداء السياسي الذي نجم عن الاختلاف الفكري بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية قد أتاحت للشاعر أن يقرر مسلكه الأدبي الملتزم فيظهر قضية عقائدية لا يجوز الاباحة له في ظل النظام العباسي الحاكم، وعمل في ظل الخلاف الفكري بين الدولتين أن يقرر مسلماته العقائدية ضمن عمله الأدبي، وهو ما أتيج فعلاً للقاضي النعمان مثلاً، والذي أخرج عملاً أدبياً ضخماً أودعه في ارجوزته التي بلغت أكثر من ألفي بيت ضمّنها محاججات عقائدية تثبت أحقية آل البيت (عليهم السلام)، وتحدثت عن مظلوميتهم، وكان لمأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) حظاً وافراً من ارجوزته هذه، فجمع بين القابلية الأدبية وبين قوة الحجة والبرهان.

ولد القاضي النعمان (1) سنة 259 هـ وتوفي سنة 363 هـ وكان عدوله من المذهب المالكي إلى المذهب الإمامي أثراً في قربه لمؤسس الدولة الفاطمية "عبدالله المهدي" ورافق الدولة الجديدة خطوة فخطوة، فبعد وفاة المهدي ولاء القائم بأمر الله قضاء طرابلس الغرب وفي عهد المنصور تولى قضاء المنصورية، وكان قضاؤه يشمل سائر المدن الافريقية مرجعاً لجميع القضاة حتى عهد المعز لدين الله الذي قرّبه اليه، وأدناه مجلسه..
واليك بعضاً من مقتطفات ارجوزته:

1- راجع ترجمة أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين 1: 223، وتنقيح المقال للشيخ عبدالله المامقاني في ترجمة القاضي النعمان.

[8] قال القاضي النعمان في ارجوزته التي أولها في التوحيد:

الحمد لله بديع ما خلق عن غير تمثيل على شيء سبق
بل سبق الاشياء فابتدأها خلقاً كما أراد إذ براها
لم يتخذ صاحبةً ولا ولد ولم يكن جل له كفواً أحد
ولا له من خلقه وزيرُ ولا شريك لا ولا ظهير
إلى أن يقول في الأوصياء الأئمة عشر بعد النبي (صلى الله عليه وآله):
أحمده شكراً على نعمائه تعرض المزيد من آلائه
والحمد لله الذي قد انتجب محمداً من خلقه لما انتخب
فخصه بالوحي والنبوة. وخص بالأمره والأخوه
من بعده أبالحسين والحسن فسلم الأمر إليه إذ ظعن
صلى عليهما الذي اختارهما واختار من بعدهما آلهما
فاختصهم بالفضل والكرامة وجعل الحجة والامامة
فيهم فلم تزل عليهم تقتصر حتى انتهت إلى الإمام المنتظر
ثم يقول أن لكل نبي وصي:
أجمعت الأمة فيما قد عرف من قولها واتفقت لاختلاف
أن أبا إذ تولى أداماً صلى عليه ربنا وسلمنا
أوصى إلى شيث فخلى شيثاً خليفة ولم يكن مبعوراً

ثم يعدد الانبياء وأوصيائهم حتى يقول:

وصي عيسى فحكموا فيما رووا وصية الرسل معاً حتى انتهوا
إلى محمد النبي المصطفى فاختلفوا وليس بالحق خفا

في ذكر اختلاف الناس في وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله):

ذكر قوم أنه أوصى	إلى علي في الذي قد نصا
بأهله وماله وعترته	وبالقيام بعد في أمته
وقال قوم انما أوصاه	بأهله إذ جاءه قضاءه
وماله قالوا على الكلية	ولم يكن أوصاه بالرعية
وقال قوم نحن لسنا ندري	أوصاه أولم يوصه بالأمر
وقيل بل قد جمع في وصيته	بالدين والكتاب كل أمته
وقال قوم لم تكن وصية	منه إلى خلق من البرية
بأنه لم يكن يدعيها	غير علي ام يقوم فيها
ولا ادعاها أحد كان اعتقد	خلاف ما قال علي لأحد

ذكر الرد على من زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يوصي إلى أحد:

يقال للزاعم للخلاف	بأنه لم يوص ان النافي
ليس بشاهد على ما أجمعوا	فاسمع فان القول ما قد تسمع
فان يقل بنية قوية	فأنت ما أدراك بالوصية

قيل له السنة والكتابُ
 أما سمعت الله في كتابه
 وقد يزيل الباطلُ الصوابُ
 يأمر فيه الناس بالوصايا
 ان كنت تتلوه على صوابه
 وأنه شدد فيها إذ أمر
 ان تركوا خيراً من العطايا
 حتى أباح في الوصايا في السفر
 إلى آخر ما ذكره بشأن وجوب الوصية ثم يذكر الرد على من زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) إنما أوصى إلى علي بماله وأهله ولم يوصه بأئمة:

يقال للقائل أن المرتضى
 قولك لم يوص بها محالٌ
 لم يوصى بالأمة لما أن مضى
 لأنه لا تقبلُ الأقوال
 في قول أهل العلم أجمعينا
 لأنه في حالة المعاندِ
 ممن نفى الاشياء أن تكونا
 وإنما يقبل قول الشاهدِ
 فيما يقول انه قد كانا
 سمعه أو رآه عيانا
 وسترى ذلك في كتابي
 فيما ترى من مثل الابواب
 بما روى التثبت عن الثقات
 من طرق شتى ومن جهات
 من أنه أوصى بها فسلم
 لعلم من علم مالم تعلم
 ان كنت للصواب ذا اعتراف
 وفي الناظرات ذا انصاف
 وهذه السبيل والمحجة
 في قولكم إذا أردتم حجه
 وكيف أطلتكم على نبيكم
 مالا يجوز عندكم لغيركم

من أنه أوصى بمال وولد
 بغير راع بعده يرعاها
 وترك الأمة بعده بدد
 يدفع عن بيضتها عداها
 إلى آخر الابيات ثم يذكر اجماع الناس على أنه لا بد من إمام:

أن يعزى إلى الإسلام	بأنه لا بد من امام
يجمع ألفة الجميع منهم	ويدفع الاعداء طراً عنهم
وينفذ الاحكام للخصوم	ويقمع الظالم للمظلوم
وهو يقيم الحج والحدودا	وينصب الجهاد والجنودا
ويصلح السبل والبلادا	ويقطع البدع والفسادا
ويقسم ألفيء على المقاتلة	والصدقات في الوجوه الكاملة
وهو يقيم لهم الصلاتا	ويقبض الجزية والزكاتا
وكلما اليه قد يحتاجوا	ولو أضاعوا أمره لماجوا

إلى آخر الأبيات.

ثم يذكر اختلاف الناس في صفة القائم بعد النبي (صلى الله عليه وآله)

أجمع اصحاب النهى والطيش	أن الإمام العدل من قريش
وانه لا بد فيما وصفوا	من نصبه ضرورة واختلفوا
في نعته ووصفه أفرقا	أربعة وافترقوا افتراقا

إلى آخر اببياته.

ثم يذكر أصل ما تقوله الشيعة في صفة الإمام

جماع أصل ما تقول الشيعة	في صفة القائم بالشيعة
بأنه في صفة الرسول	وليس للرسول من عدل
لكنه اقدمهم اسلاما	يكون بعد المصطفى إن قاما
أعلمهم بما يراد علما	واعظم الناس تقى وحلما
وورعاً وعفة وسابقة	ونية في الصالحات صادقة
وأكثر الأمة في الجهاد	عناً وفي الانفاق والاعداد
أقربهم من النبي قريبا	وطاعة لأمره وحبا
وأزهر الناس وأعلاهم تقى	وأحسن الناس رواً وخلقا

هذا الذي قد أصلوا في صفته

وسوف أحكي بعد في معرفته

إلى آخر أبياته.

في ذكر وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)

لما توفى الله جل عبده

اليه واختار له ما عنده

محمداً صلى عليه ربه

تتازع الأمرة قالوا صحبه

وهو مسجى بينهم طريح

لم يكتنفه عنهم الضريح

وأهل بيته ومن توالى

اليهم لفقده نكالى

قد شغلتهم مفجعات فقده

عن الذي قد أبرموا من بعده

الصفحة

92

وكان قد أنام فيمن خلّقا

وصيه عليهم مستخلفا

وأخذ العهد على الجماعة

منهم على السمع له والطاعة

في غير مشهد على ما سمي

وقد روى ما كان يوم خم

جماعة الناس وسوف آتى

بما حكوه بعد في صفاتي

وكان لما أن رأى جمامه

قاربه دعى لهم أسامه

ثم دعى الذين كان يحذر

منهم أبو بكر ومنهم عمر

فقال قد جعلت هذا واليا

عليكم فاستمعوا مقاليا

وقد بعثته فلا تخلّفوا

عن بعثه وقال فيما وصفوا

فلعن الله جميع من لبث

عن بعثه ممن إليه قد بعث

فعندما سار بهم وبرزوا

جاءتهم وفأته فأنحزوا

عن بعثهم قيل وعن أميرهم

وانصرفوا إلى خلال دورهم

واهتبلوا الفرصة لما أبصروا

شغل الوصي بالنبي يكثر

وحزنه عليه واهتمامه

بما دهاه منه واغتمامه

فقصدا جماعة الانصار

وهم مع الكثرة أهل الدار

فاجتمع الجميع في سقيفة

عند بني ساعدة معروفة

فجاءهم عتيق لاحتياله
فقال أنتم ثم قص فضلهم

باللين واللفظ من مقاله
وذكر الناس جميعاً فعلهم

حتى إذا أَرْضَاهُمْ بلفظه
فقال وجه الأمر أن تستخلفوا
سعداً فقال لا تكون الامرة
قالوا فمنكم رجل ومثاً
بشركة تكون في الامارة
وهي لكم من أحسن الأمرين
يعني أبا عبيدة أو عمرا
وانما حملة فيما ذكر
وكان ذاك بينهم أمراً عقد
فبايعاه جهرةً وقالوا
وقام منهم أهل قتلى بدر
فبايعوا وهم رؤوس قومهم
إلاً قليلاً منهم قد علموا
وقصدوا امامهم علياً
قالوا بلى نفعلُ قال انطلقوا
رؤوسكم كلكم لتعرفوا
إليّ كيما أنصب القتالا

عاد إلى مراده من حظه
عليكم خليفة فوصفوا
إلاً لذي القربى وأهل الهجرة
شريكه فقال ما سمعنا
لكننا نعطيكم الوزارة
وقد رضيت أحد الاثنتين
وبهما كان على القول اجترا
بعضهم على قيامه عمر
فقصد إليه ممن قد شهد
بل أنت خير من نراه حالا
وغيرها وأهل حقد الاسرِ
فبايع الناس له من يومهم
ما كان من نبيهم فاعتصموا
فقال لستم فاعلين شيئاً
من فوركم هذا فحلّقوا
من بينهم بذلكم وانصرفوا
حتى يكون ربنا تعالى

يحكم فيما بيننا بحكمه

ففشلوا لما رأوا من عزمه

واستحسن الباقون أخذ البيعة
لست أرى عليكم قتالا
ليس لكم بجمعهم من حيلة
ماذا يرى في أمرهم ويأمر
إذ لم يروا لمن أقام طاعة
وهي لهم قالية مصارمة
فكسر الباب لهم أو لهم
فضربوها بينهم فأسقطت
اليهم الزبير قالوا فعثر
وأطبقوا على الزبير فأسير
إذ لم يروا دفاعهم ينجيهم
حتى أتوا بهم عتيق
سارت بهم نوابح الكلاب
اعزز عليّ ذاك من مسير
كالنار يذكي حرّها اعتقادي
أضرم حر النار في أحشائي

ولم يكن يأتيه إلاّ سبعة
وكنت قد سميتهم فقالا
لأنكم في قلة قليلة
فجلسوا اليه حتى ينظروا
فجاءهم عمر في جماعة
حتى أتوا باب البتول فاطمة
فوقفت عن دونه تعذلهم
فاقتحموا حجابها فعولت
فسمع القول بذاك فابتدر
فبدر السيف اليهم فكسر
فخرج الوصي في باقيهم
فاكتنفوا ومضوا في ضيق
أكرم بأساد وليث غاب
إلى ابن أوس بل إلى خنزير
يا حسرة من ذاك في فؤادي
وقتلهم فاطمة الزهراء

بأنها ماتت من النفاس
وأن يعمّي قبرها لكي لا
ورھطه ثم مضت بغمها
وهي عن الأمة غير راضية
والله قد رخص للبرية
في الكفر للكفر بلا اعتقاد

لأن في المشهور عند الناس
وأمرت أن يدفنوها ليلا
يحضرها منهم سوى ابن عمها
صلى عليها ربها من ما فيه
فبايعوا كرهاً له تقيّه
لأنه الرؤوف بالعباد

وقد أتى فيما روى عن شيعته بأنه عاتبهم في بيعته(1)
إلى آخر ارجوزته التي بلغت ألفين وثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتاً.

1- الاجوزة المختارة للقاضي النعمان بتحقيق وتعليق اسماعيل قربان حسين بونا والا معهد الدراسات الإسلامية جامعة مجيل، مونتريال كندا 1970. الطبعة الأولى.

الصفحة
96

الصفحة
97

طلّاع

بن رزيك الملك الصالح

إذا كان منتصف القرن السادس الهجري قد حفل برجالته المجددين كالمفيد الثاني ابن الشيخ الطوسي في الحوزة النجفية، والشيخ ابن زهرة . حمزة بن علي . في البلاد الشامية، فان مصر الفاطمية قد حفلت بنهضتها العلمية . الأدبية على يد وزيرها الصالح طلّاع بن رُزيك.

اعتادت مهمة الحاكم السياسي أن تُقدّم في أولويات أعماله تثبيت دعائم ملكه إلا أن وزارة طلّاع بن رزيك سعت إلى تثبيت معالم المدرسة الإمامية

الصفحة
98

في البلاد المصرية، يوم كان التنافس العقائدي الذي تعكسه الصراعات السياسية على أشدها، فالبلدان العراقية أنذاك مقطّعة الأوصال بين بقايا الخلافة العباسية، وبين الدولة السلجوقية القائمة على انقاض هذه الخلافة الآفلة، والفتن تجتاح البلدان الإسلامية لتقوم على اثر ذلك دويلات صغيرة متنافسة ضعيفة تمتد من الشرق الإسلامي حتى حدود غربه الفاطمي الذي قامت دولتهم يوم ذاك على صراعات رجالها، والثقافات المختلفة التي تحمل معها عقائدها الفكرية وطروحاتها السياسية تتوزع بين حواضر البلدان الإسلامية التي إنهكتها من صراعاتها العقائدية.

كان طلائع بن رزيك في خضم هذه الظروف يقدم طروحاته العقائدية المبنية على أساس معالم المدرسة الامامية، وكانت مشاريعه الأدبية تسعى حثيثاً لاثبات معالم هذه المدرسة فقدم ديوانه الحافل بقصائد الولاء ليتبرج صحوه فكرية ملتزمة.

ولد الملك الصالح طلائع بن رزيك سنة 495 هـ ودخل مصر على اثر مقتل الخليفة الظافر الفاطمي الذي قتله وزيره عباس وأجلس ولده الفائز، فاستنجد الجند بالملك الصالح وطلبوا خلاصهم من الوزير فدخل طلائع مصر دون قتال وانهزم الوزير عباس واستقامت له الأمور.

أكد طلائع بن رزيك في مشروعه الأدبي مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) فكانت احدى العناوين المهمة في قصائده الشعرية وأهم قضية عالجها مشروعه الأدبي، فكان شاهداً على الصحوه الفكرية لاتباع آل البيت (عليهم السلام) في تلك البلدان وشاهداً على الارتكاز العقائدي لمظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) في أذهان الأمة المصرية.

[9] له عدة قصائد منها قوله في العترة الطاهرة (عليها السلام):

لولا قوامك يا قضييب البان
ولو أن ريقك لم يذقه ذائق
لم يحسن القضبان في الكتبان
ما طاب طعم الماء للعطشان
إلى أن يقول:

ما باهل المختار أهل خلافه
كلا ولا صلى وتلك وغيرها
ما كان إلا المرتضى في المرط
أفخرتم (بالغار، لما حله معه
في دينه بفلاته وفلان
معه بجنح الليل في الاردان
بالاجماع والزهراء والسبطان
أمرو في صفه وأهان
متعرضاً لشفار كل يمان
ونسيتم من بات فوق فراشه
ما كانت (الشورى) التي قد لفقت
أخبارها بالزور والبهتان
الا كيوم بالسقيفة شيدت
فيه مباني الظلم والعدوان
يتمسكون لهم ببببعة فلتة
وبها نفضتم ببببعة الرضوان
ورويتم أن الوصي أجابهم
كرها ولم يقدر على العصيان

والطهر فاطمة يُشال لبيتها
أفمنقذ لهم من النيران من حملوا
من أجلها قبس برأس سنان
إلى ابنته لظى النيران(1)

1- ديوان طلائع بن رزيك الملك الصالح: طبعة إولى 1964 المكتبة الاهلية.

الصفحة
100

[10] وله من بعض قصائده:

أوصى النبي اليه لا أحد
فقال: هذا وصيي والخليفة من
قالوا: سمعنا فلما أن قضى غدروا
لم أقتفى فعله الثاني ودام على
وجاء بالظلم والعدوان ثالثهم
وعاد زوج البتول الطهر فاطمة
وأظهروا الحقد في آل الرسول فما
حتى لقد حملوهم في زمان بني
سواه في . خم . والاصحاب في علن
بعدي وذو العلم بالمفروض والسنن
والطهر أحمد ما واروه في الجبن
الاعضاء عن حقه خوفاً من الفتن
والدين من فعلهم ذو مدمع هتن
أخو النبي يرى في زي ممتهن
تطوي جوانحهم إلا على أحن
أمية فوق حد الصارم الخشن

الصفحة
101

إلى أن يقول:

فالوجد مني لا يفني تضرمه
أغريرتموني بأن أبدي مقابحكم
يكفيكم أن أجزتم ظلم فاطمة
عليهم أبدأ والدمع لم يخن
وأن أردي اليكم أظهر الجنن
وقتلکم للحسين الطهر والحسن(1)

إلى آخرها.

[11] ومن روائعه في مدح آل البيت (عليهم السلام).

أنا من شيعة الامام علي
أنا من شيعة الإمام الذي ما
حرب أعداءه وسلم الولي
مال في عمره لفعل دني

من توالى فيه بكأس روي
فارتاض كل صعب أبي

أنا عبد لصاحب الحوض ساقى
أنا عبد لمن أبان لنا المشكل

1- ديوان طلائع بن رزيلا: 147.

الصفحة
102

له عند صرعة العامري
بلا مرية أخا للنبي
بات في الفرش عنه غير علي
لم يكن موصياً لغير الوصي
والمسوي بغير نقص وعي
فمالي ورأي كل غوي
فضله في الوري لغير خفي
الشهير المبين غير غبي
لي نصراً على الشجاع الكمي

والذي كبرت ملائكة الله
الإمام الذي تخيره الله
قسماً ما وقاه بالنفس لما
ولعمري إذ حل في يوم خم
ألمبري من كل عيب وريب
فيه قد هداني الله للحق
خفي الفضل في سواه وأما
من تغابى عنه فمثلي عن الفضل
واتصالي به لدى الحرب أبدا

الصفحة
103

كنت منه على رجاء مضي
على منهج الصراط السوي
في علي على يقين قوي
إذ مطيع الغوي نفس الغوي
وذكرى سواهم كالنعي
ت مجاري الرضاع جسم الصبي
أن تأملتني فغير سخي

وإذا أظلمت خنادس خطب
وأنا منذ كنت أسعى لساداتي
يا ضعيف اليقين ان اعتقادي
أنا في القول لا أطيع غوباً
ذكر آل النبي عندي كالبشرى
قد جرى حبهم بجسمي كما إحتد
أنا أسخو بالمال لكن بديني

في ولائي أبرى من الظالم الغا
من دعاني إلى الأئمة أسرعت
شم فاسكن إلى ولي بري
إليه ولم أكن ببطي

الصفحة
104

وإذا ما خيار قومي رضوا عني
فاجتل الآن من نظام ابن رز
لم أحتقل بغير رضي
يك حلياً يفوق نظم الحلي
وإذا أجديت خواطر قوم
فاحظ من خاطري بروض ندي
خاطر تقرب المعاني عليه
ان دعاها من المكان القصي
كلم تكسب المعاطف والتيجان
هزأ ان أنشدت في الندي(1)

1- ديوان طلائع بن رزيك: 171.

الصفحة
105

الشريف

قتادة بن إدريس بن مطاعن

إذا كانت لمكة الأدبية بقاياها الشعرية، فان قصيدة الشريف قتادة بن إدريس بقايا لهذا
البريق الأدبي الخالد، وإذا كانت الحركة الأدبية تعبيراً عن حركة فكرية معطاء تترجم
شخصية الأمة وقتذاك، فان قصيدة الشريف قتادة قد ترجمت وجدانيات الأمة بهواجسها
المريرة لتاريخ متخاذل.
جاءت القصيدة قراءة للحالة التاريخية المضطربة يوم تقاطعت الرؤى الفكرية وتشابكت
التوجهات بعيد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) الى الرفيق الأعلى،

الصفحة
106

فكانت الدوائر السياسية تتورط في قراراتها المرتجلة المتسعة، وتتزاحم للحصول على أولويات القرار الذي يعطي الشرعية السياسية لهذا الوجود أو ذاك، وكانت الشرعية الحقيقية تنحسر امتداداتها في غمار هذه اللعبة السياسية أو تلك المجازفة المرتجلة، والانفعالات السلطوية متشنجة إلى حد تتخبط في قراراتها الساذجة، فكتلة تُستبعد وأخرى تُقدّم، وهكذا لم تستقر الحالة العامة حتى إنكشفت عن ائتلاف سياسي مبرمج أطاح بكل ثوابت الأمة وأخلاقياتها، وتظافت قوى سياسية غير متكافئة فكرياً من أجل الاطاحة بالشرعية الإلهية التي تسالمت عليها الفرق المتناحرة قديماً والمؤتلفة فيما بعد.

هكذا كانت قصيدة الشريف، حكاية للتاريخ الذي أودى بالثوابت الشرعية وخالصة لمجريات حدث يتضخم يوماً بعد آخر ليُدخل في حوزته سلسلة الاحداث لثُحال الى تهميشات المتحفظين من ذوي الترحج السياسي، فتجعلها ركامات قصصية لأبواب تشريفية يفتتحها المؤرخ تقليداً أو يختتمها بوصايا المحتشمة في التعرض للسلف الصالح، فتبريرات جاهزة تُقدّم على طاولات الاعتذار فان، الذي اخطأ له أجرٌ والذي أصاب له أجران، هكذا تُمحق الحقائق وتُزبرج الهالات القدسية المفتعلة الممنوحة إلى الوجودات المصونة التي لا يحق لأحد مناقشة تاريخ تحركاتها المضطربة، فالنقاش فيها خرق لثوابت التعظيم التي أضفته ظروف سياسية مفتعلة، والنزاع فيها تضعيف لوحدة الأمة، وهكذا تجابه الجهود التحقيقية في مثل هذه القضايا الهامة من تاريخ الأمة وتقرّم الاحداث الإسلامية الكبرى على انها حالات طارئة حدثت ثم انتهت فلا حاجة اذن في اعادة قرائنتها،

فالصخب الذي تُحدثه التثقيفات الحاكمة بوجه الجهود التاريخية التحقيقية إنما يكشف عن حقيقة واحدة، وهي أن التاريخ المضطهد لآل النبي (عليهم السلام) لا يمكن تضييبه بالرؤية المفتعلة الخارجة من بين ركامات تنظيرية سياسية، فالواقع له منطقيته وأصالته التي تفرض نفسها على أي مشروع مبرمج يهّمس الحقائق و يقزّم الاحداث.

قدّم الشريف قتادة إلى الدائرة الأدبية الشعرية هذه الرؤى، وجعل من قصيدته الرائعة مفردة ناضجة لمشروع ثقافي يلقي بظلاله على الاحداث الإسلامية بشكل متسلسل بديع، وقراءة راشدة متوازنة.

كانت مسألة الزهراء (عليها السلام) محور المشروع الثقافي هذا، فقرأ من خلالها تاريخ أمة، وأقرأ الأمة لتاريخها المضيق وهويتها المفقودة.

* * *

[12] قال في رائعته الفاطمية:

وعراها من عبرة ما عراها	ما لعيني قد غاب عنها كراها
ثم فارقتها فلا اغشاها	ألدار نعمت فيها زمانا
يتجلى الدجى بضوء سناها	ام لحي باتوا باقمار تم
اني بصدق الوداد ام اهواها	ام لخود غريرة الطرف تهو

عارا مشمولة اسقاها	ام لصافي المدام من مزة الطعم
آخر العمر باتباع هواها	حاش لله لست اطمع نفسي
تعالى بلطفه واجتباها	بل بكائي لذكر من خصها الله
الامامين منه حين حباها	وحباها بالسيدين الزكيين
استحسننا ظلمها وما راعياها	ولفكري في (الصاحبين) اللذين
والعقد وكان المنيب والأواها	منعا بعلمها من العهد
قبل دفن النبي وانتزها	واستبدا بامرة دبرها
ث من المصطفى فما ورثها	وأنتت (فاطمة) تطالب بالار
آن فيها والله قد اداها	ليت شعري لم خولفت سنن القر
يرض فيها النبي حين تلاها	رضي الناس اذ تلوها بما لم
ام هما بعد فرضها بدلاها	نسخت آية المواريث منها
ت بود الزهراء في قرباها	ام ترى آية المودة لم تأ
حجة من عنادهم نصبها	ثم قالوا أبوك جاء بهذا
يورثوا في القديم وانتزها	قال للانبياء حكم بان لا
ن نبي الهدى بذلك فاها	أفبنت النبي لم تر إن كا
قال حاشا مولاتنا حاشاها	بضعة من محمد خالفت ما

تطلب الارث ضلة وسفاها	سمعته يقول ذاك وجاءت
افضل الخلق عفة ونزاها	هي كانت لله أنتقى وكانت
آن ويح الاخبار ممن رواها	أو تقول النبي قدخالف القر
وسل مريم التي قبل طاها	سل بابطال قولهم سورة النمل

وسليمان من اراد انبتاها	فهما ينبئان عن ارث يحيى
لدي المصطفى فلم ينحلاها	ثم قالت فنحلة لي من وا
بعلمها شاهد لها وابناها	فاقامت بها شهودا فقالوا
ل الله هادي الانام إذ ناصباها	لم يجيزوا شهادة ابني رسو
طمة عندهم ولا ولداها	لم يكن صادق علي ولا فا
قبح القائل المحال وشاها	كان اتقى الله منهم عتيق
مرارا فبئس ما جرعاها	جرعاها من بعد والدها الغيظ
ر التباسا عليهم واشتباها	أهل بيت لم يعرفوا سنن الجو
الحفظ لعهد النبي لو حفظاها	ليت شعري ما كان ضرهما
دي البشير النذير لو اكرماها	كان اكرام خاتم الرسل الها
وحسان الاخلاق ما اعتمداها	ان فعل الجميل لم يأتياه
لي لما ضاع في اتباع هواها	ولو ابتيع ذاك بالثمن الغا

نهما في العطاء لو اعطياها	اترى المسلمين كانوا يلومو
صادق ناطق أمين سواها	كان تحت الخضراء بنت نبي
ويل من سن ظلمها وأذاها	بنت من أم من حليلة من
فاعتبرها بالفكر حين تراها	ذاك ينبئك عن حقوق صدور
ل عن الغاصبين إذ غصباها	قل لنا ايها المجادل في القو
بظلم كلا ولا اهتضاها	أهما ما تعمداها كما قلت
الله عند الممات لم يحضراها	فلماذا اذ جهزت للقاء
رفقا بها وما شيعاها	شيعت نعشها ملائكة الرحمن
عنادا لأبيها النبي لم يتبعها	كان زهدا في أجرها أم
يشهدا دفنها فما شهداها	ام لان البتول اوصت بان لا

فاطاعت بنت النبي اباها	ام ابوها اسر ذاك اليها
فرية قد بلغت اقصى مداها	كيفما شئت قل كفاك فهذي
الله رب السماء اذ اغضباها	اغضباها واغضبا عند ذاك
يرضى سبحانه لرضاها	وكذا اخبر النبي بان الله
فاطمة أكرمت ولا حسناها	لا نبي الهدى اطيع ولا
ما تسامى في فضله وتناهى	وحقوق الوصي ضيع منها
حين ردا عنها وقد خطباها	تلك كانت حزازة ليس تبرى

كل نفس بغيتها وهداها	وغدا يلتقون والله يجزي
حبة الهودج المشوم بناها	فعلى ذلك الاساس بنت صا
اظهرت حقدها على مولاهما	وبذاك اقتدت امية لما
لعن الله كهلهما وفتاهما	لعنته بالشام سبعين عاما
ر وقد ضمخ (الوصي) لحاها	ذكروا مصرع المشائخ في بد
أتعس فيها معاطسا وجباها	وباحد من بعد بدر ود
وجرت يوم الطفوف قناها	فاستجادت له السيوف بصفين
هر لقبلت تربها وثرها	لو تمكنت بالطفوف مدى الد
ر غدا في معادها تصلاها	ادركت ثارها امية بالنا
عترة المصطفى واشني عداها	اشكر الله انني اتوالى
عداء في حبههم ولا اخشاها	ناطقا بالصواب لا ارهب الأ
ان انشادك الذي انشاها	نح بها أيها (الخدوعي)واعلم
وهي تاج للشعر في معناها	لك معنى في النوح ليس يضاهى
جر فيها من قالها ورواها	قلتها للثواب والله يعطي الأ
بلغت في وداهم منتهاها	مظهورا فضلهم بعزيمة نفس

فاستمعها من شاعر (علوي)
سادة الخلق قومه غير شك

(حسني) في فضله لا يضاها
ثم بطحاء مكة مأواها

[13] وله رحمه الله في مدحها:

ومليكة هي للعقول	هي للقبيل عقيلة
وللزكي وللقنيل	هي للنبي وللوصي
عنكل مذموم وبيل	مقرونة في عصمة
مجوبة في خير غيل	هي لبوة نبوية
درة هزير للرسول	سكن لحيدرة وحي
في مشبلين وفي شبول	من ذين قرت عيشه
مستتير مستطيل	كفوين من نسب قصير
لكل بحر من عديل	بحرين ملتقيين ليس
بعذوبة من سلسبيل	كل يفيض معينه
و لم يكنه عن حليل	جلت حليلة حيدر
كل ذي فضل نبيل	سبقت بحلابة كل فضل
ب كل عقل للنزول	صعدت محلقة فصول
كل ذي شرف جليل	وصلت لحد لم يصله
ورحمة للمستتيل	هي رحمة للمسلمين
الله في يوم مهول	وشفيعة مرضية
به خليل عن خليل	شخصت به مقل وفر
للخلق من ظل ظليل	هل غير بنت محمد:

الشيخ مغامس الحلبي

توهجت الحوزة النجفية في دور تأسيسها الثالث على يد المقدس الاردبيلي (ره) المتوفى سنة 993 هـ، بعد أفول المدرسة الحلية التي أسسها المحقق الحلبي. واستمرت حتى وفاة فخر المحققين ابن العلامة الحلبي سنة 771 هـ وطبيعي لم تتوقف المدرسة الحلية عن الابداع بل استمرت عطاءاتها الفقهية لتضيف إلى نشاطاتها العلمية ابداعاً أدبياً رائعاً إمتك الحس الفقهي وأضاف إلى مهمته العلمية مهمة أدبية تتصدى للدفاع عن المذهب ومبادئه الحقّة، فبرز فقهاء شعراء وظّفوا طاقاتهم الأدبية وملكاتهم العلمية لاثبات

المبادئ الحقّة والمحافظة على مسلمات المذهب وضروراته.

إن أهم من مثّل هذه المدرسة الأدبية شاعرنا الفقيه الشيخ مغامس الحلبي البحراني، كما عبّر عنه الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ محمد علي الطريحي . أخو فخر الدين الطريحي صاحب المنتخب . فلقبّه بالبحراني، إشارة الى نزوحه من البحرين إلى الحلة لينتهل من مناهلها العلمية وليكون أحد علمائها المبرزين، وقد عبّر عنه العلامة الاميني في غديره بأنه: خطيب أديب وابن خطيب أديب.

إن ما يميز شاعرنا هو التزامه بنهج "أدبي وعظي" فلم يتعرض خلال قصائده إلى الغزل أو التشبيب، ووصفه العلامة الشيخ محمد علي اليعقوبي بالورع قائلاً: لم يتعرض في اوائل قصائده للغزل أو التشبيب أو سقت الطلول والاعطان والبكاء على الدمن ومنازل الاحباب كعادة غيره، مما يدل على أن الرجل كان يتورع عن ذكر ذلك كله، وانما يستهل قصائده بذكر الشيب ونعي الشباب، والوعظ والتحذير من الدنيا ومكرها، وتصرف اللبالي وغدرها ثم يتخلص إلى الرثاء(1).

توفي أواخر سنة 900 هـ، وترك قصائد في الوعظ والارشاد ليتخلص إلى رثاء العترة الطاهرة والتي أبرزها مظلومية السيدة الزهراء التي جعلها عنواناً لمظلومية الآل الطيبين.

[14] قال في قصيدته:

كيف السلو والخطوب تنوب
إن البقاء على اختلاف طبائع
والدهر أطوار وليس لأهله
ليس اللبيب من استقر بعبثه
يا غافلا والموت ليس بغافل
أبرزت لهوك إذ زمانك مقبل
فمن النصير من الخطوب إذ أنت
عمل الفتى من علمه مكتوبة
فتراه يكدح في المعاش ورزقه
من سرفيها ساءه من صرفها
عصفت بخير الخلق آل محمد
أما النبي فخانه من قومه
من بعد ما ردوا عليه وصاله
ونسوا رعاية أحمد في حيدر
فاقام فيهم برهة حتى قضى
والطهر فاطمة زوى ميراثها
ومصائب الدنيا عليك تصوب
ورجائي أن ينجو الفتى لعجيب
أن فكروا في حاله نصيب
إن المفكر في الأمور لبيب
عش ما تشاء فانك المطلوب
زاه وإذ غصن الشباب رطيب
وعلا على شرخ الشباب مشيب
حتى الممات وعمره مكتوب
في الخلق أحداث لها وخطوب
ريب له طول الزمان قريب
صر شامية لها وصبوب
في أقربيه محاكم وصحيب
حتى كأن مقاله مكذوب
في "خم" وهو وزيره المصحوب
في الفرض وهو بغضبهم مغضوب
شر الانام ودمعها مسكوب

من بعد ما رمت الجنين بضرية
وسليلها الهادي سقته جعيدة
فقضت وحقها مغضوب
سماً له سبط الفؤاد لهيب

وجرى من الجفن الغريق بمائه
يا يومه ما كان أفبح منظراً
دمع على قتل الحسين صبيب
وأمر طعماً انه لعصيب
بأبي الامام المستظام بكريلاً.
يدعو وليس لما يقول مجيب
بأبي الوحيد وماله من راحم
يشكو الضما والماء منه قريب
بأبي الحبيب إلى النبي محمد
ومحمد عند الإله حبيب
يا كربلا أفيك يقتل جهرة
سبط المطهر أن ذا لعجيب(1)
إلى آخر القصيدة.

1- المنتخب الطريحي للشيخ فخر الدين الطريحي: 292.

الصفحة
118

الحر العاملي

في القرن العاشر الهجري، ليس وحدها المدرسة النجفية قد احتلت مكانتها العلمية وذاع صيتها في افاق العالم الإسلامي، وليس المدرسة الحلية التي انتجتها المدرسة النجفية قد تألقت في الجانب الأدبي فضلاً عن الجانب العلمي، فان مدرسة العاملين التي هي نتاج المدرستين والتي أسسها الشهيد الأول قد تربعت على قمة الابداع العلمي مثلما هي تتربع على قمة جبل عامل لتظل بعطاءها على مدرسة أهل الشام من جهة ومعاهد القدس من جهة أخرى، ثم تمتد إلى مصر الأزهر وجماعة الحرمين، فنُهيمن على مدارس

الصفحة
119

المذاهب الإسلامية لتستمد الأخيرة منها رواء العلم ومنابع العطاء، وتشهد بذلك الحواضر العالم الإسلامي حتى "إن علماء الشيعة في جبل عامل يبلغون نحو الخمس من علماء الشيعة في جميع الاقطار، مع أن بلادهم أقل من عشر عشر بلاد الشيعة"(1). هذه هي الحالة العلمية العاملية، عطاء زاخر وابداع مستمر، وإذا كانت المدرسة العاملية قد تعهدت في نشر علوم آل البيت (عليهم السلام) فانها تلتزم كذلك بالدفاع عن ثوابت

المذهب وضروراته فالمدرسة العاملية تواجه خروقات فكرية كثيرة، وروادها كأهل الثغور يرابطون في تلك البلاد التي تفتح أفاقها على مدارس اسلامية أخرى، وإذا كان الأمر كذلك، فإن العامليين قد وُطِنوا أنفسهم على التصدي للدفاع عن قضية آل البيت (عليهم السلام)، وكانت الوسيلة الأكثر تأثيراً في عصر توهُج فيه الأدب العربي كانت القصيدة الشعرية هي الرائدة في طليعة الدفاع عن حقوق آل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم، ونبغ العامليون العاميون في الغرض الأدبي كما هو نبوغهم في العلوم الفقهية والأغراض الكلامية، وكان الحر العاملي في طليعة هؤلاء الذين بذلوا أنفسهم للدفاع عن حقوق آل البيت (عليهم السلام) وتشبيد دعائم قضيتهم. ففي سنة 1033 هـ ولد الحر العاملي وسط أسرته العلمية التي ضمت والده العلامة الشيخ حسن وعمه الشيخ محمد وجده لأمه العلامة الشيخ عبد السلام بن محمد بن الحسين الحر، وقال والده الشيخ علي بن محمود المشغري العاملي. وهم أساتذته فيما بعد تتلمذ عليهم وأخذ منهم، ولم يقتصر على مشيخة أهله، فإن العلامة الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني،

1- راجع أمل الأمل للشيخ الحر العاملي.

والعلامة الشيخ حسين بن الحسن بن يونس بن ظهير الدين والعلامة السيد حسن الحسيني العاملي والعلامة الشيخ عبد الله الحر فوشي والمولى محمد الطاهر بن محمد الحسين الشيرازي كان قد انتهل من نميرهم، وليس هؤلاء وحدهم فان صاحب البحار العلامة المجلسي أستاذه الأكبر في الحديث كان له الأثر الأكبر في بناء شخصه العلمي و "مدرسته الحديثية".

وكما أن الحر العاملي قد أخذ عن جهايزة العلم في عصره، فإن عطاءه الزاخر قد ترجمه تلامذته اللذين هم بحق فحول عصرهم، ومنهم يستفاد مدى فضله وعظمته، فالعلامة الشيخ مصطفى بن عبد الواحد بن سيار الحويزي والعلامة الشيخ محمد رضا نجل المترجم له، والعلامة الشيخ حسن ولده الآخر والعلامة الشيخ محمد بن محمد باقر الحسيني الاعرجي المختاري، والعلامة السيد محمد بن محمد بدیع الرضوي والمولى محمد فاضل بن محمد مهدي المشهدي، والعلامة محمد تقي بن عبد الوهاب الاسترآبادي المشهدي والعلامة محمد تقي الدهخور أقاني، العلامة السيد محمد بن أحمد الحسيني الجيلاني إلى غير ذلك

ممن لهم الأثر في تحقيق النهضة العلمية الإسلامية آنذاك، ولعل ما تركه من آثاره العلمية تدل على عظمته العلمية والأدبية واليك بعضها:
الجواهر السنوية في الاحاديث القدسية.
الصحيفة الثانية السجادية.
وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريفة، وهو أشهر كتبه بل أشهر كتب الحديث عند الشيعة أودع فيه أخبار الأحكام الشرعية.

هداية الأمة إلى احكام الأئمة.
فهرس وسائل الشيعة وسماه "من لا يحضره الامام".
كتاب اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات.
كتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة.
كتاب امل الأمل في علماء جبل عامل.
تنزيه المعصوم عن السهو والنسيان.
في اثبات وجوب صلاة الجمعة عيناً
نزهة الاسماء في الاجماع.
إلى غير ذلك من الكتب وقد بلغت أكثر من اثني وخمسين كتاباً
اشتهر بالنظم والشعر، وهو من المكثيرين، وأكثره في المسائل العلمية ومناقب العترة
ومصائبهم والاخلاقيات(1).
ولعل أرجوزته في السيدة الزهراء (عليها السلام) تُنبئك عن شاعريته وذوقه الأدبي.
أرخ في أرجوزته هذه حياة السيدة الزهراء (عليها السلام) وما جرى عليها من المصائب
ولعل مقطوعته الأدبية هذه تعتبر من أهم الوثائق التاريخية التي تثبت ما جرى على آل
البيت (عليهم السلام) عموماً والسيدة الزهراء خصوصاً.

1- راجع في ذلك سجع البلابل في ترجمة صاحب الوسائل للسيد شهاب الدين المرعشي
مقدمة لكتاب اثبات الهداة للحر العاملي دار الكتب الإسلامية طهران.

إن أهمية هذه المقطوعة تتأتى من مَحَدِّث فقيه أخذ عنه أخبار الاحكام أصولها وفروعها، حتى أن الفقيه اليوم يُرجع أكثر استنباطاته إلى أصول الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة، وإذا كان الأمر كذلك فإن شهادة الحر العاملي المظلومية الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن شهادة تكاد ترقى إلى الحس والوجدان، فان وجدانياته التي ترجمها إلى مقطوعة رائعة تؤكد على واقعية الحدث وحقيقته.

فقد صدرت المقطوعة عن احاسيسه الناشئة عن مسلماته في هذا المجال، فان الفقيه لا يعقد فصلاً أدبياً خاصاً وينشأ قصيدته لترف ثقافي، وانما هو التكليف الشرعي الذي يقدمه على أساس اطروحته الأدبية فالذي يسوّغ لنا الأخذ بما في كتاب "وسائل الشيعة" سوّغ لنا الأخذ بما جرى على السيده الزهراء (عليها السلام) عن طريق الحر العاملي، فانها شهادة ترقى إلى الحس والمشاهدة والوجدان.

[15] واليك ارجوزته الادبية:

ولدت فاطمة الزهراء	البضعة الزكية الحوراء
بمكة الغراء يوم الجمعة	في ملك يزيدجر مبدى السمعه
وذاك قبل رجب بعشر	وقيل قبله بنصف شهر
لخمس من مبعث النبي	المصطفى المكرّم الزكي
وقد رووا فما لقونا قبله	بخمسة ومن رواه أبله
وعند هذا عمرها عشرونا	ثم ثماني كملت سنينا
وفيهما عشر سنين خلف	والخير الأخير فيه ضعف
جاءت كمریم ومن لمریما	بما حوت من منتم ومنتهى
بنت النبي المصطفى المختار	أم الهداة السادة الأبرار
زاهدة عابدة عليمة	تقية نقيه كريمة
أما المدايح التي جاءت لها	وقد أبانت فضلها ونبلها

فهي كثيرة فليست تحصى
من الإله والنبي وعلي
معصومة تأت عن الذنوب
من أهل بيت المصطفى بالنص
وشاركت يوم الكساء والعبا
ولو بذلت الجهد أو تستقصى
وولده في فضل بنت المرسل
برية من جملة العيوب
قد برعت بفضلها المختص
في المجد بعلا وبينين وأبا

وهي لعمرى أمجد الأنام
من كأبيها بين آباء الورى
وولدها ناهيك من أولاد
لو فاخرت لم تر من مفاخر
من ذا الذي يفاخر البتولا
يؤذي النبي كل ما يؤذيها
طلقت الدنيا كفعل بعلا
لا تعرف اللذات والتنعما
وقولها دون النساء حجة
أنصح أهل دهرها وأبلغ
مامن علا وشرف إلا لها
مظلومة صابرة محتسبة
قد صبرت طوعاً على أذاها
ومثلها من الممات يجزع
جاء إلى خديجة إذ ولدت
فيهن مريم البتول العذرا
قلن لها اخترت اليتيم المعدما
وأشرف الاماجد الكرام
ومثل مجد بعلا ليس يرى
أزكى العباد أشرف العباد
يقدر أن يفوه بالمفاخر
ومن حوى كما حوت تفضيلا
نصّ جليلٌ فدع التمويهها
واشتغلت عنها بحسن فعلها
والحلى واللبس علا وكرما
يوضح للمسترشد المحجة
ونعمة الله عليها أسبغ
قد أعطيت كمالها كمالها
إلى الكمال والعلى منتسبة
واستبشرت بالموت إذ أتاها
إذ هي في سن الشباب ترتع
أربعة من النساء قد بدت
إذ النساء قد أرتها هجرا
قالت بل المعظم المكرما

تقبلتها مريم لما أنتت
وجاءها من بعدها اثنتا عشر
غسلن فاطماً بماء الجنة
ألقابها البتول والزهراء
سيدة النساء والمباركة
وبضعة طاهرة زكية
عديلة لمريم محدثة
وقد روت كنيثها أم أيمننا
أم الحسين المجتبي أم الحسن
خص بها من دون غيره على
وفخرها به لعمرى أعظم
خطبها أكابر الصحابة
وكم لقد عودي فيها وحسد
نسبها أعرف من أن يذكرها
وكان عمرها من الاعوام
خمسة عشر في حديث صدقه
وقيل بل تزيد أيضاً عشرا

ناهيك من فضيلة قد ثبتت
حوراء قد ففن محاسن البشر
فكان مما تتقيه جنة
والطهر والصديقة الحوراء
ليست بفضل مجدها مشاركة
رضية زاكية مرضية
لكل مجد وعلی مورثة
أم الأئمة الهداة الأمانة
فاسمع إلى جمع وتعداد حسن
لقد غدا له بها فخر على
وما عسى في مثل هذا ينظم
كلّ دعا السعد فما أجابه
ممن أرادها سواء واضطهد
فقد غدا من كل شيء أشهراً
ثمان عشر ومن الايام
وقول من تبعه وصدقه
من السنين قيل بل وأخرى

ثمان أعوام قبيل الهجره
وبعدها مختلف كم يومها
خمس وسبعون وأربعوناً

وبعد ذلك مع أبيها عشره
عاشت فدع عنك المرأ واللوما
خمس وتسعون أو التسعوناً

أو نصف حول فاعتبر أقوالهم
وانظر إلى ميلادهم ثم احسب
وليها الله الذي زوجها
فيا لها من شاهد بفضلها
لم يتول الله تزويج أحد
تزويج آدم بحوا امته
وفاطم الزهراء بالامام
أولادها الخمس الحسين والحسن
وأسقطت بمحسن يوم عمر
ونالها بعد النبي إذ مضى
لذاك ما يوجع كل قلب
حزن وذل واضطهاد ظالم
إذ منعت مما أبوها قد ترك
وقيل إن ابن أبي قحافه
وانظر وحقق أيها أقوى لهم
ثم أجبر النفس وتمم نصب
بالمريضى وبالتقى توجهها
وفضل خير الاوصياء بعلمها
من خلقه إلا ثلاثة فقد
وزينب من النبي خيرته
خير الانام كاسر الاصنام
وزينب من أم كلثوم أسن
وفتحه الباب كما قد اشتهر
وانقاد طوعاً راضياً عن القضا
ويستهان منه كل خطب
ووحشة لاحت على العالم
وزادها غصب العوالي وفدك
لما أنته ترتجي انصافه

ثم أقامت الشهود كتباً
ثم رأها في طريقها عمر
فأخذ الكتاب منها ويقر
قالت بقرتها الإله يبقر
يطنك فاستهون ذلك عمر
فانظر إلى دعائها المجاب
وفاتها في صحبة الاثنين
وهو جمادي الثاني من بعد عشر
سببه قيل حضور الأجل
وقيل من ضربة ذلك الرجل (1)
ولم تنزل تبدي له أنينها
توفيت نجبية المنتجب
وقيل في حادي وعشري رجب
ودفنها ليلاً له أسباب
إلى آخر ارجوزته الشريفة.

1- لا يعني من لفظه "قيل" تضييفه للقول أو إشعاره بتردده أن شهادتها صلوات الله عليها كانت من ضربة الرجل، كيف وقد قال قبل قليل:
وأسقطت بمحسن يوم عمر
ثم يأتي البيت الذي يتلو كلمة لفظه "قيل" قوله:
إذ سقطت لوقتها حنينها
ولم تنزل تبدي له حنينها
بل أكد أن الاسقاط هو قول المشهور وموافقته للمشهور غير خفية. فلاحظ.
2- تراجم أعلام النساء للعلامة الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري 2: 313 وما بعدها.

آية الله

الحجة السيد مهدي بحر العلوم

إذا كان المرء ينتسب الى قرن من الزمان، فان السيد بحر العلوم ينتسب اليه الزمان، وإذا كان أحد ينتسب إلى مدرسة تحقيقية تعريفاً، فان السيد بحر العلوم تنتسب اليه المدارس التحقيقية تخليداً.

في حدودِ العقدِ السادسِ من القرنِ الهجريِ الثاني عشر، ينهضُ السيدُ مهدي بحر العلوم بأعباءِ زعامةِ الحوزةِ العلمية، وفي خضمِّ مهامه القياديةِ يبعثُ النهضة العلمية النجفية لتهيمن بتجديداتها على كافة المدارس

الإسلامية، وتخضع لها حواضر الأمة الإسلامية العلمية على مختلف مذاهبها، فتأخذ الحاضرة العلمية النجفية قياداً التجديد، وزمامَ مبادرة النهضة لتشمل تلك المدارس الأدبية التي باتت ناطقاً باسم التشكيكية السياسية أو العقائدية المنتمية إليها، والمدرسة الأدبية الامامية تُشكّل النهضة الرشيدة في مجال الاصلاح، فالأدب العربي يمر بانتكاساته الفكرية، ويصير إلى غرض فني يتسلى به الشاعر، وتُترَفُّ به المناسبات والمحافل، وتحيل التوجهات السياسية أغراض الأدب وأهدافه، إلى مغامرات فكرية تثقيفية تتقلبُ عندها موازناتُ التاريخ، وتُمسَخُ الاحداث الإسلامية الى وحدات قصصية فارغة المحتوى مجردة الهدف، والأدب الملتزم ينحسرُ مدّةً إلى حيث الزوايا الخافتة التي لن تتألمها سطوة الانظمة الحاكمة، وفي جو هذا الارهاب الفكري ينطلق الأدب الملتزم من عقالٍ لتبعثه الحوزة العلمية أديباً اصلاحياً، ومحاولات تجديدية يقودها السيد بحر العلوم، ويترجم وجهات نظر الطائفة الإمامية ومبنتياتها العقائدية بأروع مقطوعات أدبية، وكأن قصائده الشعرية كانت إيذاناً ببدء عهد أدبي جديد تتم فيه قراءة التاريخ وتُستقرأ أحداثه، وكانت لمأساة الزهراء (عليها السلام) أثراً كبيراً في تحريك هذا الجو الفكري الراكد الذي اعتاد على تقليدية مجريات التاريخ الحاكمي، وسيكون الحديث عن هذه المأساة نقطة التحول في تجديد ادراك الأمة وتفهمها لذاتها الضائعة في خضم هذا التيه الفكري.

كتب صاحب الاعيان ترجمته بقوله(1).

السيد مهدي ويقال مهدي ابن السيد مرتضى بن السيد محمد الحسيني

البروجردى المعروف ببحر العلوم الطباطبائي من نسل ابراهيم الملقب "طباطبا" من ذرية الحسن المثنى.

ولد بكرى ليلة الجمعة في شوال سنة 1155 وتوفي بالنجف الغروي سنة 1212 هـ ودفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي وقبره مشهور.

قرأ على أبيه وعلى الشيخ يوسف البحراني وعلى الوحيد البهبهاني الأغا محمد باقر وهو أبرز أساتذته وعلى الشيخ مهدي الفتوني العاملي والشيخ محمد تقي الدروقي.

تلمذ عليه جماعة منهم الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء والسيد جواد صاحب مفتاح الكرامة وابن عمه السيد حسين ابن السيد أبي الحسن موسى الحسيني العاملي والشيخ عبد النبي القزويني وغيرهم من مؤلفاته: 1. المصابيح في الفقه ثلاثة مجلدات، 2. الفوائد في الاصول، 3. مشكاة الهداية لم يخرج منه الا الطهارة، 4. كتاب الرجال، 5. الدرّة النجفية ارجوزته المشهورة، 6. رسالة في العصير العنبي، 7. رسالة في العصير الزبيبي، 8. رسالة في معرفة الباري تعالى، 9. شرح الوافية، 10. ورسالة مناظرته ليهود في ذي الكفل، 11. تحفة الكرام في تاريخ مكة وبيت الله الحرام، 12. مناسك الحج.. إلى آخر مؤلفاته وقد بلغت أكثر من عشرين مؤلفاً.

[16] قال في قصيدة رداً على مروان بن أبي حفصة وقد ذم فيها علياً (عليه السلام)، وخلص فيها إلى مأساة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن فقال:

ألا عدّ عن ذكرى بثينة أو جهل فما ذكرها عندي يمرُّ ولا يحلي
ولا أطربتني البيض غير صحائف محبرة بالفضل ما برحت شغلي

إلى قوله:

عليّ أبونا كان كالطهر جدنا له ماله إلا النبوة من فضل
وذو الفضل محسود لذّي الجهل والعمى لذا حسد الهادي النبي أبوجهل

ثم يقول:

لها غيره في الناس من كفو عدل
بذا وتولى الأمر والعقد من قبلي
وكم طالب صهراً وما كان بالأهل
ولا كانت الزهراء تزفُ إلى بعل

وزوجه المختار بضعته وما
و أنَّ إله العرش ربَّ العلى قضى
وكم خاطب قد ردَّ فيها ولم يجب
ولولا علي ما استجيبت لخاطب

الصفحة
132

جليلين جلا عن شبيهه وعن مثل

فأعظم بزوجين الاله ارتضاها

إلى قوله:

ولا فلتة منهم وشورى ذوي خذل
ودلاه ابن العاص في المدحض الزل
وما كان بالمرضي والحكم العدل
فلم ينتهوا حتى رأوا آية الجهل
إذا فلهم عزل النبيين والرسل
مصالحة الباغي الغوي على نحل
وصد عن البيت الحرام إلى الحل
معانيه لكن قد وعاه ذوو الفضل

وما ضرَّ شأن المرتضى ظلمهم له
ولا ضره جهل ابن قيس وقد هوى
وقد بان عجز الأشعري وضعفه
نهاهم عن التحكيم والحكم بالهوى
أيعزل منصوب الإله بعزلهم
وما شأن شأن المجتبي سبط أحمد
فقد صالح المختار من صالح ابنه
وقد قال في السبطين قولاً جهلتم

الصفحة
133

يضرهما خذلان منهم بالخذل
به الحسن الاخلاف والخيم والعقل
على صلحه كفار مكة من قبل
ولا جهل والقاسطون ذو الدخل
لأشقى الانام الكافر الفاجر الوغل
ولا دفنت سرا ولا يقتل الطفل

امامان ان قاما وان قعدا فما
لئن كنتم أنكرتم حسن ما أتى
لفي مثلها ذم الذميم محمدا
ولولاهم ما كان شورى ونعتل
ولا كان مخضوباً علي بضربة
ولا سيئت الزهراء ولا ابتز حقها

ولا جنح السبط الزكي ابن أحمد
ولا كان بالطف الحسين مجدلاً
لسلم ابن حرب حرب كل أخي فضل
ولا رأسه للشام يهدى الى النزل
ومما صلحوا للعقد يوماً ولا الحل
زعتم بني العباس عقدة أمرها

الصفحة
134

وجدهم قد كان أفضل منهم
لقد ظلموا العباس ان كان أهلها
فما بالكم صيرتموها لولده
فلا دخل الشورى ولا عد للفضل
وان لم يكن أهلاً فما الولد بالأهل
وأثبتوا للفرع ما ليس للاصل

الصفحة
135

الحسن بن علي الهبل اليماني أمير شعراء اليمن

لم تكن اليمن الإسلامية قد انزلت عن تاريخ أمتها وواقعها، بل عاشت اليمن في خضمّ هذا التاريخ الهائج بالوقائع، والمائج بالأحداث، ولم تكن اليمن قد ابتعدت عن التاريخ الإسلامي الذي استعرض واقع الأمة المتمثل في حياة رجالها الذين مثّلوا حقبة زمنية تاريخية مهمة، فقد جمعت هذه الفترات جميع التيارات الإسلامية المختلفة وقدمت صوراً متناقضة مهمة في المواقف، متغايرة في الاتجاه، واستطاعت الأمة من خلال ذلك أن تقوم بعملية فرز

الصفحة
136

رشيدة تحكي عن وعيها ونضوجها ليس على المستوى الديني فحسب بل على المستوى الاخلاقي الناضج والانساني الرشيد، ولم تكن الأمة أن تحيد عن هذه الملحمة الفاضلة، لولا الظروف السياسية الحاكمة التي تسحق كل مبادئها الجليلة وتتعدى لتخترق مرتكزاتها التاريخية، بل تنسلل في الخفاء لتجهر على كل مبتنياتها ومسلماتها. هكذا كانت اليمن،

فمن بحبوبة ولاء آل البيت الاطهار (عليهم السلام) إلى ميدان هائج بالافكار الخليطة والآراء الهجينة فرضتها هذه الظروف السياسية المتسلطة على اليمن الإسلامي يوم كانت من أهم مناطق الولاء العلوي، ولم يكن الشعب اليمني بعيداً عن هذه المؤامرات التي تستهدف مبادئه وأصوله، بل كان اليمنيون قوامون على عقيدتهم أحرار في مبادئهم وتوجهاتهم، لذا فإن أمير شعرائهم "الحسن بن علي المعروف بالهبل اليمني" قد مثل شريحة اليمن الواعية، ومجاميع أمتها المؤمنة وكان لسان حال هذا الجمهور الراض لكل التوجهات الخارجة عن اطار آل البيت (عليهم السلام)، والمستهدفة لتاريخها المجيد وخطها المشرق. كانت قراءة أمير شعراء اليمن الواعية للتاريخ الإسلامي قد أنجبت مشاريع أدبية واعية تمثل وعي الأمة اليمنية ونضوجها في معرفة مجريات الحدث الإسلامي، فقراءة لمقطوعاته الفاطمية تُعطي صورة واضحة عن تمسك اليمن الإسلامي بقضية آل البيت (عليهم السلام) وحقوقهم المهتزمة، وتتعى على التاريخ المبرمج الذي حاول اخفاء هذه الحقائق الجليلة، فخرجت من بين هذا وذاك ما سطرته ملحمة يمنية واحدة فقط تمثل شريحة الأمة الواعية، وتندد بالمحاولات التثقيفية المبرمجة التي حاولت ابعاد الأمة اليمنية عن الواقع الإسلامي الرشيد.

[17] قال في احدى ملاحمه الأدبية:

ملكتم فؤاداً ليس يدخله العدل،	فذكر سواكم كلّما مر لا يحلو
يؤنّبني في حبكم كل فارغ	ولي بهواكم عن ملامتهم شغل
وماذا عسى تجدي الملامّة في الوى	لمن لا له في الحب لب ولا عقل؟
لئن فرضوا مني السلو جهالة،	فحبكم عندي، هو الفرض والنقل،
أأسلو ولا صبغ المشيب بعارضي	يلوح، ولا صبغ الشبيبة منحل؟
ولو في سواكم "أهل بيت محمد"	غرامي لكان العذل عندي هو العدل،
حملت هواكم في زمان شبيبي،	وقد كنت طفلاً والغرام بكم طفل،
فيا عادل في حب آل محمد	رويدك إني عنهم قطّ لا أسلو،
أأسلو هوى قوم قضى باجتباؤهم،	وتفضيلهم بين الورى العقل والنقل،

فقل ما تشا فيهم، فإنك لا تغلو،
و"حيدرة"، يا حبذا الفرع والأصل،
كراماً، ولا جبن لديهم، ولا بخل،
عليهم، ودانوا بالأباطيل واعتلوا،
وما برحت أنوار فضلهم تغلو
وما جهلوا ما فيه لكنهم ضلوا
من النص أمراً ليس ينكره العقل،
وقال لهم: هذا الخليفة والأهل!
على الخلق طراً ماله أبداً عزل،

أولئك أبناء النبي محمد،
فروع تسامت، أصلها سيد الورى،
تفانوا على إظهار دين أبيهم
إلى الله أشكو عصبية قد تحاملوا
يرومون إطفاءً لأنوار فضلهم،
هموغصبوا حق الوصي جهالة
وهم أنكروا في شأنه بعد "أحمد"
وقد نوه "المختار" "طه" بذكره
وولاه في يوم "الغدِير" ولايةً

ولو لم يكن نصا لقدمه الفضل،
إذا ما التقى يوم الوغى الخيل والرجل؟
وأكثرهم علماً، إذا عظم الجهل؟
وأعظمهم حلماً، إذا زلت النعل؟
نوالا إذا ما شيم نائله الجزل،
قربته، منا به اتصل الحبل،
وأقرب رحماً لو عقلتم؟ أم الأهل؟
من "ابنته" ما كان أنحلها قبل!
وقالوا: معاذ الله أن تورث الرسل!

ونص عليه بالامامة دونهم،
أليس أخاه، والمواسي بنفسه
أما كان أدناهم إليه قرابةً،
"أما كان أوفاهم إذا قال . ذمة،
وأفصحهم عند التلاحي، وخيرهم
يحجون "أنصار" الإله: بأننا
وهل كانت "الأصحاب أدنى قرابة،
وهم أخذوا بعد النبي محمد
تمالوا عليها غاصبين لحقها

وحكمهم لا شك في ذاك باطل، وكيف يصح الفرع والأصل مختل؟
 أليس أمير المؤمنين هو الذي له دونهم في ذلك العقد والحل؟
 وهم قتلوا من آل أحمد سادةً كراماً بهم يستدفع الضر والأزل!
 سقوا كل أرض من دماء رقابهم وشيعتهم، حتى ارتوى الحزن والسهل،
 فصبراً "بني المختار، إنَّ أماننا لموقف عدل عنده يقع الفصل،
 وعندني لمن عاداكم نصل مقول إذا ما انبرى يوماً يحاذره النصل(1)
 [18] وقال أيضاً:

أبغنيك دمع أنت في الربيع ساكبه وقد رحلت غزلانه ورباربه؟
 تهون أمر الحب، مدعيا له..؟ وما الحب أهل أن يهون جانبه!؟

1- ديوان الهبل أمير شعراء اليمن تحقيق أحمد بن محمد الشامي الدار اليمينية للنشر والتوزيع.

لكل محب كأس هجر، وفرقة، فإن تصدق الدعوى فإنك شاربه،
 عجبت لصب يستلذ معاشه، وقد ذهبت أحبابه وحبائبه!
 فلا حب مهما لم يبيت وهو في الهوى قريح المآقي ذاهل القلب ذاهبه،
 "ومكتئب يشكو الزمان وقد غدت مشارقه مسلوكةً ومغاريه"،
 وملتزم الأوطان يشكو همومه، وقد ضمنت تفريجهن ركائبه،
 فشق أديم الخافقين مجرداً من العزم سيفاً لا تكل مضاربه،
 وحسبك أذراع من الصبر، إنها لتحمد في جلى الخطوب عواقبه،
 فأبي لئيم ما الزمان مسالم له، وكريم ما الزمان محاربه؟
 فلا كان من دهر به قد تسودت على الأسد في آجامهن ثعالبه،

فهل بعدهم تصفو لحر مشاريه؟
إلى حربهم، والدهر جم عجائبه،
تتوشهم أظفاره ومخالبه،
وكل امرء يجزى بما هو كاسبه،
وأهمل من حق القرابة واجبه،
تجارى على الرحمن من لا يراقبه،
وقد يرجع المغصوب من هو غاصبه،
أبوها لها دون البرية واهبه،
إلى الناس عن آل النبي مناصبه

كفى بالنبي المصطفى وبآله،
دعا كل باغ في الأنام ومعتد
فكم غادر أبدى السخائم واغتدت
سيلقون يوم الحشر غب فعالهم،
أهين "أبو السبطين" فيهم و "فاطم"،
تجاروا على ظلم "الوصي"، وربما
ولم يرجعوا ميراث بنت "محمد"،
فما كان أدنى ما أذوها، بأخذ ما
أقاموا ابا بكر اماماً وزحزحت

لشابت من الأمر الفظيع ذوائبه،
له كاهل المجد الأثيل وغاريه؟
أصحابه؟ قولوا لنا: أم أقاريه؟
إذا أُعطي الإنصاف من هو طالبه،
وبيعة ذاكم، فلتة قال صاحبه..،
فأكثر ممن شاهد الأمر غائبه،
عن المركب الصعب الذي هو راكبه
فأودت به أحداثه ومثالبه
قوى الدين، وانهدت لذاك جوانبه،
ولم تغنه عند النزال كتائبه،

أما لو درى "يوم السقيفة" ما جنى
أغير "علي" كان بعد "محمد"
ومن بعد "طه" كان أولى بإرثه
وشتان بين البيعتين لمنصف..
فبيعة هذا أحكم الله عقدها،
فلا تدعوا إجماع أمة "أحمد"
وقام دلام بعده غير نازل
وقام ابن عفان يجزّ ذبولها
وقام "ابن حرب" بعدهم فتضعضت،
فقاد إلى حرب "الوصي" كتائباً

وما زال حتى جرع "الحسن" الردى،
وما أنس لا أنس الشهيد "بكريلاء"،
سبوا بعد قتل "ابن النبي" حريمه..
وبات "يزيد" في سرور، ولو درى
وحسبك من "زيد" فخاراً وسؤدداً
مضى في رجال صالحين تحكمت..
و "يحي بن زيد" جلوله بقسطل
وصاحب "فخ" صبحته وقومه
وكم قتلوا من آل "أحمد" سيداً،
ودبت إليه بالسموم عقاربه،
وهيهات، إني ما حييت لنادبه!
وما بليت تحت التراب ترائبه!؟
بما قد جرى قامت عليه نوادبه،
تزاحم هامات النجوم مناكبه،
عوالي "هشام" فيهم وقواضبه،
من النفع تهمي بالمنون سحائبه..
عساكر "موسى" جهرة وعصائبه،
إماماً زكت أعراقه ومناقبه،

فلم لا تمور الأرض حزناً؟ وكيف لا
وكل مصاب نال آل "محمد"
فقل لأخي تيم وصاحبه ألا
أبيطل نحل والنبي وليه؟
فهذا اعتقادي ما حييت، ومذهبي
[19] وله أيضاً:

قد أن تلوي العنان وتقصرا
كم ذا يعيد لك الصبا مر الصبا
حتما لا ينفك قلبك دائماً
والام يعدلك المناصح مشفقاً
أوما كفاك الشيب ويحك منذراً؟
مهما سرى، والبرق وهنا إن شرى؟
لهوى الغواني مورداً، أو مصدراً؟
فتقول: دعني ليس إلا ما ترى؟

والى متى تزداد من مقل الظبا
ولكم تذوب تشوقاً، وصبابةً
أضحى "حديث غدير" دمك شهرةً
أكرم به من منزل في ظله
وتظل تجري من عيونك أنهرًا؟
نص "النبي" بها إذا عن أمره
نصب المهيمن للامامة "حيدرا"!
في "حيدر" نصا جلياً نيرا،
يده، لأمر ما، أقام وهجراً..!
وأبو سليليه "شبير" و "شبرا"،
زكى بخاتمه، ومد الخنصرًا؟
وكفاه فضلا في الأنام، ومفخرا؟
من غير ردت له شمس الضحى،

من قام في ذات الإله مجاهداً،
من نام فوق فراش "طه" غيره
ولحصد أعداء الإله مشمرا؟
من قط في "بدر" رؤوس حماتها
مزملا في برده مدثرا..؟
من قد في "أحد" ورود كماتها
حتى علا بدر اليقين، وأسفرا؟
من في "حنين" كان ليث نزالها
إذ قهر الأسد الكمي، وأديرا؟
من كان فاتح "خيبر" إذ أدبرت
والصيد قد رجعت هناك إلى الورى؟
من ذا بها المختار أعطاه "اللوا"
عنها "الثلاثة" سل بلالك "خيبرا"؟
أفهل بقي عذر لمن عرف الهدى
هل كان ذلك "حيدراً"؟ أم "حبتراً"؟
لا يبعد الرحمن إلا عصبه
ثم انتفى عن نهجه، وتغيرا..؟
ضلت، وأخطأت السبيل الأنورا!

ليخالفوا النص الجلي الأظهرا،
 جعلت لما قرعت "أمية" منبرا!
 حلل الأمامة نخوة وتجبرا
 في دفع تأكيد الوصاية واجترا
 حاشى لعقل محمد أن يهجرا
 حاشاه من ذاك الكلام المفترا
 يوم السقيفة ما الذي فيه جرا
 مهادي النبي وقدموا من أخرا
 رداه خير المرسلين وأزرا

نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم،
 والله لو تركوا "الإمامة" حيثما
 بل أهملوا نص الولاية وأرتدوا
 واحتال في يوم الخميس دلامهم
 إذ قال جهلا أنما هو هاجر
 تبا لكم أكذا يقال لأحمد
 يا جاهلا ما احدثوا في الدين سل
 نقضوا العهود وأخروا من قدم الـ
 سلبوا الوصي من الأمامة قابه

فيهم، ومأموراً، وكان مؤمراً،
 وسهامها الموروث أمراً منكراً!
 قولي، وكن أبداً له متديراً،
 وتظل في تيه الهوى متحيراً،
 خل الضلال، وخذ بحجرة "حيدراً"،
 "بجوازه" من "حيدر"، لن يعبراً!
 إذ، "لا ولاء" يكون من دون "البرا"!
 فكري بمشحوذ الجوانب، أبتراً،
 ظلماً يدب ضريركم دب الضرى؟

جعلوه "رايعهم" وكان مقدماً
 وتعمدوا من غصب نحلة "فاطم"،
 يا من يريد الحق، أنصت واستمع
 إرباً بنفسك، أن تضل عن الهدى،
 أنا ناصح لك، إن قبلت نصيحتي،
 من لم يكن يأتي الصراط لدى القضا
 "واليته"، و "برئت" من أعدائه،
 قل، "للنواصب": قد منيتم من شبا
 كم ذا.. إلى أبناء "أحمد" لم يزل..

مجد أناف على منيفات الذرى!
 وإذا ذكرت الأصل، أذكر "حميراً"،
 بواداد أبناء النبي، وأثمراً..!
 عبد، وحق بمثل ذا.. أن أفخرأ!
 ريب يصد عن اليقين ولا امترى..
 ريب الأنام إذا أتيت المحشراً!
 وجعلته لي عندهم أقوى العرى
 يطوي السبابسب رائحاً ومبكرأ،
 ولحر وجهك في ثراه معفراً،
 والهدى، لا شك فيه ولا مرا،

أنا من أبا.. لي بغض آل محمد
 أخوالي الغر الأكارم "هاشم"
 غرس نما في المجد، أورق غصنه
 شرفي العظيم، ومفخري، أني لهم
 لن يعتزني في اقتفاء طريقهم
 هذي عقيدتي التي ألقى بها
 إني رجوت رضى الإله بحبهم،
 يا أيها الغادي المجد بجسرة
 جز بالغري، مسلماً متواضعاً،
 حيث الإمامة، والوصاية، والوزارة،

بأبي وأمي، ما أبر وأطهرا!
ما انفك جاحم حزنه متسعرا،
لا يستطيع تجلداً، وتصبرا،
سراً لعمري كان قدماً مضمرا
والسبب من ريحانته الأكبيرا،
للضرة الأخرى عليها مؤثرا،
وعراه من خذلانهم، ما قد عرا..
فسقاه كأساً للمنية أفعرا..
بكم يرجي ذنبه أن يغفرا،
رمماً منعن عيوننا طعم الكرى،

والمم بقبر فيه سيدة النساء،
قبل تراها عن محب قلبه..
متلهف غضبان مما نالها،
ذهبت بنحلتها البغاةً واطهروا
وأفض إلى نجل النبي محمد،
من طلق الدنيا ثلاثاً، واغتنى
مستلماً، إذ خانه أصحابه،
واستعجل الرحمن "ابن هند" موته،
وقل التحية من "سميك" من غدا
و "بكريلا" عرج، فإن "بكريلا"

وبكت لمقتله نجيعاً أحمرًا!..
وقضيت حقاً للزيارة أكبرا،
غر تذوب لها النفوس تحسرا،
"لأبي الحسين" الدهر حتى أقبرا!

حيث الذي حزنت لمصرعه السما،
فإذا بلغت السؤل من هذا وذا،
عج "بالكناسة" باكياً لمصارع
مهما نسيت فلست أنسى مصرعاً
[20] وله أيضاً:

بعد النبي المرسل؟
والموالي، والولي؟
أعدائه لم ينكل؟
هدي المكرمات؟ فقل: "علي"،
البر، بالنص الجلي،

إن قيل: من خير الورى
ومن المواسي، والمواخي،
ومن الذي في الروع عن
إن قيل: من ذا حاز
خير البرية، و "الإمام"

الله، عن أمر العلي،
بمحفل، أعظم به من محفل،!
جاءت بأمر معضل،
زي عارها لا يُغسل

قد نصها فيه "رسول
"يوم الغدير"
فثنته عنها عصبه،
وأنت بشنعاء المخا

تقديم غير الأفضل
يق والدلام ونعتل
درك الجحيم الاسفل

وتعانتقت ظلما على
إني لأبرىء من عتي
يا رب بوئهم غداً
[21] وقال أيضاً:

كان صنواً للنبي؟
خير الأنبياء... خير وصي؟
بالفخار الأبدي؟
الرسل عن أمر العليّ
الخلق بالنص الجليّ؟
دين القديم الأزلي؟
ذي الثبات العامري؟
عند إحجام الكمي
فتي... غير علي؟
"المصطفى" بالمشرفي؟
أم "بتيم" و "عدي"؟
إن أنصفتنا.. غير خفي..

من ترى غير "علي"
من ترى، من بعد
من ترى، فاز "بخم"
من ترى وياه خير
من ترى، كان إمام
من ترى، السابق في
من ترى قاتل عمرو،
من ترى أسر عمرو،
من ترى ردت له الشمس
من تراه.. حاط دين
أبه الملة حيّطت؟
قل لنا، فالأمر

الشيخ كاظم الأزري

كانت بغداد الأدبية تعج بثقافات اسلامية وغير اسلامية، شاركت في تأسيس الحاضرة الأدبية البغدادية، وتشكّلت من هذه الاتجاهات الأدبية المتعددة رؤية أدبية بغدادية غير واضحة، ولعل فيها من عدم الالتزام ما عبّر عن ظرفها الاجتماعي والسياسي المعاش يوم ذاك وقدّم على أساس ذلك أخلاقياته وتوجهاته.

في خضم هذه التيارات الثقافية المتعاكسة، ينشأ تيار شعري ملتزم يعبر

في الوسط الأدبي البغدادي عن اطروحة أدبية جدية لعلها كانت قادمة من الحوزة الأدبية النجفية، ومتأثرة بالتيار الحلي الأدبي، فالحدود الأدبية المحيطة بالحاضرة الأدبية البغدادية . كما هي حدودها الجغرافية الطبيعية . تتأثر بها من حيث الفكرة والمضمون والاطروحة، وتؤثر هي فيها من حيث الغرض الفني الجديد القادم من ثقافات أدبية أخرى.

ترزّم هذا التيار الأدبي البغدادي الملتزم شيخ شعرائها ومبدعها، الشيخ كاظم الأزري الذي حقق في قصيدته الازرية المعروفة تقدماً أدبياً رائعاً ملتزماً فرض نفسه على التيارات الأدبية الأخرى، وسجّل حضوره في المحافل الأدبية على أنه مبدع فني، وأديب ملتزم.

استطاع الشيخ الأزري أن يسجّل لواقعة الزهراء (عليها السلام) حضورها التاريخي الممتاز وعبر في قصيدته هذه عن الهاجس الذي يعيشه كل شيعي قرأ ذاته في مأساة الزهراء، وقرأ تاريخه في وقائعها المظلومة المضطهدة، لذا جاءت القصيدة تعبيراً صادقاً لمكنون الشخصية الشيعية الثائرة المجاهدة.

تركوا عهد أحمد في أخيه
وهي العروة التي ليس ينجو
لم ير الله للرسالة أجراً
يوم جاءت ياللمصاب إليهم
فدعت واشتكت إلى الله شكوى
فاطمأنت لها القلوب وكادت
تعظ القوم في أتم خطاب
أيها القوم راقبوا الله فينا
نحن من بارىء السماوات سرُّ

وأذاقوا البتول ما أشجاها
غير مستعصم بحبل ولاها
غير حفظ الزهراء في قريها
ومن الوجد ما أطال بكاهها
والرواسي تهتت من شكواها
أن تزول الأحقاد ممّن حواها
حكّت المصطفى به وحكاها
نحن من روضة الجليل جناها
لو كرهنا وجودها ما براهها

بل بآثارنا ولطف رضانا
وبأضوائنا التي ليس تخبو
واعلموا أننا مشاعر دين الـ
ولنا من خزائن الغيب فيض
إن تروموا الجنان فهي من
هي دار لنا ونحن ذووها
وكذاك الجحيم سجن عدانا
أيها الناس أي بنت نبي
كيف يزوي عتي تراثي زاو

سطح الأرض والسماء بناها
حوت الشهب ما حوت من سناها
له فيكم فأكرموا مثواها
ترد المهتدون منه هداها
الله إلينا هدية أهداها
لا يرى غير حزينا مرآها
حسبهم يوم حشرهم سكتها
عن مواريتها أبوها زواها
بأحاديث من لدنه ادعاها

هذه الكتب فاسألوها تروها
ويعنى "يوصيكم الله" أمر

بالمواريث ناطقاً فحواها
شامل للعباد في قريهاها

كيف لم يوصنا بذلك مولا
هل رآنا لا نستحقُّ اهتداء
أم تراه أضلُّنا في البرايا
مالمكم قد منعتمونا حقوقاً
قد سلبتم من الخلافة خوذاً
وسبيتم من الهدى ذات خدر
هذه البردة التي غضب الله
نا وتلكم من دوننا أوصاها
واستحقَّت هي الهدى فهداها
بعد علم لكي نصيب خطاها
أوجب الله في الكتاب أداها
كان ممَّا قناعها ورداها
عزَّ يوماً على النبيِّ سباها
على كلِّ من سوانا ارتداها

فخذوها مقرونة بشنار
ولأيِّ الأمور تدفن سرّاً
فمضت وهي أعظم الناس وجدا
وثوت لا يرى لها الناس مثوى
غير محمودة لكم عقباها
بضعة المصطفى ويعفى تراها
في فم الدهر غصّة من جواها
أيُّ قدس يضمُّه مثواها
[23] وقد خمّس القصيدة الشاعر الفذ الشيخ جابر الكاظمي رحمه الله، واليك بعض
تخميساته.

ليس أولى بالأمر ألاّ وليّ
كنزٌ فضل من كلِّ علم مليّ
ما قضاها فتى ولا أفتاها
كلُّ علم أعيبى الورى لم يُبينه
مُدّ أضاعت شمسُ الفضائل عنه
حكمة الله لم يسعها فضاها
هو بعد النبيِّ أوّلُ فعل
فلكٌ مُشْرِقٌ بنيرٌ عقل
فازن من مصدرِ الجلال ببئيل
تتجلّى به مُنيراتٌ فضل

كالدراري سيّارة في سماها

فِيءِ آلِ الْهُدَى قَدْ اقْتَسَمُوهُ وَعَلَيْهِمْ شَيْخُ الْخَنَا قَدَمُوهُ
فَوْحَقَّ الْحَقَّ الَّذِي حُرِّمُوهُ لَمْ يَذُوقُوا الْهُدَى وَلَوْ طَعَمُوهُ

عَرَفُوا لِلنَّبِيِّ قَدْرًا وَجَاهَا

مُذْ دَعَى لِلْهُدَى أَجَابَتْ دُعَاهُ أَلْسُنٌ وَالْقُلُوبُ تَأْبَى نِدَاَهُ
هَمْ وَإِنْ وَافَقْتِ شِفَاها شِفَاهُ صَاحِبُوهُ وَنَافَقُوا فِي هَوَاهُ

فَهُ أَوْلَى جَحِيمِهَا وَأَظَاهَا

بَايَعُوا كُلَّ ذِي ضَلَالٍ سَفِيهِ وَتَخَطَّوْا مِنَ الرَّشَادِ لَتِيهِ
أَشْقِيَاءَ وَالْأَبْنُ مِثْلُ أَبِيهِ نَقَضُوا عَهْدَ أَحْمَدَ فِي أَخِيهِ

وَأَذَاقُوا الْبِتُولَ مَا أَشْجَاهَا

مِنْهُمْ أَغْضَبَ الْبِتُولَةَ عِلْجُ إِذْ أَتَتْهُ تَرَاثُهَا مِنْهُ تَرْجُو
فَأَبَى الرَّجْسُ إِذْ رَأَاهَا تَعَجُّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الَّتِي لَيْسَ يَنْجُو

غَيْرُ مُسْتَعَصِمٍ بِحَبْلِ وَلَاهَا

أَرْسَلَ اللَّهُ سَيِّدَ الرُّسُلِ طُرًّا بِالْهُدَى وَالشَّيْطَانُ يُعْبَدُ جَهْرًا
وَمُذْ الْحَقُّ شَقَّ لِلْبُعْثِ فَجْرًا لَمْ يَرَ اللَّهُ لِلرَّسَالَةِ أَجْرًا

غَيْرِ حِفْظِ الْوِدَادِ فِي قُرْبَاهَا

لَمْ تَزَلْ بَعْدَ أَحْمَدِ الطَّهْرَ عَبْرِي بَعْغُومٍ مِنْ ذَلِكَ الرَّجْسِ تَنْتَرِي
وَيْلُ عِلْجٍ بِهَا اسْتَخَفَّ وَأَدْرِي لَسْتُ أَدْرِي إِذْ رَوَّعَتْ وَهِيَ حَسْرِي

عَانَدَ الْقَوْمَ بَعْلِهَا وَأَبَاهَا

مُذْ أُضِيمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَيُّ ضِيمٍ لَمْ يَزَلْ حُزْنُهُ لَدَيْهَا كَغِيمٍ
جُرِّعَتْ مِنْ سِمَامٍ سَامٍ وَأَيْمٍ يَوْمَ جَاءَتْ إِلَى عَدِيٍّ وَتَيْمٍ

ومن الوجدِ ما أطال بُكاها
قد أعاظوا لسيدِ الرسلِ صينواً حين رضوا من فاطمِ الطهرِ عضواً
ولكم بنّت المهيمنِ شكوى فدعت واشتكت إلى الله شجواً
والرؤاسي تهتت من شكواها
ثم عادت بخطبة وأعدت كلمات لها الرواسخُ مادت
وبكت واشتكت بحزن ونادت فاطمات لها القلوب وكادت
أن تزول الأحقاد ممن حواها
حاجبتهم بسنة وكتابٍ أفلجتهم بحكمة وصوابٍ
حين جاءت وقلبها بالتهابٍ تعظُ القومَ في أتم خطابٍ
حكمت المصطفى به وحكاها

ولخطبِ الخطابِ أبدت حنيناً ملاً الدهر رتةً وأنيناً
وأسىً أيقظ النبي الأمينا أيها القوم راقبوا الله فينا
نحن من روضة الجليل جناها
حُبنا دين الحق والبغض كفرٌ وولانا يوم القيامة دُخرٌ
وبه في الجنان كم شيد قصرٌ نحن من بارىء السماوات سرٌ
لو كرهنا وجودها ما براها
وبنا الله أكمل الإيماننا ولنا زين الإله الجنانا
ولأعدائنا برى النيرانا بل بآثارنا ولطفِ رضانا
سَطح الارض والسَّماء بناها
من تتحى عتاً فلغى يصبو والذي عن طريقنا حاد يكبو
فبنا يرضى الله والخير يربو وبأضوائنا التي ليس تخبو
حوت الشهب ما حوت من سناها
فيماننا للوحي أكرم منزل وعُلائنا للدين أعظم موئل

وهُدانا للمهتدى خيرُ معقلٍ واعلموا أننا مشاعرُ دين الـ

له فيكم فاكُرموا مثوانا

فإلى فضلنا لدى الحشرِ أيضاً ولدينا في جنّة الخلدِ حوضٌ

ولنا في النعيمِ أزهرُ روضٌ ولنا من خزائن الغيبِ فيضٌ

الصفحة

164

تردُّ المهتدون منه هُداها

إنَّ ربَّ السَّماءِ إلينا تجلّى وحبانا أمر الجنانِ وولّى

وبها خصٌّ من بنا قد تولّى إن تزوموا اجنانِ فهي من اللّـ

ه الينا هديّة أهداها

بل ولانا الجنانُ لا تدعوها والرّضا أمّ روضها وأبوها

فاصحبوا حُبنا ومنا خذوها هي دارٌ لنا ونحن ذووها

لا يرى غيرُ حزيننا مرآها

خُلقت للذي إلى الحقِّ دانا لا لمن خان عهدنا وجفانا

فجنانُ النّعيمِ مهزُّ ولانا وكذلك الجحيمُ سجنُ عدانا

حسبهم يومَ حشرهم سُكناها

ليت شعري وفي الحشا أيُّ كيِّ لا يُداوى وأيُّ داءِ دويِّ

وأسىّ قد طوى الأسى أيّ طيِّ أيُّها الناسُ أيُّ بنتِ نبيِّ

عن مواريتها أبوها زواها

أفهل منكم بحقِّ حقيقٍ وينصري منكم يقومُ وثيقٍ

فيراني والدّمعُ متي عقيقٍ كيف يزوي عني تُراثي عتيقٍ

بأحاديث من لدنه افتراها

أنكروا النصَّ في أمور أتوها ووصايا الإلهِ فينا أبوها

فالأحاديثُ إن علينا افتروها هذه الكُتبُ فاسألوها تروها

بالمواريثِ ناطقًا فحواها

ليس يُجديكم من الذِّكرِ ذكراً
فبمعنى من آلِ يعقوبَ سرّاً
إذ بكم قد أحاط غنيٌّ وكُفِّرَ
ويعنى يُوصيكمُ اللهُ أمرّاً
شاملاً للعبادِ في قرباها

كلُّ فضلٍ لنا المُهمينِ أولى
والينا أهدى الوصيَّةِ طَوْلاً
إذ رأنا بذاكٍ أحرى وأولى
كيف لو يُوصينا بذلكِ مَوْلاً
ناوتيما من دُوننا أوصاها

ياالخطبِ أعياءِ الورىِ إعياءِ
إنَّ ربّاً بنا برى أنبياءِ
ولداءِ أعياءِ الطيبِ دَوَاءِ
هل رأنا لا نستحقُّ اهتداءِ
واستحقَّتْ تيمُّ الهدى فهداها

وهي كم أحدثتِ حدوثِ الرِّزايا
أتراهُ لم يرعَ رُشدَ الرِّعايا
وتخطَّتْ إلى أشدِّ الخطايا
بعد علمٍ لكي تُصيبَ خطاها
أم تراهُ أضلَّنا في البرايا

أيُّها القومُ هل ذِمَّامٌ يُراعى
عادِ حقِّي في ظالمينِ مُضاعا
لنبيِّ وفي الدِّمامِ وراعى
إنصُفُوني من جائِرينِ أضاعا
ذِمَّةُ المصطفى وما رعياها

فأنظروا من بنا يبغى تحكِّم
فعدونا من ظلِّمةٍ نتظلم
ودهاننا بالجورِ أيُّ مُذمِّم
وانظروا في عواقبِ الدهرِ كم أم
سنُّ عتاءِ الرِّجالِ من صرعاها

قد سلكتُم من الضلالِ طُرُوقاً
ورأيتُم للغِيِّ والبغِيِّ سُوقاً
وحفظتُم من النِّفاقِ شُقوقاً
مالكم قد منعتُمونا حُقوقاً

أوجبَ اللهُ في الكتابِ أداها

وعليها عُناتكم كم تعانت

وعليه عاشت فُواكم وماتت

خذوا العجل بعد موسى إليها

أعلمتم إذ غيكم هدً طوداً

ولكم حين دُدتكم الحقّ دوداً

كان ممّا قناعها ورداها

ورميتكم آل النبيّ بغدر

وأغرثكم على الرّشاد بكُفر

عزّ يوماً على النبيّ سبهاها

الصفحة

167

يا طُغام الأنام زدتم فُجوراً

لكم الويلُ كم أتيتكم أموراً

كذبت أمهاتكم بادعاها

لست أدري إذ رشاد صددتم

أبعل سجدتم إذ سجدتم

أن يؤلّى تيمّ على آل طه

قد جعلتم عليكم أمراء

وائتمتم فخنتم امناً

لاشتقت من قلوبكم مرضاها

أو أعنتم على الضلالِ مُعيناً

أو نكلتم عنا شلّتم يمينا

لا وقيتم من الرّزايا سطاها

إنما البردة التي قد تحلّى

بحلاها من عن ولانا تخلّى

وتولّى بغيّاً وعنا تولّى
هذه البردة التي غضب الله

هـ على كلِّ من سوانا ارتداها

قد تلقّعتم بأثواب نار
وحبيبتم منها بأيّ استعار

واشتملتم منها ببردة عار
فخذوها مقرونةً بشنار

الصفحة

168

غير محمودة لكم عُباها

سلبتكم أثواب كلِّ فخار
وكساكم بها العوى كلِّ عار

فارتدوها قد طُرزت بشرار
والبسوها لباس عار ونار

قد حشوتم بالمخزيات وعابها

إن نسلكم أداء حقّ حوارٍ
أو نسلكم وفاء أيّ زمارٍ

أو نسلكم عن نحلة وعُقار
لم نسلكم حاجة واضطرارٍ

بل ندلُّ الورى على تقواها

إن بغدرٍ سدّتم وحلّ عقودٍ
واتّباعِ الهوى ونقضِ عُهودٍ

وببخلٍ وشحّةٍ وجُمودٍ
كم لنا في الوجودِ رشحةٌ جودٍ

يُعجزُ السبعةُ البحارَ غناها

ولنا حكمةٌ ذكت لا بزيت
وسباقٌ قد فات كلّ كميت

وعلا سادَ كلِّ حيٍّ وميت
علمَ الله أننا أهلُ بيت

ليس تأوى دنيّةٌ مأواها

فولنا للناسِ أعظمُ حصن
ومن الهولِ في غدٍ أيُّ أمن

كم علينا منّ الإلهِ بمنّ
لو سألنا الجليلَ إلقاءَ عدن

أو مقاليدِ عرشه ألقاها

أين من شأوٍ مجدهم كلُّ شان
قاصرٌ عن هجاءه كلُّ بيان

إن به فاه طولٍ دهري لساني
سعدٌ دعني وهجو سود المعاني

أو مقاليدِ عرشه ألقاها

أين من شأو مجدهم كلُّ شان قاصر عن هجاه كلُّ بيان
إن به فاه طول دهري لساني سعد دعني وهجو سود المعاني
أكبر الحمد في معاني هجاها
قُل لقوم سعت بجهد فسادا ونفت حق آل طه ارتداداً
يا طغماً ضاهت ثموداً وعاداً كيف تُنفي ابنة النبي عناداً
لا نفي الله من لظى من نفاها
ألاي الأمور تُجهل قدراً بنت خير الوري فتُجهل قبراً
أم لأبي الأمور تُظلم جهراً ولأبي الأمور تُدفن سرراً
بضعة المصطفى ويُعفى تراها
نَعصوا عيشها وقد كان رعداً وفؤاد الهدى لها ذاب وقدأ
إذ قُضت وهي أوفر الخلق جهداً فمضت وهي أعظم الناس وجداً
في فم الدهر غصّة من جواها

فاغتندي قلبها على الضيم يطوي واغتندي دمعها به الأرض تُروى
تخذت للأحزان كالقبر ماوى وثوت لا يرى لها الناس مثوى
أي قُذس يضمُّ مثواها
قد رمتها يدُ الحقود بصرف للرزايا ذاقت به أي حتف
فقضت والزمان عنها بخلف ثم همّت ببيعها كل كف
واستمدت له رفاق مداها
أمة ضلّ إذ غوت مسعاها أمة خاب حين ضلّت رجاها
أمة في الانام ما أشقاها أمة قاتلت إمام هداها

يا ترى أين زالَ عنها حَيَاها

أدعياءٌ قد انتمت لَطْعام

لا تُبالي في البغي من آثام

وازرتها في الغيِّ أيُّ سُوام

كم أردت إطفاءَ نار حُسام

صاغهُ اللهُ ثَمرةً لحشاها

حِلْفُ كَفِّ بها لهم أيُّ كَفِّ

ونكالٌ لهم وإرغامٌ أنف

ولطغيانهم بها أي حَتَف

بأبي من له مطاعنُ كَفِّ

لا يُداوي من الردى كلماها

كم بها للرشاد أسدى صنيعاً

وبنى للإسلام حصناً رفيعاً

إذ غدا للعلوم كهفاً منيعاً

إنّ ذات العلوم تُتَمى جميعاً

لعلّي وكان رُوح نِماها

الصفحة

171

مُدُّ يدُ الصنْع للهدى كوْنَتُهُ

وبحلي من فضلها زِينَتُهُ

كُلُّ اكرُومة بمجد عَنَتُهُ

وكذا كُلُّ حكمة مَكْنَتُهُ

من أعالي سنامها فامتطاها

فمعاليه للفضائل إلفٌ

وأياديه للفواضل حِلْفٌ

فمتى يلتجى العُلَى فهو كهفٌ

ومتى يُذكر الندى فهو لطفٌ

إنّ محيي الموتى به أحيّاها

فيه للغيّ ساخٌ كُلُّ أساس

ورسا للهدى به كُلُّ راس

فلصمصامه القضاءُ مواس

ولإقدامه تزولُ الرّواصي

والمقادير تقشعُرُ حشاها

كم معال منه لديها التطوّل

وعُلوم له عليها التفضل

فلهُ انقاد صعبُها بتدُلُّ

ومرامى الأسرارِ سدّسهم الـ

لَه منه لها فما أخطّاها

بحرّ فيضٍ أغنى افتقار عفاة

للوّجُودات منه في رشفات

وهو إن بالنوال أحيا رُفات
كم له من مواهب مُردفات
هي كالشمس لا يحول ضيائها

الصفحة
172

الصفحة
173

الشيخ هاشم الكعبي

حينما نزع من خوزستان، حمل معه شاعريته الجنوبية الابداع، المفعمة بالولاء ليزاوجها مع الأدب الفقهي الذي زخرت به الحواضر العلمية حينئذ، وقد حل في كربلاء أديباً ليتخرج من مدرستها فقيهاً.

كان الشعر الحسيني يوم ذاك هوية الشاعر المنتمي إلى مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، وشهد الشعر الحسيني ابداعاً رائعاً في أواخر القرن الثاني عشر على يد المدرسة النجفية، ولم ينتقل بعدُ إلى مدرسة الحلبيين، ولعل كربلاء قد اتخذت حين ذاك شخصيتها الفقهية الصرفة التي ميزتها بأعلامها المجددين

الصفحة
174

كالوحيد البهبهاني المتوفي سنة 1208 هـ والشيخ يوسف البحراني المتوفي 1187 هـ وكذلك السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض المتوفي سنة 1231 هـ، وغيرهم من أهل التجديد والتحقيق. إذن لم يكن في كربلاء إبان القرن الثاني عشر خط أدبي متميز، أو حركة شعرية لامعة فما الذي دفع الشيخ هاشم الكعبي الأديب لترك بلاده الخصبة بالشعر والشعراء ليحط رحاله في كربلاء الفقه والعلم والتحقيق؟

لعل الاجابة عن ذلك هو ما يستشفّه المتتبع لشعره الذي احتل منه الرثاء الحسيني مساحة واسعة جداً حتى كاد أن يتميز بكرلياته عن غيره من شعراء عصره، فهذا الهاجس الحسيني الذي يعيش في ضمير الشاعر الكعبي ترجمه إلى مرث حسيّنة بديعة، ولم يكتف بذلك بل توجّه برحلته إلى كربلاء نازحاً عن بلاده، وكأنه أراد أن يعيش المأساة الحسينية

بكل دقائقها فاستوطن كربلاء ليستلهم المأساة عن كثر وهو يتصور مسير الواقعة وحركتها المفجعة. وإذا كانت كربلاء بلد الفقه والفقهاء فليكن الشيخ هاشم الكعبي في خصم هذه الحركة العلمية الدؤوبة فيغوص في أعماقها ليأتي شعره ملتزماً بكل ما للفقهاء من مسؤولية شرعية، وتحرج ديني.

كان نزوح الشاعر إلى كربلاء عاملاً مهماً في تحريك الوسط الأدبي الراكد بسبب التوجه الأصولي الجديد الذي أثاره الوحيد البهبهاني والمسلك الفقهي المتميز الذي ترعّمه الشيخ يوسف البحراني، ولم تبق لكربلاء سمتها الأدبية كالحواضر العلمية الأخرى من النجف والحلة بل التزمت مدرسة علمية متميزة، فكان حلول الشيخ هاشم الكعبي في الوسط العلمي الكربلائي قد أضاف إلى المدرسة الكربلائية التجديدية لوناً خاصاً من

الابداع الذي أحدثاه العلمان الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني ليضيف اليهما الشاعر الكعبي ابداعه الأدبي المتجدد إلى الابداعيين الأصولي والفقهي الجديدين. كان شاعراً مقلماً متفنناً حسن الاسلوب طويل النفس نظم في مدح أهل البيت (عليهم السلام) وراثتهم حتى قال عنه صاحب الأعيان "فأكثر وأبدع وأجاد واحتج وبرهن وأحسن واتقن، وجميع شعره من الطبقة العالية، اشتهر شعره في أهل البيت (عليهم السلام) في عصره وبعده إلى اليوم في العراق وجبل عامل والبحرين وغيرها وحفظته الناس وتلى في مجالس العزاء.

كان شاعراً بارعاً شديد العارضة جزل اللفظ والمعنى منسجم التركيب سهله مقتدراً في فنون الأغراض متصرفاً في المطالب مشبع الشعر من الحكم والامثال له ديوان اكثره في الأئمة (عليهم السلام)"(1).

أبدع في الرثاء وخص بعض مقطوعاته الرائعة في السيدة الزهراء (عليها السلام) وتحدث عن واقعة الاسقاط وأكد في أكثر من مناسبة أن ما جرى على آل البيت (عليهم السلام) كانت بداياته من ذلك اليوم المشؤوم.

توفي عام 1221 هـ ليترك خلفه تراثاً أدبياً رائعاً وعتاءً شعرياً زاخراً واليك بعض قصائده.

[24] قال:

عدتك نجد فماذا انت مرتقب
أبعد أن بنت عنها بت ترقبها
لو كنت صادق دعوى الحب ما برحت
اعراب بادية تهنى بيوتهم
لم يعد ملكهم باس ولا كرم
تجري على العكس من قولي ظعونهم
فكلما قلت رفقا بالحشى عنفوا
يستعذب القلب من تعذيبهم ابدا
يا منزلا بمحاني الطف لا برحت
يدنوا اليك الحمى أم تنقل الهضب
فاذهب فليس لك العتبي ولا العتب
بك المطي ولازمت بك النجب
حيث العوامل والهندية القضب
فلا عدو لهم تلقى ولا نشب
ولو جرت مطلقا ما فاتني الارب
فليت لو قلت بعدا بالسرى قربوا
كأنهم كلما قد عذبوا عذبوا
تسقي السحائب منك البان والكتب

كم قلت نجداً وما اعني سواك به
اني وان عنك عاقتني يداً قدر
لا تحسبن كل دان منك ذا كلف
اقائل اهل ودي انهم غريوا
لا والهوى ليس بعد الدار يشغلني
يا سائق الحرة الوجناء انحلها
فانت كالشمس ما بالعالمين غنى
تالله ما سيف شمر نال منك ولا
لولا الأولى اغضبوا رب العلا وابوا
وعرب نجد ومن في ضمنك العرب
ببين جسمي فقلبي منك مقترب
ادار بالجنب لكن الهوى جنب
عن ناظري انهم عن خاطري عزبوا
عنهم ولا محنة كلا ولا وصب
طى السري وطواها الاين والنصب
عنها ولا تجدهم من دونها الشهب
يدا سنان وان جل الذي ارتكبوا
نص الولا ولحق المرتضى غصبوا

وما المسبب لو لم ينجح السبب
حتى اذا ابصروها فرصة وثبوا
والقصد يدرك لما يمكن الطلب
هي التي اختك الحوراء بها سلبوا
كانت لها كف ذاك البغي تحتطب
بالصنو قوداً وبننت المصطفى ضربوا
تدري ولولا النار ما الحطب
باق إلى سرمد الايام ينتسب
الاحياء لم تبلة الاعوام والحقب

اصابك النفر الماضي بما ابتدعوا
وما تزال خيول الحقد كامنة
فادرك الكل ما قد كان يطلبه
كفّ بها امك الزهراء قد ضربوا
وان نار وغى صاليت جمرتها
فليبك يومك من يبكيه يوم غدوا
والله ما كربلا لولا.... والاحياء
يفني الزمان وفيك الحزن متصل
كأن حزنك في الاحشاء مجدك في

قلبي وماء البكا في مقلتي سرب
ومن فؤادك ان يعتاده اللهب
دعوى يلوح عليها الخلف والكذب
وما شربت من الكأس الذي شربوا
فكيف لم تركب النهج الذي ركبوا

تقول نفسي ونار الحزن تضرم في
ترضى من العين ان تجري مدامعها
هيهات رمت محالا وادعيت به
ما انت والقوم ترجوا نيل سعيهم
هب انك فانك يوم البين صحبتهم
[25] وله من قصيدة أيضاً:

أهدت إلى قلبي سقامه
اين المنام من الملامه
للجفن مانعه منامه
كرى وليلى لن انامه
ما في الحشا ما كان لامه

لوامه حلف الملامه
لوامه نوامه
خلو الحشا عن طارق
متمدد الليل الطويل
فبدا يلوم ولو درى

لا تسليه المدامه
الغانيات له انسجامه

باللوم رام سلو قلب
وجمود جفن ليس ترقى

لا ريقها المعسول يشفيه
هيهات ذلك ضعف رأى
سام العزا صباً محال
لم يكفه الدمع المكفكف
أفما بذاك علامة
خل الجوى لمتيم
لا يستطيع سوى الشجون
غدت الكآبة نفسه
تلقى مدامعه رواه
اولم يرعك الاكرمون
وقيامة بالطف قامت
زلزلة اهدت قوارعها
طخياء كالحة السواد
فرعاء يكتسب الدجى
طارت فاكسبت الوجود

ولا فرع البشامه(1)
كيف صفو العقل رامه
عنده ما كان سامه
والجوى المبدي اضطرامه
لوندو حجى يرعى العلامه
خلى السرور لمستدامه
فكيف وهي غدت قوامه
حتى أقامته مقامه
وحرم مهجته طعامه
وما قضت لهم الكرامه
دون ادناها القيامه
إلى الكون اصطلامه(2)
كأن ساريها حمامه(3)
من جنح طايرها ظلامه
غياهاً أوهت نظامه

1- البشامة: شجر طيب الرائحة.
2- اصطلم الشبيء: استأصله.
3- الطخياء: المظلمة.

فياضة الكريات مثل
كالسيل اقدم كلما

البحر يلتطم التظامه
كفكفت زاد به غرامه

لهواتها جثث وهامه(1)	مؤارة ءوارة
ان عب بحر الءءف عامه	يزجي رءاها ساهر
سءواءه مر الغمامه	ءلقى الجبال ءمر من
الفء منها ما أمامه	مءلءفاء لئس يءري
بهم على العلىا ءيامه	من معشر ضرب الجلال
ومن أءلءها الغمامه	أءنى منازلها السماك
النسر كاهله وهامه	وموطفىء الاقاءم منها
وءبءرة الشهامه	من اءمء المءءار منصبه
بئن عئنه الامامه	بجبئنه نور النبوة
به وسئماء الفءامه	ئعلوه عنوان الجلال
وما بلء يءه ءسامه	غضببان ئءنقر الوجوه
عز الله اشءع من اسامه(2)	موف على الءفعااء
كاللئء اء ئلقى سوامه(3)	مءبئسماً ئلقى العءى

- 1- المؤارة: مبالغة لما ءره وهئ المءءركة بسرعة.
2- الاسامة: الأسد.
3- السوامة: الماشئة.

المءء أو ئلقى ءمامه	غئر ان اما أن ئءوز
الءءف ما ئشفئ ءرامه	عشق الفناء فلئس ءون
كأنما الءطر السلامه	ءرب اذا اضءرب العرئق
وصوبء يءه سهامه	ءءى اذا ءم ءمام
صءعاً أبئ الءهر الءامه	وءصءعء شمل الهءى
فأسرعت انهءامه	قرعء أساس المءء نافءة
وأرءء ئببلا ورمء شمامه	هءء ءرى رضوى

وأشمت المجد الاشم	برغم ماجده رغامه
يا أمة ولغ الشقاء	بها فاركبها سنامه
ورأى الضلال محله	منها فملكها زمامه
ما راقبت لنبيها	عهداً وما راعت ذمامه
قتلت أحبته وما	قنعت ان اغتصبت مقامه
وجرت كذاك فلم تزل	ابداً له فيهم ظلامه
جعلت حشاه فدى السهام	وماء مهجته أدامه
هاتي كرائمه يساق	ومثلها تركوا كرامه
فبناته نهياً كأن	أباحها الدين اغتنامه
ليزيد تلحو بعد كوفته	بلا ستر شامه

أسرى يعز عليه ما	يلقين من بعد الكرامه
هذا ومهجته بأيدي	الخيال قد رضوا عظامه
وكريمه البدرى فوق	قنانه لاقى تمامه
أكذا بدور الحسن لم	تبرح لها الخطى قامه
تروي الرماح أوامها	منه وما روت أوامه
والماء نصب لحاظه	يلتأح ناظره جمامه(1)
يالرجال لحادثات	قد طبق الدنيا ركامه
أرأيت مبعوثاً لقوم	هكذا جعلوا ختامه
قطعوا عناداً رحمه	الادنى وما خافوا أاثامه
أهل الشقاء لهم مقام	مالنا تلك المقامه
سادوا لنا بالسبق والمأموم	لا يعدوا إمامه
أهل العدالة والوثاقه	والجلالة والسامه

كفروا بخالقهم لوامه
حتم قضى الدين التزامه
ضربوا البتول بلا ملامه
من بيت ربهم مقامه

ما أن عليهم لا ولو
والصمت عن افعالهم
سبوا النبي غصبوا الوصي
حرقوا المصاحف غيروا

1- الجمام: الكثير.

الصفحة
184

طروا الذي آوى فهامه
باختيارهم حرامه
المؤكد عن اسامه
أولادهم ربي سلامه
على الخلق اتهامه
أجد به اهتمامه
لم وضعوا الخضامه
يخلف مرامهم مرامه
الفأ وخمسون انقسامه
بل عضبه الماضي اقامه
وعلى الحقيقة لا استقامه
منهم قدر القلامه
من الفاني حطامه
رؤسهم مثل العمامة
سماهم بغامه
من فعلها المردي زقامه
أن تأت فاطمة القيامه

أورا طريد نبيهم
حرماته هتكوا أحلوا
وتخلفوا عمداً مع اللعن
هذا وهم ساداتنا
والفرد منهم حرم الباري
ان صح فالتوحيد مم ولم
والجاحدون وأهل دين الشرك
وعلام يقتلهم ولم
بالله حلفة صادق
ما أسلموا إسلامهم
وبه استقاموا عنوة
ليسوا هم منه ولا هو
قنعوا من الباقي بما نالوا
وزهت لها الرايات فوق
وصرير صوت النعل تستحلي
واستعذبت بطباعها
فليعلمن معاشر

وليندمن هناك قوم
وليسئلن عن الوصي
ولأي أمر طفلها
وبأي حد زندها
ولهيب بيت الوحي
ويل أم هاشم ما لفاطم
ويل قضى أبد الزمان
ويل قرعت السن منه
لترى نفيلة بل امية
أضعاف ما كسبته
والفضل عدلا والقضاء
قد قلت للساري المغرب
علق بقطع البيد
يزجي لها زيافة
لبس الدجى برداً وصير
غول السرى شربت
بالله ان جئت الطفوف

حيث لا تغني الندامه
وحكمه قضت اهتضامه
في بطنها رضوا عظامه
بالسوط قد جعلوا وشامه
بالنيران لم وصلوا ضرامه
قدر سعد واحترامه
على بني الدنيا دوامه
ندامة لا بل غرامه
بل سمية بل حمامه
ساعة يجمع الباري انامه
بكف عادله انتقامه
المحمس الوجناء عامه
وصال السرى سأم السئامه
في سيرها مثل النعامه
جنح غيبهه لثامه
بطاح الحق وابتلعك اكامه
مبلغاً عني سلامه

من بعد ان قبلت تربته
وشفيت دائك إذ مسحت
ومعارج الافلاك حيث

واكثرت التثامه
بوجهك العالي رغامه
قيامها يتلو قيامه

وقولهم لهم الكرامه
وكيف هيمه هيامه
لقاك لم يعرف منامه
بعدك وانصرامه
استعلى عراقياً فشامه
وسجعه سجع الحمامه

ولكم تنوح وتزفر
والمدامع تنثر
لحظاً جفناك المستعبر
وهي بندبها لا تشعر
وكم لهم تتعذر
وماء دمعك يظهر
بالغرام ويخبر

وسمعت اصوات الدعاء
فاذكر له الشوق الملح
واخبره ان الصب بعد
ما لذ برد العيش من ذكراه
يشتاق برقاً كلما
انفاسه قيد الزفير
[26] وله من قصيدة أخرى:

ياصب كم تتحسر
كم ينظم الآلام قلبك
كم يتبع الاضعان
كم تندب الاطلال
كم تلتحيك العادلون
كم تكتمن لظى الفؤاد
كم لونك المصفر يصفح

وما تجري الجفون يفسر
أحاديث الهيام يعبر
يرعى النائمين ويسهر
بمسرة لا يسفر
رك والدجى تنتزفر
عهدت عوارفا لا تحصر
نصحاء ولا يتدبر

كم تجمل الدعوى
كم ضعف صبرك عن
كم طرفك المطروف
كم ليل شوقك صبحه
كمد الحشى تقضي نها
وبفكرك الساري
ما بال سمعك لا يعي

إلى أن يقول راثياً بها النبي (صلى الله عليه وآله) وما جرى على عترته الطاهرة:

جانب يستباح ويقهر
محرف ومخير
كريمته تهان وتحقر
وأضعلها لعمرى تكسر
يقاد وهو مزمر
ظلماً بالمهند ينحر
ضاحي بالسيف تجزر
نُب باديات حسر
جانب لم تجد ما يستر

وترائه نهب الأ
وكتابه عما أراد
وبسوط أعداه
وجنينها سقط
ووصيه قود البعير
وحبيبه كالشاة
ورجاله مثل الا
وبناته فوق الركا
حسرى تلاحظها الا

ح أزارها والمعجر
يشق فيها أنهر
قيداً بالدماء تتفجر
بالسياق ويزجر
سأل الترفق ينهر
باطراف الرماح تشهر
والمدامع تمطر
شداد بسبعها تتفطر
منخسف السنا لا يبدر
ء وشمسه تتكور

مثل السبايا يستبا
ومتونها بيد السياط
وعليه ساقاه
وبتيمها بالعنف يقهر
وسؤال سائلها اذا
ورؤوس سادتها
وقلوبها بالثكل تشعل
حال تكاد له ال
ويروح منها البدر
واليوم مفتقد الضيا

أحمد بن زين الدين الاحسائي

في المشروع الأدبي الشيعي وجدت القصيدة العربية انفرجاً ملحوظاً في الاغراض الشعرية المتعددة بعد ما كان محصوراً في نطاق الغرض الشعري الواحد، أي أن الفترة الزمنية الثقافية تخصصت بغرض شعري واحد تكاد القصيدة العربية تتفوق في اطاره الضيق، "والاحادية الشعرية" كانت ترجمة للهيمنة الفكرية المتسلطة على المشروع الأدبي التي تبعت القصيدة الشعرية على أساس رغباتها وفي ضمن دائرتها الأدبية المحدودة فالعصر الأموي مثلاً شهد "تأطير" القصيدة في نطاق المديح المتدني تنفيذاً

الصفحة

190

لرغبة البلاط، والشاعر الأموي لا يكاد يقدم مشروعه الأدبي حتى يكون ضمن الطابور الأدبي الذي يصطف على أبواب البلاط متزلفاً بمدحة أو متقرباً بما تجود به قريحته من التلغني "بمكر مات" الخليفة التي يغدقها عليه ضمن قصيدته، ولعل أقصى ما يتحفظ به الشاعر من مشكلة المديح هو محاولة انتقاله إلى اغراض العبث التي يدخلها الخليفة ضمن برنامجه الترفيهي، فيحيل القصيدة إلى تنفيذ مشروع فني يقدمه إلى "قاتنات البلاط" لينشدين قصائده في منتديات العبث ومحافل الغناء.

كانت بدايات العصر العباسي انفتاحاً على مشروع سياسي أدبي أدخل القصيدة العربية في مباراة سياسية يفتخر بها على الأمويين الذين انقضى عهدهم تواءمًا والاعلام العباسي متشنجٌ لاثبات "ألوليته النسبية" لتسّم منصب الدولة على أنقاض آل أمية الأبعدين نسباً وحسباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هذه كانت اطروحة بني العباس تفاخر بالانساب وتزاحم على الالقاب، فمن المنصور إلى الرشيد حتى المأمون وإلى المتوكل، ألقاب توجّتها السياسة العباسية إغداقاً على خلفائها الذين أحالوا المشروع الأدبي في خدمة التوجهات السياسية العباسية، وهكذا ذهبت القصيدة العربية تتسابق مع النشاطات الثقافية الأخرى توظيفاً لها في خدمة البلاط. وتفرّقت الاغراض الشعرية على عدد التشعبات السياسية التي توزعت على أساس الدولة والامارة والوزارة والكتلة والجماعة لتلك العهود السياسية.

وتبقى القصيدة الشيعية خارج نطاق تسييس الغرض الشعري الذي أمّلته الظروف السياسية المرتجلة، ويبقى الشاعر الشيعي متحفّظاً دائماً من أجل تنفيذ رسالته الفكرية فيلقبها في قصيدته الشعرية ويتحمّل تبعات

الظرف السياسي الرافض لهذه التوجهات العقائدية، وفي قصيدة الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي تتجلى حقيقة هذه التوجهات فيبيّن غرضه في مشاريعه الأدبية ويستجلي الاحداث ضمن مقطوعاته ليفدّم التاريخ في قصيدته الشعرية، وينسج قصائده على أساس الرؤية التاريخية الناضجة المنبعثة من موضوعية الشاعر وواقعيته.

* * *

[27] قال في احدي قصائده:

نفحات من روائي نجد	برديّ وجدي برديّ وجدي
وانفخي في الروح ما ينعشني	وانفخي بالروح جدي جدي
واعهدي ريّ عهاد هطلت	بلّ لبيّ وأراني عهدي
واخبري أهل اللوى ما فعلوا	والحمى والمنحني من بعدي
قطنوا في ربعم أم ظعنوا	فعسى يهدي اليهم نجدي
ليت شعري إذ مضوا هل علموا	أنهم دون البرايا قصدي
فارقوني لا لتقصيرهم	بل لذنبي وقصور الجدي
رجع الله ليلاّتي بهم	وأراني قريبهم في بُعدي
ولهم عندي بأرض وطئوا	وضع خدي وهو فخر عندي

صاح ما حاله من فارقهم	ورُمى من دهره بالضدّ
زمنٌ أسلمٌ ما أعرّفه	أنه بي منطو بالحدّ
كم علا أهل العلا فادحه	بخطوب رددت ما يُبدي

دائراتٌ بأهيلِ المجدِ
كلُّ نجدٍ بينهُ أو وهدي
بحسامٍ للمرادي مُردي
وقضت مغصوبةً للرُفدِ
ثم زادوها بقتل الولدِ
فقضى لهفي لسمِ صردِ
جائهم لما دعوهُ يهدي
كلُّ نعلٍ وخبثٍ وغدِ
للِقفا وهو لهم كالشهدِ
أسداً أكرمٍ به من أسدِ
ماونوا عن حريمهم عن شدِّ
يا رعى الله قليل العدِ
غير ان الجد أصل الردِ
صار فرداً وهو سر الفردِ

وله كل صباحٍ ومسا
عترة المختارٍ قد فرّقهم
فمضى في فرضه حيدرَةً
وأهينت فاطمة بل ضربت
واستقلوا لأذاها حنقاً
فسقوا شبرها سمهم
وحسينٌ قلبها مهجتها
فتعاووا حولهُ أكلبهم
جائهم في نفرٍ قادهم
شُهدا يقدمهم شاهدهم
وأشداءٌ على الكفار ما
كم أبادوا من رجيمٍ وهم
فقضوا يا ليتني كنت بهم
وحسين بعدهم إذ قتلوا

الصفحة
193

وهو معنا بجنان الخلدِ
كل مكروه بضرب الهندي
رأسه منه بماضي الحدِ
هو كالبدر ببرج السعد(1)

داعياً يا قوم من ينصرنا
فاجابوه العدا سوف ترى
قتلوه ظامناً بل قطعوا
ثم علوه برُمح فاذا

1- عن الديوان المخطوط للشاعر الموجود في مكتبة الحرم الرضوي تحت رقم 14294 والتي أوقفها السيد محمد باقر السبزواري محرم 1405 هـ.ق.

الصفحة
194

الشيخ حسن الخطي

لم تقتصر "رثايات الأدب الشيعي" على اظهار المأساة واستجلاب العواطف فحسب، بل غدت المأساة الشيعية منطلقاً للكمال الاجتماعي الذي من خلاله تستطيع الأمة بناء ذاتها والرجوع إلى أصلاتها التي أفقدت جانباً مهماً منها الظروف السياسية الحاكمة غير الرشيدة، ودعت هذه المأساة إلى استلهاهم روح الصبر والثبات من لدن أئمة آل البيت (عليهم السلام) وجعلها مشروعاً تنظيرياً تصبو من خلاله إلى تشكيلة الشخصية الإسلامية التي حرص على ايجادها الأئمة الاطهار (عليهم السلام).

طغت ظاهرة التنظير هذه على المشروع الأدبي الشيعي، واستطاع الاديب أن يترجم طموحات الرؤية الامامية في بناء الشخصية الاسلامية، ووجهت القصيدة الشيعية إلى برمجة أخلاقيات أئمة آل البيت (عليهم السلام) وملامح حياتهم المليئة بالجهاد والثورة، ولم تعني القصيدة الشيعية من الثورة محاولة التغيير السياسي، بل إتسع هذا المفهوم ليشمل محاولات تغيير كل مجالات الحياة بما في ذلك سلوكية النفس وتوجيهها إلى مراقبي الكمال، لذا فان الشاعر الامامي إلترم في بعض رثاياته إلى محاولات الوعظ والارشاد وتوجيه المأساة إلى محاولات اصلاحية ترقى من خلالها النفس إلى معارج الكمال. أحدثت هذه "المدرسة الرثائية الوعظية" تحولا ملحوظاً في أغراض القصيدة الرثائية، ولم يعد الرثاء حالة استعطاف وتحريك مشاعر، بل صار الرثاء سبباً تربوياً يستطيع الشاعر من خلاله إلى ان ينحى منحى الموجّه المرشد، وتتغير ملامح الرثاء الأدبي من البكاء على الاطلال الجاهلي، إلى حالة تربوية يوجهها شاعر آل البيت (عليهم السلام) مستلهما من سلوكية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) محاولة بناء واكتمال. قدّم الشيخ حسن الخطي نموذجاً ناجحاً من هذا اللون الرثائي وسلك مسلكاً تربوياً يستغل به مأساة آل البيت (عليهم السلام) ليقدم طروحاته الاخلاقية، ويؤكد في محاولته هذه إلى أن الدنيا لم تكن دار راحة واستقرار، بل هي دار عناء وبلاء منطلقاً من توجيهات آل البيت

(عليهم السلام)، ويستدل على أنها كذلك، بما جرى على خيرة الخلق وأفضل البرية محمد و آل محمد عليهم صلوات الله أجمعين، وكونهم أقرب الخلق إلى الله تعالى وأحبهم إليه وأفضلهم عنده، ومع

كل هذا فقد صبّت الدنيا عليهم أنواع المحن والبلاء، وإذا كان كذلك فحريّ بالعاقل أن يتعظ بمصائبهم ويستذكر محنهم لتهون عنده الدنيا وما بها، خيرها وشرها، وهكذا وجّه الشاعر مأساة آل البيت (عليهم السلام) إلى الاكتمال الروحي والصبر والمثابرة ومحاولات التغيير نحو الأرقى والأكمل، وإذا تابعت مقطوعاته الرثائية فانك ستجد أن النصيب الأوفر من الرثاء قد احتفظت به مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن، وحازت محنتي السيدة الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام اهتمام الشاعر وأكدها على أنها بداية سلسلة المآسي التي جرّت على آل البيت (عليهم السلام).

* * *

[28] واليك نموذجاً من مقطوعته "الرثائية الوعظية":

ومن ينظر الدنيا بعين بصيرة	يجدها أغاليطاً وأضغاث حالم
ويوقظه نسيان ما قبل يومه	إلى انها مهما تكن طيف نائم
ولكنها سحارة تظهر الفنا	بصورة موجود بقالب دائم
ولا فرق في التحقيق بين مريها	وما يدعي حلوا سوى وهم واهم
فكيف بنعماها يغر أخو حجر	فيقرع ان فانت لها سن نادم
وهل ينبغي للعارفين ندامة	على فانت غير إكتساب المكارم

وما هذه الدنيا بدار استراحة
على قدر بُعد المرء منها ابتعاده
ألم تر آل الله كيف تراكمت
أما شرقت بنت النبي بريقها
أما عصرت بين الجدار وبابها
أما أسقوطها لا رعى الله قومها
أما روعت بالسوط قنّع رأسها
أما نابت الكرار منها نوائب
أما قيدوه في حمائل سيفه
أما أوقفوه لا رعى الله قومه
ألم يعد الزاكي ابنه وهو ملجأ
أما هجموا فسطاطه وتناهبوا
أما دست الأعداء له السم غيلة
أما رشقوه النبل وهو جنازة
وإن أنسى لا أنسى الحسين وقد غدا
إلى آخر القصيدة.

وتحصيل لذات لغير البهائم
عن الروح واللذات ضرية لازم
عليهم صروف الدهر أي تراكم
وجرعها الأعداء طعم العلاقم
أما نبت المسمار في ثدى فاطم
جنين حشاها محسناً يالهاشم
و وشح متينها به شر غاشم
نوائب لكن عن سموم الارقم
لأخبث ضليل وأخبث ظالم
على رأس عجل القوم وقفة آثم
إلى سلم حرب وهو غير مسالم
به رحله نهب الغزات الغنائم
فألفى به في الطشت قلب المكارم
على النعش لا بل فوق هام التعائم
على رغم أنف الدين نهب الصوارم(1)

1- رياض المدح والثناء للشيخ حسين البلادي: 336.

الشيخ

محمد حسن آل سميسم

إذا كانت بعض الوجودات قد اعتادت أن توكل مهمة الشعر إلى طبقتها الفكرية المترفة، فإن الحوزة العلمية النجفية قد أكلت القصيدة الشعرية إلى علمائها الأدباء من أهل النظر والتحقيق، وإذا كان الشاعر قد اعتاد أن يمارس الغرض الشعري كواحد من الفنون التي يولدها العصر وتُرعرعها مترفات المجالس، فإن الأديب الشيعي قد أخذ فضلاً عن مهمته العلمية التحقيقية، مهمة التعبير عن اطروحة المذهب وتوجهاته، وإذا اعتاد الشاعر

أن يبكي على أطلاله أو يتغنى بمفاخر بني قومه، فإن الأديب الشيعي قد بكى على مصائب آل النبي المظلومين، وتغنى بماضي الأمة المجيد، يوم كانت منتمية إلى قيادتها الشرعية المتمثلة بآل البيت الطيبين، إذن فبين الأدب الشيعي وغيره مسافات شاسعة من الفكرة والاطروحة، فهذا تعبير عن واقع أمة، وذاك تقرّظ لغرض شخصي مترف، فصار الأدب الشيعي أكثر جدية و أوسع شمولية، وبقي غيره ترفاً فنياً يتبارى به في نوادي الأدب ومحافل البلاط.

هكذا كان الشيخ محمد حسن آل سميّسم، فقد عبّر عن مرحلة وعي أدبي، وأدرك واقعاً أدبياً ملتزماً أخذ على نفسه تقديم الاطروحة على أساس الواقع والموضوعية. حقق الشيخ محمد حسن آل سميّسم تقدماً رائعاً في مجال التعبير عن مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام)، واختزل في قصائده تاريخاً طويلاً من المصائب والمحن التي حلّت في ماضي الأمة وحاضرها، وكأن قصائده الفاطمية جاءت قراءة ناضجة لمستقبل بعيد يشهد عليه ماضٍ مرير.

حظيت قصائده الفاطمية شهرة منبرية واسعة، فأنشدتها الخطباء في المحافل، واستطاعت في الوقت نفسه أن تخترق القلوب لتسجل حضورها في الميدان الأدبي الابداعي. إن المستمعن في القصيدة البائية الأولى سيجد التفاتة تحقيقية رائعة، حيث سجّل في قصيدته لوناً رثائياً جديداً أكد فيه أن المحسن بن علي كان أول شهيد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو شهيد على آله المظلومين، وشهيد على

ظرف سياسي غير رشيد سجّلت انحرافاتة واقعة الاسقاط التي راحت تشهد على تاريخ متخاذل وأمة ناكسة متقاعسة.

* * *

[29] واليك قصيدته البائية الرائعة:

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الزَّمَانَ عِتَاباً
وَمُدَكَّرٌ مَا رَاحَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا
أَيَّامَ أَفْتَرَشُ النِّعِيمِ أَرَائِكَا
وَأَدَاعِبُ الظُّبِيَّاتِ حَتَّى خِلْتَنِي
يَا وَيْحَ دَهْرِي رَاحَ يَنْزِعُ لِلْأَسَى
دَهْرٌ تَعَامَى عَنْ هُدَاهُ كَانَهُ
وَمُقَرَّرٌ مَنِّي لَهُ أَبْوَابَا
لَوْ عَادَ رَائِقٌ صَفْوَهُ أَوْ آبَا
وَأَعَبَّ بِالشَّجَرِ الْأَنْبِقِ رِضَابَا
مِنْ قَرَطٍ مَا آتَى بِهِ تَلْعَابَا
مِنْ بَعْدِ مَا ذُقْتُ النِّعِيمَ شَرَابَا
أَصْحَابُ أَحْمَدَ أَشْرَكُوا مُذْ غَابَا

الصفحة

202

نكصوا على الأعقاب بعد مماته
سَلْ عَنْهُمْ الْقُرْآنَ يَشْهَدُ فِيهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا أَحْمَاوَلَا
وَبِخَيْرٍ مَنْ رَاحَ يَرْفُلُ بِاللَّوَا
وَمَنْ اشْتَرَى لَهِ نَفْسَ مُحَمَّدٍ
مَنْ فِي الصَّلَاةِ يَرَى الصَّلَاتِ فَرِيضَةً
مَنْ بَابُ حِطَّةٍ غَيْرُ حِيدِرَةٍ وَمَنْ
أَعْجَبَتْ مِمَّنْ أَحْرَوْا مَقْدَامَهُمْ
قَدْ أَضْمَرُوهَا لِلْوَصِيِّ ضِعَانًا
سَيَرُونَ فِي هَذَا النُّكُوصِ عِقَابَا
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْفَهُ لَذَاكَ خِطَابَا
أُحْدًا وَلَا بَدْرًا وَلَا الْأَحْزَابَا
مَنْ قَدْ مَرَّحَبَ مَنْ أزالَ الْبَابَا
فِي نَفْسِهِ لَمَّا دُعِيَ فَأَجَابَا
مَنْ نَالَ خَائِمَةَ الشَّرِيفِ جَوَابَا
لِمَدِينَةِ الْمُخْتَارِ كَانَ الْبَابَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَقَدَّمُوا الْأَذْنَابَا
مُذْ دَحْرَجْتَهَا لِلنَّبِيِّ دَبَابَا

الصفحة

203

لِيُنْقَرُوا الْعَضْبَاءَ فِي قُطْبِ الْهَدَى
حَتَّى يَعُودَ الدِّينُ بَعْدَ يَبَابَا

نَسَبُوا لَهُ هَجْرًا لَخَوْفِ كِتَابَةِ
فَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كِتَابَا
مَا كَانَ يَنْطِقُ عَنْ هَوَاهُ وَإِنَّمَا
وَحْيٍ يُحْيِي لَهُ النَّبِيَّ خُطَابَا

* * *

يَا بَابَ فَاطِمَ لَا طُرُقَتِ بِخَيْفَةٍ
وَأَوْلَسْتَ أَنْتَ بِكُلِّ أَنْ مَهْبَطَ
أَوْهَا عَلَيْكَ فَمَا اسْتَطَعْتَ تَصَدَّهُمْ
نَفْسِي فِدَاكَ أَمَا عَلِمْتَ بِفَاطِمَ
وَأَوْمَا رَفَقْتَ لَضَلْعِهَا لَمَا انْحَنَى
وَيْدُ الْهَدْيِ سَدَلْتَ عَلَيْهِ حِجَابَا
الْأَمْلاكَ فِيكَ تُقْبَلُ الْأَعْتَابَا
لَمَا أَتَوْكَ بَنُو الضَّلَالِ غِضَابَا
وَقَفْتَ وَرَاكَ تَوْبِخُ الْأَصْحَابَا
كَسْرًا وَعَنهُ تَزْجُرُ الْخُطَابَا

الصفحة
204

أَوْ مَا دَرَى الْمَسْمَارِ حِينَ أَصَابَهَا
عَنْبِيَّ عَلَى الْأَعْتَابِ فِيهَا مُحَسَّنٌ
حَتَّى تَوَارِيهِ لِأَنْ لَا تَسْحَقَ الـ
هُوَ أَوْلُ الشَّهَادَةِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
مَا اسْطَاعَ يَدْفَعُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
لَمَا عَدَا لِلْبَيْتِ عَدْوَةَ آمِنٍ
لَوْ يَنْظُرُونَ دُبَابَ صَارِمٍ حَيْدَرٍ
لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا الْوَصِيَّةَ أَنَّهَا
فَهَنَّاكَ قَدْ جَعَلُوا التَّجَادَ بِعُنُقِ مَنْ
مِنْ قَلْبِهَا قَلْبَ النَّبِيِّ أَصَابَا
مُلْقَى وَمَا انْهَالَتْ عَلَيْهِ ثُرَابَا
أَقْدَامَ مِنْهُ أَضْلَعًا وَاهَابَا
وَيَرَى الْمَصَابَ عَلَى الصَّوَابِ صِوَابَا
فَمَضَى لِأَحْمَدَ يَشْتَكِي الْأَصْحَابَا
مِنْ لَيْثِ غَابَ حِينَ دَاسُوا الْغَابَا
لِرَأَيْتِهِمْ يَنْطَابِرُونَ دُبَابَا
صَارَتْ لَصَارِمِهِ الصَّقِيلِ قِرَابَا
مَدَّوْا لَهُ يَوْمَ "الْغَدِيرِ" رِقَابَا

الصفحة
205

سَحْبُوهُ وَالزَّهْرَاءُ تَعْدُو خَلْفَهُ
فَدَعَتْهُمْ خَلَاوِ ابْنِ عَمِي حَيْدَرٍ
حَارِبْتُمُ الْبَارِيَّ وَآلَ نَبِيِّهِ
وَالدَّمَعُ أَجْرْتُهُ عَلَيْهِ سَحَابَا
أَوْ أَكْشِفَنَّ إِلَى الدَّعَاءِ نِقَابَا
وَعَصِيَّتُمْ الْأَعْوَادَ وَالْمَحْرَابَا

لَمْ تَسْحَبُونَ الصَّالِحَ الْأَوَابَا
نورَ النَّبِيِّ السَّاطِعِ النَّقَّابَا
قد صارَ دونَهُمُ لها جَلْبَابَا

ولا نرى أموياً مات بين نبي
حسرى على كل مهزول المطي نَقْبِ
ما بين دام ومنحور ومستلب

ونكثنُ كَثْمودَ، هذا صالحُ
رجعوا إليها بالسياط ليُخْمِدُوا
فتهافتوا مثلُ الفراش ونورُهُ
[30] وله قصيدة اخترنا منها قوله:

أيقتلون ابن وحي بين عبثهم
وليت شعري بمن سيقنت نسائكمو
وزينب مذ رأت أشلاء أخوتها

بمدح آل أبي سفيان بالغلب
أخت واخوتها صرعى على الكُثْبِ
حتى أغسلكم في أدمعي السُكْبِ
في جَلْدِي في العين في الهدْبِ
بين الترائب لا في الترب والزحَبِ
مقيّداً يشتكى من نهسة القَتَبِ
بسهمه راضعاً عن ثدي محتلب
بكل بر نونة معدومة النسبِ
يوم السقيفة مبنئاً على الخشبِ
وإنما اصله من حامل الحطبِ

قامت تخاطبهم والعيس قد حُدِيت
يا أخوتي هل رأيتم قبل ذا رحلت
فليتهم وقفوا حتى أو ودعكم
فليتهم وقفوا حتى أكفنكم في الصبر
فليتهم وقفوا حتى أوراىكم
وليت شعري بمن قادوا عليكموا
وليت شعري بمن أضحى رضيعكم
وليت شعري بمن داسوا جسومكمو
لكنّ ذا الأمر من ماض تأسُسُهُ
ولم يكن من بني حمالة الحطب

بابٌ سواه أتى وحيً به لنبي
لأنه عاد مقلوباً على العَقْبِ
واسقط الحمل منها غير مُرتَقِبِ

من أضرم النار في باب الوصي ولا
ليقلب الناس طُرّاً عن هدايتهم
من ثدي فاطمة المسمارَ أرضعه

وقاد حيدرَ قوداً في حمائله
لا يُنقص الليث وطأ الكلب غابته
أتعجب الكفرُ أضحى فاتكاً بهدى
سمعاً بني حيدر منظومة بكم
الله من حكّم الله من إرب
من يأمن البطش ابدى سؤة الأدب
فلم تزل تحدث الايام من عجب
من ثغر من حارب التبسيم مكتئب
وعفوكم عن مواليكم بلا سبب
اعدّها سببا للعفو عندكمو

هذي قصيدة عزّ كان مطلعها
يا خاطب العزّ والعياء في الخُطبِ

[31] وله مرتجزاً مادحاً أمير المؤمنين (عليه السلام) ومتخلصاً إلى مصاب الزهراء (عليها السلام).

يا أيها الرسول بلّغ بعلي
قل يا عبادي خير بشرى لكم
اليوم أتممت عليكم نعمتي
وقد رضيت لكم الاسلاما
فقام قائماً نبي الرحمة
يقول من كنت أنا مولاه
من لا يواليه فما والاني
فجسمه جسمي ولحمي لحمه
هذا الذي رب السماء قد عينه
هذا هو التوراة والانجيل
هذا هو الزبور والفرقان
هذا الذي آدم لما أن غوى
وهو الذي قد سير السفينا
وفيه ناجى ربه الخليل
ما فيه أنزلت من النص الجلي
اليوم أكملت لكم دينكم
فلا تخافوا بعد ذاك نعمتي
وقد جعلت المرتضى اماما
يخب في محضر جل الأمة
فالمرتضى مولى له يرعاه
ومن يعاديه فقد عاداني
وعظمه عظمي ومني دمه
ولي كل مؤمن ومؤمنة
هذا فتى يخدمه جبريل
هذا هو الازمان والاكوان
بجاهه دعا و الآلهوى
ويونس به رأى اليقطينا
وفيه عوفي ذلك العليل

كلا ولا كلم موتاً عيسى
كلا ولا كانت بحار تجري

لولاه ما جاز ببحر موسى
كلا ولا كانت نجوم تسري

هذا هو الحاكم في الميعاد
وقد قرأتم انما وليكم
بسيفه القاطع للوتين
ان أخاك مكرها لا يطل
لم يحصها سوى الذي سواها
فاحتفظوا فالأمر غير مشتبه
عليه بالأمر الذي قد ألزموا
والنص في غدير خم أنكروا
وضلع بضعة الهدى قد كسروا
ونبذوا الميثاق والكتابا
اذ خرجت تعدو مع الوصي
ياقوم هذا سيد الكونين
أليس رب العرش بالمرصاد
وان أبت فبالعصا أوجعها
وأنت عالم وتدري الخبر(1)

هذا علي علة الایجاد
اليه في محشركم مصيركم
هذا الذي شيّد ركن الدين
يقول كل من اليه يصل
له مزايا قط لا تُضاهها
أليس أبلغت بما أرسلت به
فقام قوم منهم وسلّموا
لكنهم سرعان ما قد غدروا
وللذي قد باعيوه قهروا
وغلقوا من دونها الابوابا
يالهدف نفسي لابنة النبي
تقول خلوا والد السبطين
تبغون أن تيتموا أولادي
فقال... يا غلام ارجعها
ولست أقوى أن أقول ما جرى

1- سحر البيان وسمر الجنان ديوان الشيخ محمد حسن آل سميسم تحقيق حسام الدين آل سميسم: 145 دار البيان العربي بيروت 1993.

الشيخ سليمان البلادي البحراني

أضحت القصيدة العربية بعد واقعة الطف محاولات مبرمجة من قبل الأديب الشيعي لاستنطاق التاريخ، واستخدمت القصيدة الشعرية على انها وقفات تأمل يوقف الشاعر أمته في محطات قد اضطرت عندها الرؤية التاريخية وغابت عنها مسؤولية المؤرخ وهو يترنح في مشاريعه التاريخية بين الحقيقة الناصعة التي اخترقت وجدانياته وبين انتماءاته السياسية التي فرضت عليه أن يقف عند حدود التوجيه المبرمج للحدث. ولم تكن واقعة الطف هي الاساس في استنهاض القصيدة العربية من

سباتها المتترف لتدخل في دائرة البحث الموضوعي، بل كانت واقعة الطف حالة وجدانية لتحريك الأمة باتجاه البحث عن الحقيقة المضيعة من قبل وجودات سياسية غير مشروعة فرضت عليها حكومة جائرة مستخفة بكل القيم الانسانية فضلا عن المبادئ الإسلامية والتي استمكنت من رقاب المسلمين ضمن سياقات سياسية مبرمجة أبعدت القيادة الإلهية عن مقامها وأتاحت للأمويين من العبث في مقدسات المسلمين ومصائرهم. إذن كانت واقعة الطف تحفيز للرجوع الى الاسباب التي أحدثت هذه المأساة واستدراج للظروف المبيّنة من قبل أولئك الذين قدّموا الأمة طعمة سائغة لمشتهيّات المطامع الأموية في الحكم والتسلط.

وإذا كانت واقعة الطف بداية للبحث عن الحقيقة المضيعة، فان القصيدة الكربلائية ترجمت للحدث الفاطمي حيثياته وتفاصيله، فكانت المأساة الفاطمية ديباجة يفتتح بها مرثية كربلاء، أو خاتمة استنتاجية للقضية الكربلائية المفجعة.

ففي مقطوعات الشيخ سليمان البلادي البحراني الشعرية أكد هذا المعنى:

هو الدهر بالاعجال تسرى ركائبه
تولع بالسادات في كل كريمة
فيالك دهرا لا ينيم ولا ينم
فلم تمتنع منه حصون منيعة
وحسبك موت المصطفى خير سيد
قضى فقضى من بعده الحق واختفت
وجلل ثوب الدين ثوب كسوفها
واذرت عيون الكائنات دموعها
لقد أظهرت فيه السقيفة مضمرا

كما كان بالأجال تسعى نوائبه
فما سيد الا رحته صوائبه
تتم على الاعمار دابا رقائبه
ولا ملك قد حصنته مقائبه
ومن عمت الاكوان طرا مواهبه
باستار ليل الجور منه كواكبه
كما خسفت بدر الوجود غياهبه
كما وكفت منه عليها صحائبه
لاطفاء نور الله كانت مناصبه

كما أضمرت نيرانها مستطيرة
بها صمموا أن يحرقوا دار فاطم
بها البضعة الزهراء القت جبينها
فيالك ناراً طبق الكون نشرها
بها الحيدر الكرار قيد ملببا
وعمم منه الراس سيف ابن ملجم
بها الحسن الزاكي تقطع قلبه
كما جده المختار قطع قلبه
ومنها طمت في كربلا لجة البلا

فذا حرها للدين عمت لواهبه
ومن نوره قد نور الكون ثاقبه
بضغط رقت أوج السما نوادبه
فذبت على آل النبي عقاربه
وشنت عليه في الحياة حرائبه
فغودر في المحراب والدم خاضبه
بسم فممه الدين قطع جانبه
بسم فممه الدين هدت شناخيه
على فلك نوح وامتطى الكرب راكبه

فمن صعدة الباغين منبر أحمد
على صعدة راس ابنه البغي ناصبه

ويا طالما صدر النبي يلاعبه
لقد جردت راس الحسين ضرائبه
به أحرقت في كربلاء مضاربه
يقاد به سجاده ونجائبه
لقتل ابنه في الطف جرت كتائبه
به لحسين اسقط الطفل ناشبه
به زينب لاقت يزيد تخاطبه
مشت زينب نحو العليل تجانبه

واصعد شمرأ فوق صدر ابن احمد
وسيف له تلك السقيفة جردت
وجزل أداروه على دار حيدر
وقود الوصي المرتضى بنجاده
وجيش علي الكرار حمت سيوله
واسقاط بنت المصطفى الطهر محسناً
وخطبتها في مجلس عند حبتن
ومن مشيها ترجو لتخليص حيدر

اباها بدمع اقرح الطرف ساكبه
تحل عقال النائبات جوانبه
فبعذك نور الحق أظلم لا حبه
وخابت بنو الآمال مما تطالبه
وادرك منا الوتر من هو طالبه
يجاذبنا صرف البلا ونجاذبه
بنور محياك استتارت محاربه
غداة خلا من اوج مرقاه خاطبه
رباه كأن لم يغن بالامس جانبه

ولم انس مهما انس فاطم اذ دعت
لقد كنت ياخير الخلائق معقلا
بنورك كانت تستضيء اولو الحجا
وقد اثكلت ام المعالي وايمت
تهضمنا القوم اللئام بيغضهم
فها نحن لما غبت عنا بذلة
يحن حنين الهيم مسجدك الذي
ومخطبك السامي أقام خطوبه
وناديك مذ غاض الندى عنه صوحت

بلال ندى الا سرايا يناوبه
بعاصفة الارحاء عنه سجائبه
وخيبة من اخنت عليه مآربه

لقد تربت كف العفاف ولم تتل
اتحيي رفاة والحياة قد تقشعت
فوا ضيعة الاسلام بعد كفيها

وأحمدها في الترب رضت ترائبه
وزاخر مجراها بفقدك ناضبه
باغماض طرف كنت فينا تراقبه
ونازعه حق الخلافة غاصبه
كأنك في اجر المودة كاذبه
وعمرى منه زاده ومشاربه

ومن اين تعلقو للمحامد راية
وانى بنو الحاجات تجري سفينها
ابى فتحت عين الضلال لظلمنا
فذا صنوك الكرار أصبح صاغراً
وسبطاك ما راعوا حقوقك فيهما
فها مدمعي ينهل كالسحب وبله

وان بعيد الملتقى متقاربه
وفي القلب ما يذكى لظى الوجد لا هبه
عظيم البلا ينسى وتسلى مصائبه
اغث آبقا قد اوبقته معايبه
فثقله كي لا تستخف مكاسبه
سما اسمى بدا فلتعل منه مراتبه
تروح وتغدو كل آن ركائبه

وهون خطبي ان عمرى منقض
وكيف بقاء الجسم من غير روجه
فهذا هو الرزؤ العظيم الذى به
ايا سيد الرسل الشفيح لمن عصى
اذا خف ميزاني بما كسبت يدي
فحبك يا مولاي أحمد صالح
عليكم من الله السلام سلامه

[33] وله "قدس سره" (في رثاء البتول الزهراء (عليها السلام))

وذكرى ليالي وصل ثلثه أوني
امنت الفنا لو قد ضمننت الهنا ضمنا

الى كم ولوع القلب بالعادة الحسننا
تهيم بتيهاء الضلال كأنما

وعن حق تقوى الله لا تخمض الجفنا
وصرح ما الدنيا لمستوطن سكنا
قرونا أبادتها ولم تأتلف قرنا
وبعد هناهم حسرة لم تكن تقنى

فجاف جنوب الحزن عن مضجع الهوى
فهذا بلال الشيب حيعل بالسرى
كفاك من الدنيا الغرور غرورها
تعوضهم بعد القصور قبورهم

وكم توحش الأباء بالجلس لابنا
لما اتخذتها الاولياء لهم سجنا
سلاطينها برهان مقدارها الأذنا
أصمت واصمت للهدى القلب والأذنا
يهيج أسى يستغرق السهل والحزنا

فكم عانقوا بعد الغواني جوامعا
ولوانها ساوت جناح بعوضة
وفي غدرها بالمصطفى وبآله
لهم سددت من اقوس البغي أسهما
فكم كابد المختار من قومه أذى

قضى نحبه بالسّم وهو معالج
وقد قلبت ظهر المجن لحيدر
يسب على الاعواد وهو عميدها
كسأه نسيج الدم سيف ابن ملجم
ومخدومة الاملاك سيده النسا
اتاحت لها كهف العدى غصص الردى
بضرب وضغط واغتصاب وذلة
على دارها داروا بجزل لحرقها
وفي بعلها الهادي استحلوا محرما

على رغم أنف الدين سقماله أضنى
فكم زفرة ابدى وكم غصة جنا
ورب الورى فرض الولاء له سنًا
وكم البس الابطال من دمها الاقنى
سليلة خير الخلق والدره الحسنى
وذاقت لها سماً من الحقد والشحنا
وكان حماها العز والامن والحصنا
وكانت بها الاملاك تلتمس الأذنا
كما حرموها نحلة المصطفى ضغنا

تعاوت لشبليها كلاب تهر في
وما برحت من بعد حامي دمارها
عليلة جسم للنحول ملازم
اذا ذكرت حالاتها في حيوته
فتبكيه والحيطان تبكي لصوتها
الى ان ارادت روحها العالم الذي
ففارقت الدنيا كراهة لبثها
فناح لها المحراب اذ غاب نوره
وعين الليالي أقرح الدمع جفنها

وجارها فاستشعر الهون والوهنا
معصبة رأساً ومنهدة ركنها
لفرط الضنا حتى حكى قلبها المضا
توّجج نار الفقد في قلبها حزنا
فما بقعة الا وعبرتها سخنا
بدت منه واشتاقت لموردها الاسنى
ورافقت الأخرى ولغمتها الحصنى
بفقدانها واستبدل الطخية الدجنا
على أنها تحيى باذكارها وهنا

وعاد سراراً وجهه النير الأسنى
 لفقدانها الذي يزهر الغصنا
 وجلل بدر التم خسف به اكتنا
 فصفقتها من بعد صفقتها غبنا
 وحسن صلوة بالظلام اذا جنا
 بغيبة زهر الكون عن ذلك المعنى
 لبضعته وجداً به يقرع السنا
 لقد كسرت من رأس شوكته قرنا
 نفى عن حسان المكرمات أسى حسنا

وبشر النهار انهار طود ضيائه
 وزهرة ذي الدنيا ذوي غصن دوحها
 وشمس النهار اسود بالكسف وجهها
 فيا غبنة الدنيا لغيبة فاطم
 ليبيكي عليها بالعفاف صلاتها
 لتبكي المعالي الزهر اذ غاب نورها
 فمن ذا يعزى المصطفى فهو واجد
 ومن ذا يعزى المرتضى بقرينه
 ومن ذا يعزى الأحسنين بفادح

فما برحت من بعدها ثاكلا حزنا
 أصابت لداني قاب قوسين أو أدنا
 يشيد ثناء طبق الانس والجننا
 تتل في سوى الليل البهيم لها دفنا
 وقبر عداها ظاهر شاهر يعنى
 كسى السوط منها الظهر والبطن والمتنا
 يكسره باغ قد استوجب اللعنا
 يقاد بأمر ابن المزنمة اللخنا
 وقد أسقطوه قبل أن يكمل السنا

ومن ذا يعزى ربة الحزن زينبا
 فيا غيرة الله اغضبي من مصيبة
 ببضعته الزهرا التي لم يزل بها
 اتقضي برغم الدين مظلومة ولم
 ويسر من خوف العدى جدث لها
 فاين رسول الله ينظر جسمها
 وأين رسول الله ينظر ضلعها
 وأين رسول الله ينظر صنوه
 وأين رسول الله ينظر محسناً

الشيخ عبدالله العوي الخطي

شهدت نهايات القرن الحادي عشر نشاطاً للحركات السلفية في بلاد نجد من الجزيرة العربية، وامتدت هذه الحركات لتكتسح الجزيرة العربية حتى احتلت أكثر بقاعها، وانحسر عند ذاك المد الإمامي لينحصر في مناطق ضيقة من الجزيرة، وبقيت بلاد القطيف علامة متميزة في ولائها المذهبي لآل البيت (عليهم السلام) من أرض جزيرة العرب التي استقلت عليها حركات السلفيين من الوهابيين لتنشأ حكومتها في قلب هذه البلاد، فخضعت بلاد الساحل الأخضر من الجزيرة إلى هيمنة الوهابيين ادارياً واستقلت عنها

عقائدياً، والتزمت بثقافتها الامامية حتى صارت معقلاً شيعياً مهماً يحتضن مذهب آل البيت (عليهم السلام) وينافح من أجله. كانت جهود القطيفيين تتركز في المحافظة على المذهب الإمامي، فلما إستمكنت من ذلك انتقلت إلى حالة التنقيف المذهبي فبثت ذلك بين أهلها واخترقت بين الحين والآخر حدود القطيف لتكتسح ما أسسه السلفيون الذين اختلفت فلسفاتهم مع جميع المذاهب الإسلامية الأخرى، فالحوزات العلمية القطيفية أنشأت بعد شوط طويل قطعته علمائها من الجهاد والدعوة، والمعاهد العلمية احتضنت الكثير من أبنائها، والعلماء كل أدى دوره من أجل الدفاع عن مسلمة المذهب وضروراته، فكانت المدارس الأدبية جنباً إلى جنب مع مدارس التحقيق العلمي، وتصدى العلماء لبث علوم آل البيت (عليهم السلام) كما تعهد الشعراء لاثبات حقوقهم المهضومة، فحظيت بلاد القطيف الطيبة بعلماء شعراء، جمعوا بين العلم وأضافوا له الابداع الشعري فجاءت طروحاتهم الأدبية متوجة بتحقيق علمي رائع. كان في طلائع العلماء الشعراء الشيخ عبدالله العوي الخطي المتوفي سنة 1201 هـ، فهو من نوابغ العلم ومن رجال الصلاح والتقوى، اسندت اليه سائر المهمات الشرعية فكان أحد أعلام زمانه.

أنشد في رثاء آل البيت (عليهم السلام) قصائد عدة، وكانت مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) التي تحدّث فيها عن اسقاط المحسن أثراً واضحاً في قصائده، واليك بعضها:

الصفحة
227

[34] قال:

عجباً لنفس هلّ شهر محرم	وتذكرت أرزاهه لم تحرم
فلتنزعن ثوب المسرة والهنا	ولتلبسن ثوب السواد وتندم
تباً لها ما عذرها إذ أخبرت	بمصائب السادات آل الأكرم
قوم هداة للانام وقادة	والدين لولا هديهم لم يعلم
قوم لهم من أصل كل منبأ	سر به نال النبوة فاعلم
هم فلك نوح في النجاة وآدم	هم فلك موسى والمسيح ومريم
هم فلك كل خليفة وإيهم	أعطى الإله ولاية المستعصم
جمعوا الفضائل والفوائد كلها	فاليهم سلّم أمورك تسلم
تعساً لقوم ما وقوا لمحمد	في آله القريبى بعهد أقدم

الصفحة
228

غالوا الوصي وللزكية أسقطوا	وقضى الزكي بسقي سم مؤلم
غدروا الحسين بما جرى من حقدهم	ونفاقهم بابن النبي الأعظم
الله يوم سار فيه لكربلاء	وعليه ترمى حادثات الاسهم(1)
إلى آخر القصيدة.	

1- شعراء القطيف قديماً وحديثاً. الشيخ علي المرهون 43 مطبعة النجف 1385.

الصفحة
229

الشاعر حافظ ابراهيم

لعل أهم المشتركات بين المدارس الإسلامية المختلفة، تلك الثوابت التاريخية التي سبق تدوينها في مشاريع التاريخ الإسلامي، وأقزتها من قبل الكتابات المهمة بقراءة الحدث الإسلامي المجرد، والتي أرخت أيام الإسلام وأهلها، ومجريات الأحداث ووقائعها. إلا أن محور الاختلاف بين هذه المدارس، هي المبتنيات العقائدية التي جرت على الحدث الإسلامي لقراءته بما يخدم هذه المدرسة أو تلك، أي أن ثوابت التاريخ إذا تجردت عن مبتنيات الرؤى العقائدية والسياسية،

الصفحة

230

توحدت المدارس التاريخية إلى مدرسة واحدة، وأنتجت رؤية عقلانية موحدة في معرفة ملابسات الحدث، وتكاملت المشاريع التاريخية إلى وحدة تاريخية تقرر النتيجة وتشارك في الهدف.

فالقضية التي يدونها مؤرخ، تختلف في نتائجها عن القضية التي يؤرخها آخر، والرؤية التي يقرها الناقد، تفترق عن تلك التي يقرها غيره، وهكذا تدور الاحداث حول محور الفلسفة الخاصة للمدرسة التي ينتمي اليها القارىء أو المؤرخ أو الناقد أو غير ذلك من هؤلاء.

وهكذا مأساة الزهراء (عليها السلام)، تتضارب فيها الفلسفات، وتُهزم من خلالها الرؤى فلا تكاد تقوى على الاقرار، ولا تصمد أمام الثوابت المسلّمة من قبل الجميع، وتتسحب هذه المحنة على القصيدة العربية كذلك، فترتكز في دواخل الشاعر رؤيته التقليدية التي ورثها من أسلافه الأقدمين.

وهي ما أظهرته مقطوعة شاعر النيل حافظ ابراهيم، حيث سلّم بحادثة الدار، وأكّدها على أنها ثابتة من ثوابت تراثه الذي اعتاد سماعه من قبل، إلا أن الرؤية التقليدية للحدث تُزاحم هذه الثوابت فيقرأها من وجهة نظره، ويدوّن حادثة الاحراق على أنها مفخرة من مفاخر الخليفة، أثبت فيها جرأته أمام فارس المسلمين.

هكذا تصرّف بالحادثة هذا الشاعر، ولعل الاقرار الذي أخذه على نفسه هي الحالة الخجلة التي تعاني منها المشاريع التنظيرية، فتخفي هذه الحادثة أحياناً وتظهر أخرى على

أنها من، أروع المفاخر، وتعتاد هذه المشاريع على توجيه العثرات التاريخية فتحيلها إلى
مكرمات لتتسحق بها حقائق

الصفحة
231

ومسلّمات.

ان مقطوعة الشاعر حافظ ابراهيم جاءت شهادة لتاريخ المأساة، وشهادة للتسويق الذي
يُحدّثه المشروع التنظيري من أجل قراءة التاريخ، وليقدّم عيناً مهمة من عينات صياغة
المشاريع الحاكمة التي قرّضت نفسها على الحقيقة التاريخية، مستهينة بمشاعر الأمة
وأحاسيسها.

* * *

[35] قال في مقطوعته التي يمدح بها الخليفة الثاني.

وقولة "علي" قالها "عمر"
اكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقتُ دارك لا أبقي عليك بها ان لم تباع وبنثُ المصطفى فيها
ما كان غيرُ "أبي حفص" يفوه بها أمام فارس "عدنان" وحاميتها(1)

1- ديوان حافظ ابراهيم 1: 82 دار العودة بيروت.

الصفحة
232

الصفحة
233

الشيخ سلمان البحراني التاجر

يحق للباحث القول أن الثقافة الأدبية البحرانية قد تعدّت الحواجز الطبيعية لتتصل بثقافة
الحوزة النجفية يوم كانت هذه الثقافة تمتد لتشمل فضلا عن الثقافة الأدبية الحلية، المنتديات
الشامية ومحافل الاحساء الأدبية، ولعل الذي يؤكد ذلك، أن الثقافة الأدبية الملتزمة التي
شهدتها حاضرة البلاد البحرانية قد قدّمت رؤية واضحة للتوجه الذي يحمله الاديب البحراني

وهو في مخاضاته الصعبة التي يحاول فيها التأكيد على هويته الإسلامية المنتمية الى مدرسة آل البيت الاطهار (عليهم السلام)، فالرّبي

الساحلية لبلدان الخليج العربي تجتاحها زوابع ثقافية تنتمي إلى وجودات سياسية عقائدية تُلقى بثقلها على التوجهات القاطنة هناك محاولة منها لادخالها ضمن هيمنتها الثقافية السلطوية، والثقافات الأصلية لبلدان الحواضر الخليجية تُهيمن في وجودها على الثقافات المرتجلة القادمة من هنا وهناك فتصبح الثقافة الشيعية هي الأصل في ترسيم الدالة الأدبية الخليجية، والبحرين التي عانت من نزعات عقائدية حاكمة بقيت محتفظة بهويتها الشيعية مؤكدة اصالة انتمائها لمدرسة الولاء الطاهر الذي أكده الأديب البحراني وقدمته قصائده الزاخرة بالولاء والحب والفداء لآل البيت الطيبين (عليهم السلام).
فالقصائد التي قدّمها الشاعر سلمان البحراني ترجمة للحركة الادبية البحرانية الناضجة، وهي تحمل في طياتها عمق الانتماء للمدرسة المقدسة، وتؤكد في دلالتها أصالة الانتماء البحريني الى الأئمة الاطهار (عليهم السلام).

[36] قال من قصيدة له في رثاء الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن:

قف على قبر فاطم بالبيع	بعد مرق الحش وسكب الدموع
والثم الترب من حواليه وانشق	من شذاه نسيم زهر الربيع
وأبلغنها السلام عني فاني	لمروع فيها يخطب مريع
وتذكر أذية القوم فيها	وابك حزناً وعج بقبر الشفيع
قف به موقف الحزين ولكن	لابساً بردتي تقى وخشوع
واشك ما قال بنته من كروب	مفجعات تشيب رأس الرضيع
قل له أيها النبي شكاة	لك عندي مشفوعة بدموعي
فأعزني منك المسامع فيها	فصداها يصم اذن السميع

إن تلك التي على بابها الام
قد أحاطوا بالنار منزلها السا
اسقطوها بالباب محسن عصراً
دخلوا بيتها عليها وقادوا
عجباً كيف في نجاد له قيد
فعدت خلفه تجر من الصو
ودعت فيهم ارجعوا لي ابن عمي
فتلاقوا من البتولة ما لو
لاك تبدي الخشوع بعد الخضوع
مي بتطهيره بشأن رفيع
بعد تأليمها بكسر الضلوع
بعلمها المرتضى بحال فظيع
وقد كان قائداً للجموع
ن ذيولا جيوبها من دموع
أو لأشكو إلى المحبيب السميع
اغفلوه لزلزلوا عن سريع

غصبوا حقوقها منك ظلماً
طلعت تصحب الشهود من البيت
وبدت تفرغ البراهين من
فأجيببت لكن برد شهود
منعوها من البكاء على
قل لدار الاحزان ما زلت لا زا
ما هو السرحين تدفن سراً
يالها من مصائب قد دهتها
ولعمري لحزن زينب أشجى
[37] وله قصيدة أخرى في رثاء الرسول (صلى الله عليه وآله) وما جرى على آل بيته

بعده:

اتبكي على رسم بدارة نهد
وتصبو إلى تذكار مسرح لذة
لك الويل فاعزب عن خلاك واتخذ
عفته الليالي فهو كالوشم في اليد
وملعب أفراح لشاد وأعيد
من الوجد سربالا لحزن مجدد

فلمست ترى والله ما عشت فادحاً	بأفجع من رزؤ النبي محمد
نعته إلى علياه علياء نفسه	وعزا به التوحيد كل موحد
وهم بأن يوصي بثقله قومه	وبالعكس هم فيما يريد بمرصد
وقال أناس ظل يهجر أحمد	ونجم هوى ما ضل بل وحي مرشد
وكم غصص قد جرعه أفلها	ليشعل ناراً في حشى كل جلمد
إلى أن قضى فانقضت الشهب للثرى	لتشبيعه في بنت نعش وفرقد
وقام يعزیه إلى عالم السماء	أخو الوحي في نوح الحمام المغرد
ومزقت الدنيا عليه فؤادها	وشق عليه الدهر جيب التجلد
وأظلم وجه الكون والشمس ألبست	بثوب من الاحزان بالكسف سود

وعين الهدى لم ترق دمعها أسى	عليه ولا زالت بجفن مسهد
قضى نحه فلننتحب لافتقاده	أرامل كانت منه في خير مسند
قضى فقضت ما تشتهيه بأله	عدي وتيم وهو غير ملحد
زروا صنوه عن حقه ورقوا على	منابره يهزون هذي المعريد
خلا منبر منه بناه بسيفه	ولم يخل متن الطرف منه بمشهد
وحاطوا بنار الجزل للوحي منزلاً	وقادوا علياً في نجاد المهند
وفاطمة بالباب اسقط حملها	بعصر شديد مؤلم عن تعمد
وكسرن منها أضلع لبت أضلعي	فدتها وان لم تكف بالنفس أفتدي
ولفعا ذاك الزنيم بلطمة	على وجنة الخد إلا سيل المورد

ومن حقها ابتزوا تراثاً ونحلة
وكم سيئات سودت أوجهاً لهم
فناشد بهم شورى السقيفة كم بها
هم ععموا بالسيف هامة حيدر
وهم حشدوا تلك الجنود وحاربوا
وهم كسروا أضلاعه لا أمية
وهم أحرقوا تلك الخيام بناهم
وهم رفعوا تلك الرؤوس كأنها
وهم قيّدوا ذاك العليل وهم مشوا
وردوا شهوداً صوتها صوت أحمد
جنوها على أهل الكساء المجد
بنوا من أساس بالضلال مشيد
وهم قطعوا بالسم كبد المسدد
بها ذلك الممنوع عن عذب مورد
بجرد عليه كم تروح وتغتدي
وهم نهبوا ما في الخباء الموطد
مصاحف من فوق القنا المتقصد
بزينب حسرى تستر الوجه باليد

وهم قنعوها بالسياط وفي المطا
وهم أدخلوها في الشام وأشمتموا
وهم لا بنو العباس شادوا بنائهم
وهم شردوهم في البلاد وأسهروا
كمثل ابن موسى قاسم مات نازحاً
[38] وله في رثاء الامام علي (عليه السلام) ويخلص الى رثاء الزهراء (عليه السلام)
واسقاط المحسن

اي رزوا شجى الرسول النبييا
ولزند الاحزان فيه حسين
يوم جبريل في الملائك نادى
يوم فيه ابن ملجم لقطام
والبتول العذرا وأبكى الزكيا
قدح الكائنات نعيّاً شجيا
في السما ناعياً اليهم عليا
غال بالسيف في السجود الوصيا

لم يزد في العتل الا عتواً
لو تراه والليل داج يناجي
قلت موسى بطور سينا له الله
يغسل الارض بالدموع خشوعا
يلبس الليل خلعة من سناه
والمرادي فيه يختلس الق
خضب الشيب منه في عشق رود
فغشى الخطب أرض كوفان حتى
فار تتور نوحها بزفير
ولأهل السماء قام عزاء
غيل شهر الصيام في خير من صا
فخلا منبر حلا فيه بالوعظ
ونعاه الميمون والدرع والسيف
واستعدت للثكل عليا قصي
غلب الحزن غالباً حيث فيه
جذعت فيه انف فهر بغي
ونفوراً منه وكان شقيا
وسط محرابه الفخيم العليا
تجلى فخر يدعو نجيا
لو سقت ميت زرعها قام حيا
فيحيل الظلام صباحاً مضيا
يلة اذ ذاك بكرة وعشيا
ارشفته رضابها السكريا
زلزل الحيرة الأسي والغريا
فاض فيه طوفان نوح دوبا
ود عرش الإله فيه الهوبا
م وصلى به وناجي مليا
وأضحى بالعطل يكس حليا
ولدن بالبأس طال الثريا
مذ علاها قد كان فيه قصيا
فقدت حبلها المتين القويا
قتلت هاشماً وأحيت أميا

ولوت جيدها تنخ بكيا

فعدت تلطم الوجوه لوي

وأناخت على نزار شجون
يا سماء إما طاولتها سماء
عجباً كيف شق منك جبيناً
كيف لم تتكفأ عليه سما بأ
جفن كعب قد كان ينجل بالدمع
كادت الارض أن تميد بمن فيها
يابن شيخ البطحا ومن كان فيينا
كنت باباً إلى مدينة علم
وبك الله قد تجاوز عن آ
وعلا فيك شان ادريس حتى
وابن متي لولاك بات ببطن
وخليل الرحمن لولاك ما كا
وليعقوب يوسف حزنه وفق
ويحيى جبريل بشرّ قدماً
وبك الروح بكر مريم يدعو
طبت في الساجدين حلياً ورحماً

لفعت بالدموع منها المحيا
كيف طال الشقي منك الثريا
ولك السيف كان خلا صفيا
سك سخطاً فلم يكن بعد شيا
فلما فقدت صار سخيا
وتطوى السما لرزؤك طيا
الفارس الشهم والفتى العبقريا
المصطفى والمهذب اللوذعيا
دم واختاره اليه صفيا
نال من ربه مكاناً عليا
الحوت للحشر دائماً سرمديا
نت عليه النيران برداً دفيا
بكا أحمد على ابنك حيا
حيث والاك شيخه زكريا
فاذا الطين صار خلقاً سويا
فعليك السلام ميتاً وحيا

كيف تزوى من الخلافة يا من
فبك قد شد أزر أحمد حتى
وعجيباً تقاد يا قائد الغر
ما خلا منك منبر الحرب يوماً
أدروا في عدو لهم عنك ان قد
بك باهى الآله في الحجب املا
لك علم بكل شيء محيط
ومعان تجل في الحسن من أن
اين يا ندب راح عنك ابا
حين بالنار حيط منزلك السا
ولدى الباب فاطماً أسقطوها
يابن عمي يا كاشف الكرب
لم تغتها مما دهاها به قنفذ
كان للمصطفى أخاً ووصياً
شدت من دينه بناءً علياً
بحبل وكنت ليثاً جرياً
وأرى منبر النبي خلياً
قلدوا عهد أحمد السامرياً
كأً وسماك في السماء الياً
ومزياً تفوق بالندريا
يدرك العقل كنهها المعنويا
فيك قد شخص اليا الهاشميا
مي ولا حطت بالعذاب عدياً
محسناً فاشتكت ونادت الياً
أدركني واطهر من العجائب شياً
اذ كنت أنت ذاك اليا (1)

1- رياض المدح والرثاء: 307.

الشيخ علي بن
الشيخ حسين بن محمد البلادي البحراني

امتداد للمدرسة الأدبية البحرانية، والتي جعلت في أولوياتها الدفاع عن قضية آل البيت (عليهم السلام) علامة متميزة لها، واحتلت مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) طليعة ذلك التوجه الأدبي.

تصدى لتأريخ "القضية الفاطمية" في كتابه وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وضمّنه الكثير من قصائده، فهو بقدر ما قدّم القضية على المستوى التاريخي، صاغها بنماذج أدبية من شعره، فكانت مقطوعاته الأدبية متأتية من تحقيق تاريخي رائع، وتحدّث عن واقعة الإسقاط لتكون الدليل القطعي على

مجريات الأحداث الفاطمية وكأن إسقاط المحسن (عليه السلام)، جاء بعد الافراغ عن كونه من مسلمات الامامية، عندها استعان به دليلاً أثبت فيه مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام).

ولعل عرضاً سريعاً لبعض مقطوعاته الأدبية المأخوذة من كتابه "وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام)"، تأكد ما قدّمناه:

* * *

[39] قال في رثاء الزهراء (عليها السلام) واسقاط جنينها.

دكدك القوم مسجدك	غصبوا فاطم فدك
أسقطوها جنينها وهي	مخدومة الملك
اسخطو في أذائها	من إلى الملك قد ملك
فتّعوها عداوة	بسياط على الحنك
غير خاشعين للذي	للسموات قد سمك
فاعتدت وهي صارخة	إذ لها الضرب قد نهك
بأبيها وقلبها	للاسى فيه معترك
يا أبي كنت بدرنا	أن أملت بنا الحلك

غبت عنا فلم نزل
ليس منهم سوى الذي
من أذى القوم في شرك
فعلى القوم لعنة
في أذانا لقد شرك
كلما حرك الفلك (1)
[40] وقال ايضاً:

أبعد فاطمة البتول ودفنها
أم نفس من يهوى ولاها ترتدي
بالليل عين لا تجود بمائها
لا بل جدير بعد وشك عنائها
بردى لها من بعد طول عنائها
فلقد قضت مكظومة وتراثها
حزناً مذيب النفس عن اقصائها
مضروبة بالسوط حتى انها
ترنوه شزراً في يدي أعدائها
مسقوطة لجنينها تبدي أسي
أبدت نحيباً من عظيم أذائها
فليبكها عين المحب بمدمع
لأنينها وجداً على ابنائها
جار كعين السحب في اجرائها (2)

1- وفاة فاطمة الزهراء للشيخ علي البلادي البحراني: 29.
2- نفس المصدر.

الصفحة
248

الصفحة
249

الحاج جواد بدقت

إذا عُرِفَتْ النجف الأدبية في القرن الثالث عشر بفحول شعرائها المجيدين كالشيخ عبد الحسين شكر، والشيخ حبيب شعبان وأمثالهما، وإذا عُرِفَتْ الحلة الأدبية إبان ذلك القرن بعظام أدبائها كالسيد حيدر الحلي والشيخ صالح الكواز وأمثالهما، فإن الحائر الحسيني قد شهدت أرضه المقدسة نهضتها الأدبية أواسط القرن الثالث عشر على يد زعيم هذه النهضة الحاج جواد بدقت والذي مثل مدرسة الحائر الحسيني بكل فنونها الأدبية وأغراضها الشعرية.

التقت هذه المدارس الأدبية في طموحاتها التنظيرية التي أكدت فيها على إيجاد طروحاتها الموجهة، والتي أكدت من خلالها سياقات المدارس الأدبية الرثائية التي برهنت أن الرثاء لم يكن الغاية الوحيدة المتوخاة من المشروع الأدبي، بل أن استعراضاً تاريخياً تحمله هذه المشاريع الرثائية، وتقديمها متكاملًا لوجهة نظر الطائفة المفجوعة من المأساة التي حلت في فناء البيت النبوي المقدس، والذي جرّت تبعاتها على أتباعهم الميامين بما في ذلك مبتنياتهم العقائدية، وفلسفاتهم الثقافية، إذن فالمشروع الأدبي التي تقدّمه هذه المدارس ليس ترفاً أدبياً، أو غاية فنية، بقدر ما هو ضرورة ملحة للتعبير عن دواخل الأمة وهواجسها. استطاع الحاج جواد بدقت، والذي هو من رواد المدرسة الأدبية الحائرية أن ينزع إلى التعبير عن طموحات مدرسته الرثائية، وكان رثائه الحسيني الذي يستطرد به تاريخ الأمة، يوقفه عند مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وكأنه الديباجة المتأخرة التي تبدأ بها فاجعة الطف حيث تنتهي، والمقدمة التي مهدت لفاجعة الطف حيث تبدأ.

ولد الحاج جواد بدقت في كربلاء عام 1210 هـ (1)، وتوفي فيها سنة 1281 هـ ودفن هناك رحمه الله تعالى.

كان فاضلاً أدبياً، مشهور المحبة لأهل البيت (عليهم السلام)، من مشاهير شعراء القرن الثالث عشر، وديوانه لا يزال مخطوطاً وفيه قصائد عامرة.

ومن رثائه الحسيني . الفاطمي هذه المقطوعة:

1- عن أدب الطف 7: 144.

[41] قال:

زعم العواذل انهن ضعون

فوق الحمولة لؤلؤ مكنون

غرف الجنان بهن حور عين

لم لقبوها بالظعون وانها

ومنها:

يا قلب ما هذي شعار قيم
خصص مخطبك غير طارقة الهوى
ما برحت بك غير ذكري كريلا
ورد ابن فاطمة المنون على ظما
ولعل حال بني الغرام فنون
ان الهوى عما لقيت بهون
فاذا قضيت بها فداك يقين
ان كنت تأسف فلتردك منون
تأتي عليها حسرة وحنين
كبرى فكاد بها الفناء بحين
كيد ولو ان النجوم عيون
بكت السماء وما ولم تبرد به

الصفحة

252

ندبت لها الرسل الكرام وندبها
فبعين نوح سال ما أرى على
وبقلب ابراهيم ما بردت له
ولقد هوى صعفاً لذكر حديثها
واختار يحيى أن يطاف برأسه
وأشد ما ناب كل مكون
فحراك تيم بالضلالة بعده
عقدت بيثرب بيعة قضيت بها
برقي منبره رقى في كريلا
عن ذي المعارج فيهم مسنون
ما سار فيه ملكه المشحون
ما سجر النمرود وهو كمين
موسى وهون ما لقي هارون
وله التأسي بالحسين يكون
من قال قلب محمد محزون
للحشر لا يأتي عليه سكون
للشرك منه بعد ذاك ديون
صدر وضرج بالدماء جبين

الصفحة

253

لولا سقوط جنين فاطمة لما
وبكسر ذاك الضلع رضت أضلع
وكذا علي قوده بنجاده
وكما لفاطم رنة من خلفه
أودى لها في كريلاء جنين
في طيها سر الإله مصون
فله علي بالوثاق قرين
لبناتها خلف العليل رنين

وبزجرها بسياط قنفذ وشحت
وبقطع تلك الاراکة دونها
لكنما حمل الرؤس على القنا
كلّ کتاب الله لكن صامت
بالطف من زجر لهن متون
قطعت يد في كربلا ووتين
أدهى وان سبقت به صفين
هذا وهذا ناطق ومبين(1)

1- أدب الطف للسید جواد شبر 7: 150.

الصفحة
254

الصفحة
255

الشیخ حسن بن محمد الدمستاني

كانت بدايات القرن الثاني عشر الهجري، بداية للتحرك السلفي الذي اجتاحت جزيرة العرب، وكانت أرض القطيف ممن نالها هذا الاجتياح الفكري والغزو العقائدي السلفي، وطبيعي أن الحوزة العلمية البحرانية التي ضمت بين أحضانها علماء أفاضل أوقفوا أنفسهم للدفاع عن فكر آل البيت (عليهم السلام)، وصد الشبهات القادمة من خلف حدود الوطن الإسلامي، وجدت . هذه الحوزة . أن القطيف ذات التاريخ الشيعي العريق قد استهدفت من قبل حملات السلفيين العقائدية، وكان لابد من العلماء أن يسجلوا حضورهم في

الصفحة
256

الدفاع عن ضرورات المذهب ومسلماته، فعمدوا الهجرة إلى الارض القطيفية ذات النزاع العقائدي المستجد وحلّوا في ربوع هذه الارض الطبيعة لانشاء الحاضرة العلمية هناك، فانبثوا في نواحيها المختلفة، وربطوا على ثغورها المهتدة، فحصنوا أهلها من أي زيع، وحفظوا بيضتها عن أي انحراف.

كان الشیخ حسن الدمستاني، من العلماء الافذاذ الذين سجّلوا حضورهم العلمي لصد ما ورد على القطيف الامامية، وحل عند أهلها، وقام بين ظهرانيمهم للذود عن حياض العقيدة

الحقة، وجنّد أهلها للدفاع عن تاريخهم ومبتنياتهم الفكرية، فخرجت . بحمد الله تعالى . أمةً كاملةً من جنود العقيدة والولاء.

قال صاحب الاعيان في ترجمته:

"هو الشيخ حسن بن محمد بن علي بن خلف بن ابراهيم بن ضيف الله بن حسن بن صدقة البحراني الدمستاني: والدمستاني نسبة الى دمستان قرية من قرى البحرين أصله منها ثم جاء إلى القطيف وتوفي فيها سنة 1181 هـ.

كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً رجالياً محققاً مدققاً ماهراً في علمي الحديث والرجال أديباً شاعراً، قال في حقه صاحب أنوار البدرين: العالم الفاضل العلامة المحقق الفهامة التقي النقي الاديب كان من العلماء الاعيان ذوي الاتقان والايقان وخلص أهل الولاء والايامن زاهداً عابداً تقياً نقياً ورعاً شاعراً ناثراً مخلصاً في محبة أهل البيت (عليهم السلام) وله أشعار كثيرة في

المراثي. وقال: كان مع ما هو عليه من العلم والفضل يعمل بيده ويشغل لمعيشته وعياله حدثي الثقة الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح انه وردت مسائل من علماء أصفهان إلى علماء البحرين بواسطة حاكم البحرين من قبل دولة ايران فأرسل الحاكم تلك المسائل إلى علماء البحرين ليحيبوا عنها ومن جملة من أرسل اليهم صاحب الترجمة فجاى الرسول إلى دمستان وهي قرية صغيرة وأهلها فقراء وأكثر أرضها تسقى بالدلاء فسأل عن الشيخ فدل عليه قرأى رجلا رث الهيئة يسقى بالدلاء لأرضه التي فيها بعض الزرع والنخيل فظن انهم يهزأون به فغضب وضربهم فسمع الشيخ ذلك فجاى إلى الرسول وأخبره انه هو المراد سؤاله وكان عنده صبية تساعده فأرسلها فجاءت بدواة وكتب الجواب بدون مراجعة كتاب فعجب الرسول من ذلك... أما مؤلفاته:

- 1 . انتخاب الجيد من تنبيهات السيد وهو منتخب كتاب تنبيه الاريب في ايضاح رجال التهذيب للسيد هاشم البحراني.
- 2 . منظومة في نفي الجبر والتفويض.
- 3 . منظومة في أصول الدين.
- 4 . ارجوزة في اثبات الامامة والوصية.
- 5 . ارجوزة في التوحيد.

6 . رسالة في التوحيد .

7 . رسالة في استحباب الجهر بالتسبيح .

8 . أورد الأبرار في مآتم الكرار .

له شعر كثير... وله مرث جليله مشهورة تقرأ في المجالس الحسينية.. ومن شعره في رثاء الحسين (عليه السلام) منها .

اتعتر من أهل الثناء بتمجيد
فقم لاقتحام الهول في طلب العلى
ألم تر أن السبط جاهد صابراً
وله أيضاً:

وانك من عقد العلى عاطل الجيد
بسمر القنا والبيض والقطع للبيد
بانصاره الصيد الكرام المذاويد

تنسي المواقف أهلها مواقفهم
ذاقوا الحتوف باكتاف الطفوف ع
أفدي الحسين صريعاً لا صريح له
والطعن مختلف فيه ومؤتلف

بصبرهم في البرايا يضرب المثل
لى رغم الانوف ولم تبرد لهم غل
الا صرير نصول فيه تتصل
والنحر منعطف والعمر منبتل
بجده ختمت في الأمة الرسل"(1)

ليس ذا ابن علي والبتول ومن

1- أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين 5: 260.

[42] قال في رثائه للسيدة الزهراء عليها السلام:

دعي عدى لم تدع من دعامة
ولا سنة أشاد النبي بنائها
ترصدت تبغي الخلافة فرصة
شمت بموت المصطفى وشتمته
لدين الهدى الا هدمت أساسها
لأمته الا أردت اندراسها
فراقبتها حتى اجدت اختلاسها
وعاطيت أرياب الشماتة كاسها

وبضعته أسقطت ضغناً جنينها بضغط كما بالسوط قنّعت راسها
وغازرتها ولضاء مطوية الحشا على زفرات لا تطيق احتباسها
وأبعدها عن ارثها وأشعت في دعايا عدى لينها وعراسها
تغشاهم اللعن الإلهي كلما نفى مدمع العين السجوم نعاسها

[43] وقال أيضاً:

فاق النفاق وخر الدين منصدعا غداة أصبح وحي الله منقطعا
وأزمنت عصابة عصب الوحي ولن تعباً بنص له المختار قد صدعا
قاده قسراً لتضليل وذوي إحن لادين يحميه عن اثم ولا ورعا
فأقبلت فاطمة الزهراء حاجزة عنه ومحجرها بالدمع قد همعا
ترجو النبيلة أن ترعى فما رعيت بل روعت لا لهم رب السماء رعا(1)

1- وفاة فاطمة الزهراء للشيخ علي الشيخ حسين البلادي البحراني: 27 المكتبة الحيدرية النجف 1965.

الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

جمع بين بيئتين النجفية التي هي مولده، والعاملية التي هي أصوله ومحتده، أي جمع بين ثقافتين ثقافة النجف التحقيقية الأدبية، وثقافة جبل عامل العلمية الأدبية، فأخذ من تلك نبوغها متأثراً بتيارات النجف العلمية والحلة الشعرية فضلاً عن التيارات الأدبية العراقية كمدرسة البغداديين وغيرها، وورث من الأخرى أصالة الأدب الشامي ليقطع شوطاً آخر قطعه شعراء عامل اللذين كانت مدرستهم تقابل المدرسة المصرية الأدبية التي لها

لونها الخاص وتوجهاتها المعروفة.

كان الشعر العاملي قد تأثر ببيئته الجميلة وروعة الطبيعة العاملة التي خلقت من الشاعر رقة في الاحساس تميز عن الشعر الحجازي مثلاً الذي إنعكست عليه شدة الظروف البيئية القاسية ذات الطبيعة الصحراوية، فجاءت مقطوعات الحجازيين شديدة لها وقعها البدوي المتميز.

في حين استلهمت الأدبيات العاملة جمالية البيئة حتى انعكست هذه على نتاجات العاملين فتجدها رقيقة لطيفة.

جمع الشيخ عبد الحسين العاملي رحمه الله بين احساسات العاملين الأدبية الرقيقة وبين توجهات المدرسة العلمية النجفية، وحاول الجمع بين هذين التوجهين ليخرج شعره رقيقاً يلتزم الجنبه العلمية التحقيقية، فرب شعر رقيق يعبر عن وجدانيات صاحبه يُلغي عن حساباته التحقيق العلمي، ورب شعر تحقيقي ينقل الغرض فقط دون أن يؤثر في مشاعر القارئ أو السامع واحساساته، إلا أن شعر الشيخ عبد الحسين العاملي قدّم النموذجين في قصيدة واحدة فراعى الجانب التحقيقي ليحافظ في نفس الوقت على رقه: إحساسه ومشاعره الجياشة.

كانت قصائده الفاطمية فصلاً مهماً من تأريخ الأدب الفاطمي حيث أكد المأساة ونقل فاجعة إسقاط المحسن في مقطوعته وعبر عنها بحديث الباب، وهي رمزية رائعة استخدمها الشاعر لا لشيء، بل إشارة ذكية تؤكد أن واقعة الاسقاط صارت احدى بديهيات التأريخ الفاطمي فيبتعد عن سردها ليجعل القارئ نفسه يتكفل في معاشتها أو في معرفتها إن لم ترتكز في

مشاعره بعد واقعة الاسقاط، لذا تجده قد عبّر عن حديث الباب وأشار إليه فقط ثم انتقل سريعاً إلى فصول المأساة الفاطمية.

ولد الشيخ عبد الحسين العاملي في النجف سنة 1282 هـ ونشأ فيها ثم انتقل إلى جبل عامل وعاد إلى النجف بعد وفاة أبيه فأخذ عن علمائها مثل الشيخ ميرزا حسين ابن ميرزا

خليل وهو من الطبقة الأولى في الشعراء، جرت بينه وبين السيد حسين القزويني مراسلات كثيرة منظومة ومنثورة من ذلك قصيدة أولها:

* * *

غرامي غرام الطبي مقتنص الخشف ونوحي نوح الورق فاقدة الألف
توفي في أوائل ذي الحجة سنة 1361 وفي النبطية ودفن فيها.
قال في بعض مرثياته:

سل كريلا والوغى والبيض والأسلا مستحفاً عن أبي الضيم ما فعلا
أحلقت نفسه الكبرى بقادمتي ابائه ام على حكم العدا نزلا

الصفحة
264

غفرانك الله هل يرضى الدنية من لقاب قوسين أو أدنا رقى نزلا
إلى أن يقول:

أحيا ابن فاطمة في قتله أمما لولا شهادته كانت رميم بلا
تنبهت من سبات الجهل عالمة ضلال كل امرء عن نهجه عدلا
إلى آخر قصيدته.

وقال في رثاء أبي الفضل العباس (عليه السلام)

بكر الردى فاجتاح في نكباته نور الهدى ومحاسنا سيمائه
ورمى فأصحى الدين في نفاذه وارحمته لمنتهى أحشائه
يوما به قمر الغطارف هاشم صكت يد الجلى جبينه بهائه
سيم الهوان بكريلاء فطار للعز الرفيع به جناح ابائه
إلى أن يقول:

يا مبكياً عين الامام عليك فلتبك الانام تأسياً لبكائه
ومقوساً منه القوام تأسياً بالسبط في تقويسه وحنائه
أنت الحري بأن تقيم بنو الورى طراً ليوم الحشر سوق عزائه
وله في رثاء الحسين (عليه السلام):

إذا شفق للافق ام علق الدم
مضارب لال علي ام بروج لا نجم

غوان نحتة وهو جد متيم
وبشر ومن فيه بلطف تبسم
ومن بشره ريان ثغر ومبسم
بنات رسول الله تاكله الحمي
عيوناً ليوم الحشر نفاحة الدم(1)

[44] ولحجة الإسلام آية الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي مرثيةً فاطمية قال

فيها:

تعالى اقسامك المناحة والذكري
عن العبرة الوطفاء والكبد الحرا
إذا ما وعاه الصخر صدعت الصخرا

إذا نصل سيف أم هلال محرم
اهذي السما ام كربلا أم
إلى أن يقول:

كأن العوالي والمواضي بعينه
فقابلها من وجهه بطلاقة
ألا بأبي ظمان قلب ومهجة
قضى نحبه للدين هدياً مغادراً
عليه عيون المؤمنين تعجزت

أنائحة مثلي على العرصة القفرا
حديث الجوى يا ورق يرويه كلنا
كلانا كئيب يتبع النوح أنة

1- راجع في ترجمته أعيان الشيعة للسيد الأمين 7: 435.

ولي منه يا ذات الجناح نري شطرا
 واجريتها من مقلتي أدمعاً حمرا
 ولا عبرتي في صوبها تخدم الجمرا
 معرّسه اضحى الحيازم والصدرا
 شعاريك في الخطب التجلد والصبرا
 لرزه اصيبت فيه فاطمة الزهرا
 ومهتوكة حجب الخفارة والسترا
 لتبصر ما عانته بضعته قسرا
 الغرار ولم تنتظر لرايته نشرا

خذي لك شطراً من رسيس مبرّح
 خلا انها تبكي وما فاض دمعها
 فلا جمر أحشائي يخفف عبرتي
 وقائمة وهي الخلية من جوى
 رويدك نهنه من غرامك واتخذ
 فقلت وراك فاتتي الصبر كله
 غداة تبدت مستباحا خباؤها
 على حين لا عين النبي أمامها
 على حين لا سيف الرسول بمننضى

ولا كاشف عنها الحوادث والشرا
 بدا كفرهم من بعدما اضمروا الكفرا
 كأن بسمع القوم من قولها وقرأ
 فتأروا لها والصل ان يرتعش يضرا
 لها ما استطاعوا غير ما ارتكبوا أمرا
 ابوا وابوا منها البكا تارة اخرى
 وأونة قد اوسعوا ضلعها كسرا
 تمتلته الاجرت مقلتي نهرا
 وكان بعين الله أن دفنت سرا

على حين لا مستأصل من يضيّمها
 (بنحلتها) جاءت تطالب معشرا
 عموا عن هواها ثم صموا كثيرهم
 لقد ارعشت بالوعظ صل ضغونهم
 فلو انهم اوصى النبي بظلمهم
 وانى وهم طوراً عليها تراثها
 وهم وشموها تارة بسياطهم
 وخلي حديث "الباب" ناحية فما
 بنفسي التي ليلا توارت بلحدها

ولولا هم كانت بأظهاره أخرى
من الوجد مالم تحوه معه الغبرا
فاصبح فيما بينهم دمها هدرا
لها فصلاة الله ما برحت تنرى

حظين من طول وطول
حة فيضي وسيلي:
يثك غير محسود كليل
ل لم يدنس بالفضول
قنديل عرش للجليل
دة لنسوة كل جيل
ومليكة هي للعقول
وللزكي وللقتيال
عن كل مذموم وبيل

بنفسي التي اوصت باخفاء قبرها
بنفسي التي ماتت وملء برودها
رموها بسهم عن قسي حقودهم
عليها سلام الله لا زال واصلا
[45] وله رحمه الله في مدحها

خذ في مديحك للبتول
قل للقريحة في مهذب مد
ولفيك قل فه في حد
قل للبتول عظيم فض
هي قبل كل مكون
هي صفوة للخلق سي
هي للقبيل عقيلة
هي للنبي وللوصي
مقرونة في عصمة

محجوبة في خير غيل
درة هزير للرسول
في مشبلين وفي شبول
مستتير مستطيل
لكل بحر من عديل
بعذوبة من سلسبيل
لو لم يكنه عن حليل

هي لبوة نبوية
سكن لحبيرة وحيد
من دين قرت عينه
كفوين من نسب قصير
بحرين ملتقيين ليس
كل يفيض معينه
جلت حليلة حيدر

كل ذي فضل نبيل
ب كل عقل للنزول
كل ذي شرف جليل
ورحمة للمستنيل
لله في يوم مهول
به خليل عن خليل
للخلق من ظل ظليل

سبقت بحلابة كل فضل
صعدت محلقة فصور
وصلت لحد لم يصله
هي رحمة للمسلمين
وشفيعة مرضية
شخصت به مقل وفر
هل غير بنت محمد:

الصفحة
270

الصفحة
271

الشيخ صالح الكواز

إحتضنت الحلة السيفية أو المزيدية الفيحاء، مدرستين كان لهما الأثر البالغ في ترسيم معالم النهضة الفكرية للمدرسة الإمامية إبان القرن الخامس الهجري حين تأسيسها آنذاك، على عهد نوابغها المتعاقبين عليها كالمقديسين الطاوسيين، أو المحققين الحلبيين، وغيرهم من رواد المدرسة الفقهية الحلّية التي كانت رائدة تقديم الفقه الإسلامي بطروحاته الإمامية المباركة في بلاد الرافدين العراقية، يوم كانت الخلافة العباسية في النزع الأخير نتيجة الاضطراب الفكري والابداع العلمي المشلول الذي أثقل كاهله الاختراقات

الصفحة
272

الفكرية الأخرى القادمة من خلف حدود الوطن الإسلامي.. كانت النهضة الفقهية الحلّية إلى جانب مدرسة الحلبيين الممتدة من المدرسة العاملية يوم كان جيل عامل حاضرة الاستنباط الفقهي وقاعدة الاجتهاد الإمامي، وما أن أفلت مدرسة الفقه الحلبي حتى توهجت حاضرة النجف الفقهية فأشرقت حين ذاك المدرسة الأدبية الحلّية على أيدي الفقهاء الشعراء،

وكانها امتدادات لتلك المدرسة الفقهية العلمية، فكانت بحق صخرة أدبية ترعاها نوابغ الفقهاء يتزعمون مسيرتها إلى حيث الابواب "الأدبية الإمامية" المتنوعة، كالأراجيز الفقهية، والحديثية، أو التاريخية الأخرى.

كانت المدرسة الأدبية الحلية تُمثّل الوجدانيات الصادقة التي تجيش بها قريحة الشاعر ليصيغها مقطوعة شعرية نابغة من غليان النفسية الشيعية الموتورة من أهم حدث سجّلته الذاكرة الشيعية في أرشيف ظلاماتها الممتدة عبر قرون، ولعل المدرسة "الحميرية" أو "الكميتية" وحتى "الخزاعية" التي تفنن في صياغتها السيد الحميري المتمرد على مجتمع أخفى على نفسه الحقيقة، أو الثانية التي أنجبها الكميت المتأمل في عطاء آل البيت (عليهم السلام)، أو تلك الثالثة التي تزعمها دعبل الخزاعي الثائر يسير قافلة الشعر إلى جحافل جهاد تطالب الأمة بالرجوع إلى صياغة ذاتها من خلال إعادة قراءة الحقيقة، فان "المدرسة الشعرية الحلية" قد فاقت هذه المدارس في تصوير الواقعة الكربلائية، وكان التصاقها بالحدث الكربلائي هو الذي أحدث لها تلك "المدرسة الشعرية الحسينية" المتميزة. تكفلت المدرسة الشعرية الحلية بصياغة "الحدث الحسيني" على أنه الحدث الذي ألهم الأمة معرفة معاناتها الممتدة عبر قرون، وأنشدته على أنه

الحدث الأهم الذي عبّر عن معاناة الانسانية المعذّبة والتي استنفرت كل شيء للتمرد والثورة على الظلم والطغيان، فكان الشعور الشيعي الحافل بمعاناة الحقب الجائرة خصوصاً على الذات الشيعية، قد ترجمها الشاعر الحلي إلى مقطوعات تفنن في صياغتها وأجاد في ابراز مدرسة شعرية حسينية.

لم يكتفِ الشاعر الحلي بالصياغة التقليدية للقصيدة أو الفن الشعري الرتيب، بل توجّ عطاءه بابداعات أدبية كانت نابغة عن شدة شوقه في التعبير عن التحرق الذي أصابه من فاجعة الطف الدامية، فنمت في أحاسيسه ووجدانياته اللاشعورية فنون العطاء المعبر عن معاناته هذه حتى أضحى يقدم العطاء تلو العطاء والفن إثر الفن.

ترجم هذه المدرسة الحلية أواسط القرن الثالث عشر نوابغ شعراء، كان شيخهم يوم ذاك الشيخ صالح الكواز، فأسس مدرسته الخاصة التي تقابل مدرسة عبد الغفار الاخرس البغدادية، ومدرسة عبد الباقي العمري الموصلية، أخضع الشيخ صالح الكواز القضية التاريخية لقصيدته، وقادها إلى حيث ينتقل في أغراضه الشعرية، وجعل من الحدث

الكربلائي وحدة التعامل الغالبة في مقطوعاته الأدبية، وكانت قضية الزهراء (عليها السلام) بكل مأساتها هي ديباجَةُ كربلائياته، ولعله يختتم قصيدته بها ليُرْجِع واقعة الطف إلى تلك المأساة.

شكّلت فاجعة كربلاء ومأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) وحدة موضوع في أدبيات الكواز، واستطاع أن يدمج الغرضين في غرض واحد متكامل، واستفاد من سرد الواقعتين التلازم التاريخي لمجريات الحدث الفاطمي

ليربطه بالحدث الحسيني، لذا فان قصائده الحسينية المطعّمة بالمأساة الفاطمية جاءت من أروع ترنيماته الكربلائية وإلى ذلك أشارت شهادة الشاعر السيد حيدر الحلبي الذي ملأ الخافقين في شعره الحسيني قوله: أطول الشعراء باعاً في الشعر، وأثقبهم فكراً في انتقاء لآلى النظم والنثر، خطيب مجمعة الأدباء والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء(1). سجّل الكواز في ملاحمه الفاطمية قضية إسقاط المحسن لتكون فاتحة عهد لمجريات الاحداث القادمة التي قدّمتها الظروف السياسية المرتجلة والتي أقحمت الأمة في صراعات فكرية تشرّذت من خلالها إلى توجهات عقائدية وتحزبات سياسية أرهقت الفكر الإسلامي إلى إنشطارات مقبّية.

ولد الشيخ صالح الكواز سنة 1233 هـ وتوفي في شوال سنة 1290، كان من أبرز الشعراء الحلبيين، فقد تصدى لاقامة العزاء له ثلاثة أيام العلامة الكبير السيد مهدي القزويني، ورثاه السيد حيدر الحلبي بقصيدته:

ويريني الخطوب شكلا فشكلا

كل يوم يسومني الدهر تكلا

ومنها:

ولأم الصلاح أعظم تكلا

تكُلُ أم القريض فيك عظيم

وشحنت الزمان فرضاً ونفلا

قد لعمرى أفنيت عمرك نسكا

فتساوت عليك حزناً وسهلا

وطويت الأيام صبراً عليها

الله قوبل الحيا مستهلا

طالما وجهك الكريم على

[46] واليك بعض "فاطميات" الكواز:

ولعل حال بني الغرام فنون
ان الهوى عما لقيت يهون
فاذا قضيت بها فذاك يقين
ان كنت تأسف فلتردك منون
تأتى عليها حسرة وحنين
كبرى فكاد بها الفناء يحين
كبد ولو ان النجوم عيون
عن ذي المعارج فيهم مسنون
ما سار فيه فلكه المشحون
ما سجر النمرود وهو كمين
موسى وهون ما لقي هارون
وله التأسي بالحسين يكون
من قال قلب محمد محزون
للحشر لا يأتى عليه سكون

يا قلب ما هذا شعار متيم
خفض فخطبك غير طارقة الهوى
ما برحت بك غير ذكرى كربلا
ورد ابن فاطمة المنون على ظمأ
ودع الحنين فانها العظمى فلا
ظهرت لها في كل شيء آية
بكت السماء دماً ولم تبرد به
ندبت لها الرسل الكرام وندبها
فبعين نوح سال ما ارى على
وبقلب ابراهيم ما بردت له
ولقد هوى صعقاً لذكر حديثها
واختار يحيى أن يطاف برأسه
وأشد مما ناب كل مكون
فحراك تيم بالضلالة بعده

للشرك منه بعد ذاك ديون
صدر وضرع بالدماء جبين
أوذى لها في كربلا جنين
في طيها سر الآله مصون
فله علي بالوثاق قرين

عقدت بيثرب بيعة قضيت بها
يرقى منبره رقى في كربلا
لولا سقوط جنين فاطمة لما
ويكسر ذاك الضلع رضت أضلع
وكذا على قوده بنجاده

لبنائها خلف العليل رنين
بالطف من زجر لهن متون
قطعت يد في كربلا ووثين
أدهى وان سبقت به صفين
هذا وهذا ناطق ومبين

وتسيخ عن حمل الرداء متوني
لو لا رزايكم بني ياسين
ما ليس يبعثه لظى سجين
دمكم بحمرتها السماء تريني
أردتكم في كف كل لعين
في كل لحن للشجون مبين

وكما لفاطم رنة من خلفه
وبزجرها بسياط قنفذ وشحت
وبقطعهم تلك الاراقة دونها
لكنما حمل الرؤس على القنا
كل كتاب الله لكن صامت
[47] وله رضي الله عنه:

قلبي يقل من الهموم جبالها
وانا الذي لم أجزعن لرزية
تلك الرزايا الباعثات لمهجتي
كيف العزاء لها وكل عشية
والبرق يذكرني وميض صوارم
والرعد يعرب عن حنين نسائك

الا تضعض كل ليث عرين
والملبسين الموت كل طعين
عند اشتباك السمر قبض ضنين
بظهور خيل لا بطون سفين
لم يخلق المسبار للمطعون
وهي الاماني دون كل أمين
كالنون ينبذ بالعرى ذا النون
شجر القنا بدلا عن اليقطين
فالقوم قد جلوا عن التبيين
مدحوا بوحي في الكتاب مبين

يندبن قوماً ما هتفن بذكرهم
السالبين النفس أول ضربة
لا عيب فيهم غير قبضهم اللوى
سلكوا بحاراً من دماء أمية
لو كل طعنة فارس باكفهم
حتى اذا التقتهم حوت القضا
نبتهم الهيجاء فوق تلاعها
فتخال كلا ثم يونس فوقه
خذ في ثنائهم التجميل معرضاً
هم أفضل الشهداء والقنلى الاولى

ليت المواكب والوصي زعيمها
بالطف كي يروا الأولى فوق القنا
جعلت رؤس بني النبي مكانها
وتتبعت أشقى ثمود وتبع
الوائبين لظلم آل محمد
والقائلين لفاطم أديتنا
والقاطعين اراكة كيما تقل

وقفوا كموقفهم على صفين
رفعت مصاحفها اتقاء منون
وشفت قديم لواعج وضغون
ونبت على تأسيس كل لعين
ومحمد ملقى بلا تكفين
في طول نوح دائم وحنين
في ظل أوراق لها وغصون

ومجمعي حطب على البيت الذي
والداخلين على البتولة بيتها
والقائدين إمامهم بنجاده
خلوا ابن عمي أولاً كشف بالدعا
ما كان ناقة صالح وفصيلها
ورنت الى القبر الشريف بمقلة
نادت واطفار المصاب بقلبها
أبتاه هذا السامري وعجله
أي الرزايا أتقى بتجلد
فقدى أبي أم غصب بعلي حقه
أم أخذهم حقي وفاضل نحلتي
قهروا يتيمةك الحسين وصنوه

لم يجتمع لولاه شمل الدين
والمسقطين لها أعز جنين
والطهر تدعو خلفهم برنين
رأسي وأشكو للآله شجونني
بالفضل عند الله الا دوني
عبرى وقلب مكمد محزون
أبتاه عز على العداة معيني
تبعوا ومال الناس عن هرون
هو في النوائب ما حبيبت قريني
أم كسر ضلعي أم سقوط جنيني
أم جهلهم قدرني وقد عرفوني
وسئلتهم أرثي وقد نهروني(1)

الشيخ عبد الحسين شُكر

بداية المدرسة النجفية الأدبية المنفتحة على ثقافات المدارس الأدبية الأخرى، ففي منتصف القرن الثاني عشر الهجري نشطت المدرسة الفقهية النجفية وأبدعت المدرسة الاصولية إبان عهد زعيمها الشيخ الانصاري قدس سره، وفي هذا المضمار العلمي المتسارع، انفتحت المدرسة النجفية على المدارس الأدبية الأخرى، فأخذت من مدارس حواضر الأدب الشيعي ما أعاد لها شخصيتها الأدبية، ولعل أحسن ما أخذته من هذه المدارس، تخصصها في الاغراض الأدبية الخاصة التي ميّز مدرسة عن مدرسة أخرى،

الصفحة
280

فالمدرسة الحلية ارتسمت ملامح شخصيتها الأدبية من الرثاء الحسيني الذي ما فتأت هذه المدرسة تتعده وتبدع فيه، فاشتهر الحلبيون بالمراثي الحسينية وتفننوا في نقل المأساة، وقدموا المشاهد التاريخية لتفاصيل هذه الفاجعة على شكل وحدة أدبية تشكّلت من الأخبار التاريخية واحساسات الشاعر وخلجاته الخاصة، لذا فانك تجد رثاءً يتميز عن رثاء، واحساسات تختلف في هواجسها الخاصة عن احساس، فما أبدعه السيد حيدر الحلي تميز عن روائع الشيخ صالح الكواز، وما قدّمه السيد جعفر الحلي مثلاً غير الذي خلفه الشيخ مجيد العطار، وما أسسه الشيخ حمادي نوح غير الذي أرسى دعائمه السيد محمد القزويني وهكذا تشكلت المدرسة الحلية، وتبعته مدرسة النجفيين الأدبية فقد تخصصت بالرثاء الفاطمي وابتكرت اسلوب المزوجة بين الفاجعة الفاطمية وبين الفجائع الأخرى، وأكدت في مرثياتها ان أساس المحنة التي حلت في التاريخ الإسلامي هي محنة الزهراء (عليها السلام) والتي انطلقت منها سلسلة من المحن والفجائع التي توزعت على آله المعصومين. التزم شاعر المرثية الفاطمية اسلوب التحقيق والاستدلال وربط بين فاجعة الحسين (عليه السلام) وفاجعة الزهراء (عليها السلام) ليستنتج أخيراً أن ما حل بأهل هذا البيت الطاهر كانت بدايته تلك المأساة الفاطمية.

فالشاعر عبد الحسين شكر كان نموذجاً جيداً لهذه المدرسة، والتزم مبدأ التحقيق في مرثياته الفاطمية فابتدأها بمرثيات حسينية ثم أخلص إلى رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) وذكر فاجعة الاسقاط.

توفي الشيخ عبد الحسين شكر سنة 1285 هـ (1) في النجف، ونقل صاحب شعراء الغري عن الحصون المنيعه قوله: كان أدبياً شاعراً من أفاضل الشعراء وأحسن الأدباء، وذوي البديهة والاكثار في الشعر.

له في رثاء الحسين (عليه السلام) ثم يخلص الى رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) مقطوعات أدبية منها:

* * *

[48] قوله:

واعقل فقد باننت لنا أعلامها	أنخ الطلاح ففي الطفوف مرامها
ما في الطفوف وان ترفع هامها	واحرم وطف سبعاً فما في بكة
بدمنا نحور بني النبي رغامها	واروي بدمعك تربها فكم ارتوى
بزغت غداة ابن النبي أمامها	شمخت على السبع الشداد بأنجم
بالرشد عسعس بالضلال ظلامها	حتى إذا الدنيا تنفس صبحها
لرحى المنية حتقها وحمامها	طافت أمية بالطفوف سيوفها
ويسود اساد العرين سوامها	حسبت سفاها أن ستضرع هاشم
لجج الوغى غاباتها واجامها	فتسمنت قتب البطون ضياغم

1- شعراء الغري 5: 157.

أقداح قبر والدماء مدامها

أسد كأن الهام عند هياجها

كأراقم سدّ الفضاء سماها
للنقع فوق البيض أمطر هامها
شمس العوالم نكست أعلامها
وجرت بمحتوم القضاء أقلامها
فاسود من بيض الضبا أيامها
ذابت لومض فرنده أجسامها
كادت بأصداها تسيخ شامها
حلوا الثرى وعليه هان مقامها
طور الجلالة داعياً علامها
والانبياء له تطأطأ هامها
من بعده فالיום مات امامها
اليوم صغّر للبتول مقامها
فذكنت بقارعة الطفوف خيامها
أطفالها جرع السهام فطامها
بالطف من مهج النبي عظامها
وأستأمنت بطش الحليم لثامها
بيكيه من عجب النياق بغامها

فترى اللهازم تلتوي بأكفهم
والبيض مهما أبرقت بسحائب
حتى إذا شاء المهيمن أن يرى
سالت على البيض الصفاح نفوسهم
صبغت بحمر الدم بيض وجوههم
فهناك جرد شبل حيدر صارما
فأصم أسماع العراق برنة
سئم الحياة غداة أبصر صحبه
فهناك الباربي تجلى في ذرى
فترى الملائك معولين لقتله
ويحق للرسل الكرام عويلها
اليوم مات المصطفى و وصيه
اليوم بالنيران أضرم بابها
اليوم أسقط محسن فلذا غدت
اليوم دقت بالجدار فهشمت
اليوم قادوا المرتضى بنجاده
فلذا سرى زين العباد مقيداً

بعد الخدور حواسراً أيتامها(1)
بدافي المحاجر ما في الجوى
غداة تذكرت يوم النوى

اليوم ابرزت الضغون فأبرزت
[49] وله في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام):

أمن ذكر وادى لنقا فاللوى
أم القلب في أدمع لعين سال
إلى أن يقول:

فمن مبلغن بني هاشم
قد ألبس الرسل ثوب الحداد
بني الوحي هل تغمضون الجفون
الستم بيوم الوغى معشر
أطلت رزايا على مجدكم
حرائرکم في السبا تكلا
متى شمن فوق الصعاد الرؤوس
فتلك بنو الوحي أجسامهم
وطالت شهبها مذ حوت
فقوموا غضاباً بني هاشم
دهيتم بدهماء من معشر
فما آل سفيان لولا الألى

برزه لوى عضبهم فالتوى
وأبكى ملانكها في الهوى
وغصن المكارم منكم ذوى
يخوضون نزعتة للشوى
طوين رواق العلى فانطوى
أضراً نهن الظما والطوى
بأدمعهن الصعيد ارتوى
تضيء بها أم بوادي طوى
مليكاً على المكرمات احتوى
لتجزون كل امرىء ما نوى
أشادوا من الغي بيتاً غوى
ولولا السقيفة ما نينوى

1- شعراء الغري 5: 150.

الصفحة
284

هم ابتدعوا غصب ميراثهم
وما جرأة القوم لولم يقال
زووا حق فاطمة والوصي
لأن أمنوا اليوم من مكرهم
[50] وله في رثاء الحسين (عليه السلام)
من شل ساعد هاشم فيمينها
من خط في أقلام عرصة كربلا
إلى أن يقول:
فأثرن نقعاً كن فيه ثمانياً

وقام بها ليزيد اللوا
لأحمد قد ظل أو قد غوى
لذا عن حسين يزيد زوى
فلا يأمنوا من شديد القوى(1)
من جرّ بالبيض الضبا عرنينها
بالضيم مفرق صيدها وجبينها
سبع الطباق وستة أرضونها

فتذكرت حرب وقايح حيدر
بضبا نزار إليه لولا القضا
ولما أحلت قتلها أو حرّمت
فمن المعزي من لوي أسرة
قلعت أعاديها أراكة مجدها

ونست بوقعة كربلاء صفيها
ما أرخصت منها أمي ثمينها
يوماً على آل النبي معينها
هزّت على قبّ البطون جنينها
ورمت بأسهم الذبول غصونها(2)

1- شعراء الغري 5: 157.
2- نفس المصدر.

الشيخ حبيب شعبان

إذا كانت المدرسة الحلية قد أبدعت في الرثاء الحسيني، فإن مدرسة الأدب النجفية قد أبدعت في الأدب الفاطمي، ولعل الموقع الجغرافي لكلا المدرستين قد أسهم في تخصصات هذين الاتجاهين، فالحلة الفيحاء المتاخمة لحدود كربلاء، وتماس الحليين لهذه المدينة المقدسة فضلاً عن قوافل الزائرين الوافدين إلى كربلاء والمارين على أطراف الحلة أو المخترقين لوسط مدينتها، كما أن فرات الحلة الممتد من الفرات الكربلائي الذي حدثت على شواطئه الفاجعة الحسينية، عوامل تعيد ذكريات الفاجعة وتفاصيل

مأساتها، وارتكزت الفاجعة في شخصية الشاعر الحلي ودواخله الحزينة عوامل الاثارة لاستنكار هذه المأساة، وارتسمت معالم المدرسة الحلية من فاجعة الطف التي تركت أثرها واضحاً على شخصية الشاعر وهو اجسه، في حين أن المدرسة النجفية عاشت في ربوع النجف وتوجت أرضها الخضراء تلك القباب البيض الشامخات على هامات علماء المدرستين العلمية والأدبية، وكان قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) يستجلي تاريخاً طويلاً من المأساة تبدأها فاجعة فاطمة وتختتمها فاجعة فاطمة، لذا فقد انطبعت في شخصية الأديب ملامح هذه المأساة وطغت على توجهاته أهم حدث جعله في أولويات رؤيته التاريخية، فخرجت قصيدته من بين هذه الهواجس والذكريات، قصيدة فاطمية يبدع فيها الشاعر النجفي ليقراً تاريخ مأساة صاحب هذه القبة الشامخة الحزينة.

كان الشيخ حبيب شعبان ممن مثل هذه النزعة، وترجم تطلعات المدرسة الادبية النجفية في اظهار مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) بقصائد أبدع فيها وتلّبت على منابر الخطباء ومحافل الأدباء، كما أنه أظهر مأساة المحسن بروعة أدبية، ومحاولة فنية قيّمة. ولد الشيخ حبيب شعبان في النجف في حدود 1290 هـ (1)، ونشأ على أبيه، وعُني بتربيته وقرأ القرآن وتعلم الكتابة، ثم وجهه حسب رغبته إلى طلب العلم فقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والاصول.

قال صاحب الحصون: فاضل ذكي، شاعر معاصر، وأديب حسن

1- راجع في ترجمته شعراء الغري 3: 3.

الصفحة
287

المعاشرة طريف المحاورة.. هاجر إلى كربلاء وتتلذذ على السيد محمد باقر الطباطبائي
واتصل به مدة..
وذكر صاحب أعيان الشيعة انه انتقل إلى الهند فحاز على منزلة سامية عند أهلها وكان
من مراجع الدين.
وذكره الشيخ جعفر النقدي: فقال: فاضل بديع الاسلوب حسن النظم، جميل المحاورة.

* * *

[51] قال في رثائه للسيدة الزهراء (عليها السلام):

سفاك الحيا الهطال يا معهد الالف	ويا جنة الفردوس دانية القطف
فكم مر لي عيش حلا فيك طعمه	ليالي أصفى الود فيها لمن يصفي
بسطنا أحاديث الهوى وانطوت لنا	قلوب على ما في المودة والعطف
فشتتنا صرف الزمان وإنه	لمنتقد شمل الأحبة بالصرف

الصفحة
288

كأن لم تدر ما بيننا أكؤس الهوى	ونحن نشاوى لا نمل من الرشف
ولم نقض أيام الصبا وبها الصبا	تمر علينا وهي طيبة العرف
أيا منزل الاحباب مالك موحشاً	بزهرة الارياح أودت بما تسفي
تعفيت يا ربع الأحبة بعدهم	فذكرتني قبر البتولة إذ عفي
رمتها سهام الدهر وهي صوائب	بشجو إلى أن جرعت غصص الحنف
شجاها فراق المصطفى واحتقارها	لدى كل رجس من صحابته جلف
وما ورثوها من أبيها وأثبتوا	حديثاً نفاه الله في محكم الصحف

تعثر بالأذيال مثنية العطف
ومدت إليه الطرف خاشعة الطرف

فأبت وزند الغيظ يقدح في الحشا
وجاءت إلى الكرار تشكو اهتضامها

الصفحة
289

إذا فرت الأبطال رعباً من الزحف
بصيحته في الروع يغني عن الألف
يسومونني مالا أطيق من الخسف
عداوة لي بالضرب مني يستشف
بحقي ومنه اليوم قد صفرت كفي
ألوذ وهل لي بعد بيتك من كهف
جنيني فوا ويلاه منهم ويالهف
تورقها البلوى وظالمها مغف
جنين لها بالضرب مسودة الكتف

أبا حسن يا راسخ اللحم والحجي
ويا واحداً أفنى الجموع ولم يزل
أراك تراني وابن تيم وصحبه
ويلطم خدي نصب عينيك ناصب الـ
فتقضي ولا تتضي حسامك آخذاً
لمن اشتكي إلا اليك ومن به
وقد أضرمو النيران فيه وأسقطوا
وما برحت مظلومة ذات علة
إلى أن قضت مكسورة الضلع مسقطاً

الصفحة
290

عناداً لها قد سلبوهن بالطف
هواتف يذهلن الحمام عن الحنف
عن الشمس إذ ما في ظلال ولا سجدف
بها فلفرط الانس تضرب بالدف(1)

كسا جسمها ثوب الضنا وبناتها
وطافوا بها الشامات أسرى حواسراً
ويخمشن بالأيدي وجوهاً تقشرت
لقد شمنت أرجاس آل أمية

[52] وله في رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) قوله:

لذلك لا تتفك عشاقها سكرى
على هجرها حتى تموت به صبرا
وينفثن بالألحاظ في عقله سحرا
فيسقيه من أجفانه أدمعاً حمرا

هي الغير تسقي من لواحظها خمرا
ضعاف لا تقوى قلوب ذوي الهوى
وما أنا ممن يستلين فؤاده
ولا بالذي يشجيه دارس مربع

أبكي لرسم دارس حكم البلى
وأصفي ودادي للديار وأهلها
وقد فرض الرحمن في الذكر ودها
وزوجها فوق السما من أمينه
وكان شهود العقد سكان عرشه
فلم ترض إلا أن يشفعها بمن
حبيبة خير الرسل ما بين أهله
ومهما لريح الجنة اشتاق شمها
إذا هي في المحراب قامت فنورها
عليه ودار بعد سكانها فقرا
فيسلو فؤادي ودّ فاطمة الزهرا
وللمصطفى كانت مودتها أجرا
علي فزادت فوق مفخرها فخرا
وكانت جنان الخلد منه لها مهرا
تحب فأعطاها الشفاعة في الأخرى
يقبلها شوقاً ويوسعها بشرا
فينشق منها ذلك العطر والنشرا
بزهرتة يحكي لأهل السما الزهرا

وانسية حوراء فالحور كلها
وإن نساء العالمين إماؤها
فلم يك لولاها نصيب من العلى
لقد خصها الباري بغير مناقب
وكيف تحيط اللسان وصفا بكنه من
وما خفيت فضلا على كل مسلم
وما شيع الاصحاب سامي نعشها
بلى جحد القوم النبي وأضمروا
له دحرجوا مذ كان حياً دبابهم
وصائفها يعددن خدمتها فخرا
بها شرفت منهن من شرفت قدرا
لأنثى ولا كانت خديجة الكبرى
تجلت وجلت أن يطيق لها حصرا
أحاطت بما يأتي وما قد مضى خبرا
فيا ليت شعري كيف قد خفيت قبرا
وما ضرهم ان يغنموا الفضل والأجرا
له حين يقضي في بقبته المكرا
وقد نسبوا عند الوفات له الهجرا

فلما قضى ارتدوا وصدوا عن الهدى
وحادوا عن النهج القويم ضلالة
وحيداً من الانصار لا حمزة له
وطأطأ لا جيناً ولو شاء لانتضى
ولكن حكم الله جار وانه
فكابد ما لو بالجبال لهدها
ومنها:

وتشكوك يوم الحشر لا تعرف الحشرا
لديك لها لا تستطيع لها حصرا
فجايح أن أرقيت صدر ابنها شمرا
ستصرخ للعدل الحكيم بعولة
لها الله من مظلومة كظلامه
وأفجع ما قاسته منك وكلها

فعلى على الخطاب عالي كريمة
فكابد حر السيف وهو على ظما
خضيباً بقان من دماه بكت له
عليك أبا السجاد ما أحسن البكا
أنتقضي ولم تشرب من الماء قطرة
وتعدوا عليك العاديات مجردا
خضيبا ورضت صدره الخيل والظهرا
وظل بحر الصيف ملقى على الغبرا
السماء دما والارض والأفق إحمررا
وما أقبح الدنيا بفقذك والصبرا
تربيا وفيك الناس تستنزل القطرا
ترض لك الصدر الذي استودع السرا(1)

السيد عيسى الكاظمي

لم تكن مدرسة بغداد قد أنجبت ما أنجبته مدارس النجف الأدبية أو الحلة أو كربلاء، ذلك لأن المدرسة البغدادية قد جمعت في حوزتها شعراء يوحدتهم الفن الأدبي، وتفرّقهم الاغراض الشعرية ذات الفلسفات المتباينة، فالشعراء من ذوي المذاهب الإسلامية المختلفة قد إنتموا إلى هذه المدرسة البغدادية، وحاول كل منهم التعبير عن مبنتياته الفقهية أو توجهاته السياسية، أو رؤيته التاريخية، أو مشاهداته الاجتماعية في غرض القصيدة الذي بات بعد ذلك توثيقاً لمبنتيات هذه الفئة أو تلك، وحاز الشاعر الشيعي

في خضم هذا التسابق الأدبي قصبة السبق في غرض الرثاء، الذي صار سمة شاعريته تعبيراً عن مأساة آل البيت (عليهم السلام)، وقدّم الأدب الشيعي أطروحته الأدبية، وانفتح على الاغراض الأخرى فابعد فيها تماشياً مع متطلبات المدارس الأدبية الأخرى، وحاولت المدرسة الأدبية الشيعية تقديم قراءة تاريخية لمجريات الاحداث الإسلامية وابتعدت عن مترفات الغرض الشعري الذي بات آنذاك سمة تميّز مدارس الأدب البغدادية الأخرى، فمحاكاة النظام الحاكم ومديحه واستجلاب عطف فئة سياسية على حساب أخرى حفلت بها أدبيات هذه المدارس، وابتعد الأدب الشيعي ليكون أدباً ملتزماً يقدم قضيةً ويعبر عن احساسه.

لم يُجدّ الأدب الشيعي البغدادي عن أدب مدارس الأم، فمدرسة الأدب الحلية التي تميزت بالرثاء الحسيني، ومدرسة الأدب النجفية التي أبدعت في الرثاء الفاطمي، ومدرسة الادب البحرانية التي عُرفت بمدرسة أدب المأساة، ومدرسة الأدب القطيفية التي التزمت الدفاع عن عقائد الامامية، ومدرسة الادب العاملة التي انفتحت على مدارس الحواضر الإسلامية الأخرى لتقدّم الرؤية الصحيحة عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، كل هذه المدارس شاركت في تأسيس مبنتيات المدرسة البغدادية الشيعية، وحاولت ارساء دعائمها كونها اكثر المدارس تعرضاً للمحاججة والاستجواب من قبل المدارس الإسلامية الأخرى، إذن، كانت مدرسة بغداد حصيلة هذه المدارس الأدبية، ولا نعني الغاء شخصية هذه المدرسة وخصوصياتها، بل اننا نحتفظ بروئيتنا عن هذه المدرسة ذات الاختصاص الشيعي الصرف والمنفتح على ثقافات المدارس الأخرى.

عرفت مدرسة بغداد الأدبية بشعرائها المجيدين وكان السيد عيسى الكاظمي من ألمع هؤلاء المبدعين، توفي رحمه الله في سنة 1330 هـ قال عنه المحقق أغا بزرك الطهراني: هو السيد عيسى بن السيد جعفر ابن السيد محمد آل سيد محسن الاعرجي الكاظمي، وهو عالم كامل وأديب جليل من رجال أسرته الافاضل، وأعلام المعرفة الأماثل قرأ على علماء عصره وبدع في الأدب ولا سيما الشعر(1).
ترك أثاره العلمية التي منها:

شرح مقدمات الحدائق. كتاب المحصول. كتاب الوافي. كتاب العدة في الرجال.
قدّم السيد عيسى الكاظمي مدرسته الأدبية كونها المدرسة المتصدية لآظهار مظلومية آل البيت (عليهم السلام)، وكان عنوان هذه المظلومية مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام)، فأرخ محنتها أحسن تأريخ وقدمها برويتها التاريخية الأمانة.

1- نقيب البشر في القرن الرابع عشر : 4 : 1637.

وفيما يلي مرثيته الفاطمية:
[53] قال:

ويزيلُ من شم الجبالِ هضابها
صم الصفا معشأه لأذا بها
وذو المعالي منه تقرعُ نابها
تشكو إليه من اللثام مصابها
تشكو فقد هذالقوى ما نابها
أم حرقها ياللبريّه بابها؟!
وبه تقصدُ عينها فأصابها
ضرباً يروم به الزنيم أياها

خطبٌ يُذيبُ من الصخور صلابها
فلو أنّ ما قاسيت منه صادفت
خطبٌ له أمسيئُ أصفقُ راحتي
عظفت على القبر الشريف برئة
والله ما أدري لأي مصيبة
العصرها بالباب حتى أسقطت؟!
ام لطمها حتى تناثر قرطها؟!
أم ضربها حتى تكسرّ ضلعها!؟

أم غضبهم من بعد ذلك نحلة؟!
أم قودهم لإمامهم بنجاده؟!
والظهرُ تهتفُ خلفهم في رتّة
ما عندهم لنبيهم فيها إذا
يوم به الزهراء تحملُ محسناً
سقطاً فتذهل للورى ألبابها
ام أتهم خرّقوا لذاك كتابها
كيما يُبايع جهرةً أذئابها
ملأت من البيد الفقار رحابها
ما قد تولاّ في المعاد حسابها

العلامة

السيد باقر الهندي

إذا كان حوار الحضارات يتوقف على آلية التفاهم، فإن القصيدة الامامية قد صيغت على انها آليه الحوار والتفاهم، وإذا كانت القصيدة العربية منبعثة من هموم الشاعر ولواعج نفسه، فإن القصيدة الامامية منبعثة من طرفي معادلة واقعية ثابتة وهي الحاجة الذاتية للشاعر ليُعبّر عن مكنون ألمه العميق بما حل بآل الله الطيبين، ومن الحاجة إلى طرح قضيته العقائدية لحضارة قادمة يتحاور معها على أساس الثوابت المتسالمة تاريخياً،

أي أن الحوار الحضاري الذي يصبو إليه الشاعر هو محاولة انفتاح على حضارات قادمة يقدّم فيها مسلّمات تُشكّل على أساسها أطروحته الحوارية، إذن فالقصيدة الإمامية هي رسالة تفاهم بين أجيال سابقة وبين أجيال لاحقة تضطرب لديها الرؤية وتتنازع لديها الافكار

في ثوابتها المتسالم عليها نتيجة خرق فكري يتسلل في الخفاء أو يرتطم بها على حين غفلة في مخادعها العقائدية المحصنة ببديهيات تاريخية عقائدية، وبمعنى آخر أن القصيدة الإمامية باتت ذخيرة عقائدية إدخرتها الاجيال السابقه.

في قراءة لقصيدة العلامة الثبت السيد باقر الهندي تتكشف لك حقيقة هذا الحوار الحضاري، فالقصيدة استقصاءات لمحنة تاريخية، وتساءلات أثارها الشاعر عن ثوابت لا يمكن انكارها، وكأن تساؤلاته مسلّمات ارتكزت في نفس الشاعر وفي ذهنية المخاطب، ثم يقدّم الشاعر اجاباته على أساس الرؤية التاريخية المتسالم عليها، وتتمحور اجاباته على أسس الثوابت والمسلّمات العقائدية.

[54] وأليك حوارياته الفاطمية الرائعة:

كل غدر وقول افك وزور	هو فرع عن جحد نص الغدير
فتبصر تبصر هداك إلى الحق	فليس الاعمى به كالبعير
ليس تعمى العيون لكنما تعمى	القلوب التي انطوت في الصدور
يوم اوحى الجليل يأمر طه	وهو سار ان مر بترك المسير
حط رحل السرى على غير ماء	وكلا في الفلا وحر الهجير
ثم بلغهم والا فما بلغت	وحياً عن اللطيف الخبير
اقم المرتضى اماماً على الخلق	ونوراً يجلو دجى الديجور
فرقى آخذاً بكف علي	منبراً كان من حدوج وكور
ودعا والملا حضور جميعاً	غيب الله رشدهم من حضور

ان هذا اميركم وولي	الامر بعدي ووارثي ووزيري
هو مولى لكل من كنت مولا	ه من الله في جميع الامور
فأجابوا بألسن تظهر الطا	عة والغدر مضمر في الصدور

منه لله ريب الدهور
وخافوا عواقب التأخير
جاء به والوصي خلف الظهور
وهو إذ ذاك ليس بالمقبور
إلى بيعة الاثيم الكفور
على أهل آية التطهير

بايعوه وبعدها طلبوا البيعة
اسرعوا حين غاب احمد للغدر
نبدوا العهد والكتاب وما
خالفوا كلما به جاء طه
عدلوا عن ابي الهداة الميامين
قدّموا الرجس بالولاية للامر

بالنار ارادوا اطفاء ذاك النور
المسمار ما حال ضلعها المكسور
وما بال قرطها المنثور
من علي ذاك الابى الغيور
فاضحى يقاد قود البعير
في ذيل بردها المجرور
وحنين اذاب صم الصخور
اولا شكوا إلى السميع البصير
بعلي ملبباً كالاسير

لست تدري لم احرقوا الباب
لست تدري ما صدر فاطم ما
ما سقوط الجنين ما حمرة العين
دخلوا الدار وهي حسرى بمرأى
واستداروا بغياً على اسد الله
والبتول الزهراء في اثرهم تعثر
بأنين أورى القلوب ضراماً
ودعتهم خلوا ابن عمي عليا
ما رعوها بل رعوها ومروا

بارز الكفر ليس بالمستور
مثل ما ضاع قبرها في القبور
وهل عندهم سوى التزوير
يك فيه محمد بخبير
رهيف والباع غير قصير

بعض هذا يريك ممن تولى
كيف حق البتول ضاع عناداً
قابلوا حقها المبين بتزوير
وروا عن محمد خبراً لم
وعلي يرى ويسمع والسيف

قيده وصية من اخيه
افصبراً يا صاحب الامر والخطب
حملته ما ليس بالمقدور
كم مصاب يطول فيه بياني
جليل يذيب قلب الصبور
قد عرى الطهر في الزمان القصير
يا ابن طه تهنى بطرف قرير
كيف من بعد حمرة العين منها

الصفحة
307

فابك وازفر لها فان عداها
وكأني به يقول ويبكي
منعوها من البكا والزفير
لا تراني اتخذت لا وعلاها
بسلو نزر ودمع غزير
فمتى يا ابن فاطم تنشر الطا
بعد بيت الاحزان بيت السرور
قد اذبيت بنار غيظ الصدور
غوت والجبت قبل يوم النشور
فتدارك منا بقايا نفوس

الصفحة
308

الصفحة
309

الشيخ محمد الملا

لم يكن الرثاء الفاطمي غرضاً أدبياً يقدمه الشاعر، بقدر ما هو ضرورة تاريخية إستلهمها الأديب من استقراءه التاريخي، والرثاء الفاطمي بات غرضاً ينبعث من التركيبة النفسية الشيعية ذات المعاناة الأزلية على امتداد التاريخ الإسلامي، ولما كان الشاعر احدى العينات الناضجة لهذا المجتمع الممتحن، فان مأساة هذه الشريحة من الأمة الإسلامية ترجمها الشاعر إلى احساسات وهواجس ناضجة تترفع عن أغراض العاطفة ومطبات الغرض الشخصي، إلى مراقبي البرهان والاستدلال، بل ان المأساة الفاطمية لافتة

الصفحة

ناضجة يرفعها الأديب ليعبر عن تطلعات أمة كاملة ويحكي تاريخ معذب ممتن شاركته فيه عوامل تاريخية غير رشيدة.

إن معاناة الأديب الشيعي تتوزع بين مصائب السيدة الزهراء إلى شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى قتل الحسن وفاجعة الحسين مروراً بالفجائع المتلاحقة المتوزعة بين آل البيت (عليهم السلام)، إلا أن مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) قد هيمنت على مشاعر الشاعر واحساساته فينطلق منها إلى تسجيل الحادثة على أنها شاهد حي انطلقت منها المحنة الشيعية على مرور التاريخ.

كان الشيخ محمد الملا أحد الشعراء المجيدين في هذا المجال، فقد قدّم مرثيته الفاطمية على انها أساس الفجائع والمحن، وأوضح في ديباجه مقطوعته الأدبية أن آلامه وهمومه منطلقة من تلك المصائب التي عاناها آل النبي الاطهار وكانت في مقدمتها مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام).

ولد الشيخ محمد الملا في الحلة الفيحاء سنة 1243 هـ وتوفي سنة 1322 وحمل الى النجف الاشرف حيث دفن هناك.

قال عنه الباحث الشيخ علي الخاقاني (1): أديب كبير، وخطيب مقوّه طرق كافة النواحي بمحاضراته ومساجلاته، وحصل على شهرة واسعة في الاوساط الأدبية عندما نظم رائعته في مدح الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقد أجاد بها، إذ جرى بها بديعية الصفي الحلي والسيد علي خان الشيرازي.

وأرخه اليعقوبي في بابلياته بقوله: من مشاهير أدباء الفيحاء وصدور شعرائها الأقدمين ومن شيوخ صناعة الأدب فيها، سريع البديهة، ذكي

1- راجع في ترجمته أدب الطف 8: 175.

الخاطر، تخرج عليه جماعة من الأدباء الذين عاصرناهم، وأخذ هو عن الشيخ حمزة البصير والسيد مهدي بن السيد داود وعن الشيخ حمادي نوح. وقد نقل الشيخ اليعقوبي ما أرخه الشيخ حمادي نوح عن الشاعر قوله حين صدر فيها قصيدته في رثاء المترجم واليك نصها: وقال يرثي الشيخ الأجل والحائز عند أهل البيت

أرفع محل اللوذ عن الماهر، والالمعي الباهر الشيخ أبالقاسم محمد بن حمزة بن الحسين بن نور علي التستري الاهوازي وتوفي صبيحة الخميس في الثالث عشر من جمادي الثانية سنة 1322 وانصدع الناس له في الحلة انصداعاً عظيماً في أيام وباء تلك السنة وخرج نعشه من الحلة في بهاء عظيم وتشريف له من الله وتكريم وحمل إلى النجف الاشرف ودفن في وادي السلام(1).

[55] له في رثاء الحسين (عليه السلام) ثم يخلص إلى رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن قوله:

والم ينل بلقى أحبابه إربا	حتام قلبي يلقي في الهوى نصبا
لما سرت لا سرى أجمالها خبيا	ظنوا فياليت لا ظنوا بقريهم
إلا وقلبي في نار الأسي التهابا	لم تتبعث سحب عيني في مدامعها
والانس بعد شروق بدره غربا	قد كان غصن شبابي يانعا فذوى
فليس ينفك فيه واكفا سربا	يا جيرة الحيّ حيا الغيث معهدكم
إلا اليّ إذا حققتم النسبا	ان تسألوا الحب لا تلفوه منتسبا
رأيت قلبي إلى السلوان منقلبا	قلبتموني على جمر العباد وما
من الخطوب يقود الجحفل اللجبا	في كل آن اليّ الدهر مقحما
لأحمد وبنيه السادة النجبا	فكيف اوليه حمداً في اسائته
وكلهن بقلب الدين قد نشبا	رماهم بسهام الحتف عن حنق
معشارهن شجاه ينسف الهضبا	قاسى محمد من أعدائه كريا
خم وأسمع كل الناس مذ خطبا	فبالوصية للكرار بلّغ في
وفيه آمن من لا يعرف الربيا	فارتاب فيه الذي في قلبه مرض
ونحو أكرم دار مسرعا ذهبا	حتى إذا صادف الهادي منيته
والكل منهم لغصب الآل قد وثبا	صدت بنو قبيلة عن نهجه حسدا

كرهاً لبيعة من غير الضلال أبي	أضحت تقود عليا وهو سيدها
من المناقب ساد العجم والعربا	ماذا الذي استسهلوا مما جنوه على
أم وضعهم حول باب المنزل الحطبا	إسقاطهم لجنين الطهر فاطمة

أم ضرب رأس علي بالحسام ومن
أم شربة السم إذ دست إلى حسن
قد جل رزه الزكي المجتبي حسن
إن قطع السم منه في حرارته
دمائه شبيه قد راح مختضباً
منها ومن شربها كأس الردى شرباً
لكن رزه حسين قد سمى رتباً
أحشاه والقلب منه كابد الوصباً(1)

1- أدب الطف أو شعراء الحسين للسيد جواد شبر 8: 180.

الصفحة
314

الصفحة
315

آية الله العظمى العلامة

السيد محمد القزويني

انفتحت القصيدة العربية في الأدب الشيعي على أغراض لم تكن تألفها من قبل، فالقصيدة كانت تتفوق على الاغراض التقليدية من شعر العرب الجاهليين، حق اتخذت من المديح والتزلف لآل البلاط في العهد الأدبي الأموي ما جعل القصيدة العربية تتحرف عن مساراتها الوجدانية، وراجت بضاعة الغزل والعبث في المحافل الأدبية المترفة من العهد العباسي، وانحدرت إلى الاغراض المتدنية من التشبيب والوصف الساذج في عهود أدبية تالية،

الصفحة
316

وهكذا كانت القصيدة العربية تتهاوى بين مشتبهات الحاكم الذي يحتكر الفن الشعري لصالحه، وبين سذاجة الأديب الذي أحال الأدب إلى وسيلة أستجداء يترف لقمة عيشه بواسطته، والأدب الشيعي الذي يخرج من بين واقعية الاحداث المؤلمة التي حلت بآل النبي الطيبين تتشكل من خلاله شخصية الأديب المتحرقة على مصائب الآل الاطهار، ويحاول أن ينقل هواجسه في مقطوعته الأدبية علّها تعبر عن بعض مكنون هذا الاحساس الملتهب،

بيد أن هذا المقدار لم يكتف به الأديب الشيعي صاحب القضية التي تشعبت أغراضها وتعددت مطالبها، ووجد أن الأغراض التقليدية غير قادرة على احتواء تشعبات قصيته، وحاول أن يبتكر ألواناً أخرى من الأغراض الشعرية الفنية لتدخل معالم قصيته ضمن دائرته الأدبية الواسعة، لذا فقد سعى إلى تعويم القصيدة الشعرية لتشمل أغراض قضاياها المتعددة. فمثلاً ابتكر الأديب الشيعي فناً شعرياً رائعاً وهو أن يضمّن قصيدته الشعرية وقائع خبر ورد عن أئمة المعصومين (عليهم السلام)، وأدخله في نطاقه الأدبي ليسهل على البعض حفظه مثلاً أو يثير انتباه الآخرين إلى أهمية الحديث وموضوعيته.

لذا عمد الحجة السيد محمد القزويني إلى اتباع هذا الأسلوب العلمي، فأدخل حديث الكساء في مشروعه الأدبي وتسلسل في روايته حتى خلص إلى فاجعة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وكان حديث الكساء أتاح للسيد القزويني أن يفتح على مأساة آل الله الذين أتحفهم بمودته وحباهم بكرامته وأنزل فيهم من الآي ما أكد علو منزلتهم عنده وخاصتهم لديه، إلا أن الظرف السياسي المرتجل يغيّر هذه المعادلات ويقلب موازيناتها الإلهية.

هكذا استنتج العلامة القزويني في مقطوعته الأدبية، فقد أحال القصيدة العربية إلى رواية علمية تعتمد على صحة السند وصدق المضمون، وانتهى إلى غرض معين فكان الرثاء غرضه الذي اختاره الشاعر وختم فيه روايته. ولد السيد محمد القزويني في الحلة الفيحاء عام 1262 هـ وفيها نشأ وحين راهق البلوغ هاجر إلى النجف الأشرف واعترف من معينها حتى أصبح معقد الأمل ونال رتبة الاجتهاد بشهادة المجتهدين وزعماء الدين. توفي رحمه الله سنة 1335 هـ واختتم حياته الكريمة بعطاءاته الفذة.

* * *

[56] واليك حديث الكساء برواية الحجة القزويني الشعرية:

روت لنا فاطمة خير النسا	حديث أهل الفضل أصحاب الكسا
تقول أن سيد الانام	قد جائي يوماً من الايام
فقال لي اني أرى في بدني	ضعفاً أراه اليوم قد أنحلني
قومي علي بالكسا اليماني	وفيه غطيني بلا تواني

مسرعة وبالكسا غطيته
في أربع بعد ليال عشر
حتى أتى أبو محمدالحسن

قالت فجئته وقد لبيته
وكنت أرنو وجهه كالبدر
فما مضى الا يسير من زمن

رائحة طيبة أعتقد
أخي الوصي المرتضى علي
مدثر به تغطي واكتسى
مستأذناً قال له ادخل مكرما
جاء الحسين السبط مستقلا
رائحة كأنها المسك الذكي
أظنها ريح النبي المصطفى
بجنبه أخوك فيه لاذا
مسلمنا قال له ادخل معنا
جاء أبوهما، الغضنفر الأسد
المرتضى رابع أصحاب الكسا
ومن بها زوجت في السماء
كأنها الورد الندي فايحه
وخير من لبي وطاف واعتمر
وضم شبليك وفيه اكتنفا
منه الدخول قال فادخل عاجلا
قال ادخلي محبوة مكرمه
وكلهم تحت الكساء اجتمعوا

فقال يا أماه أني أجد
بانها رائحة النبي
قلت نعم ها هو ذا تحت الكسا
فجاء نحوه ابنه مسلما
فما مضى إلا القليل إلا
فقال يا أم أشم عندك
وحق من أولاك منه شرفا
قلت نعم تحت الكساء هذا
فاقبل السبط له مستأذنا
وما مضى من ساعة الا وقد
أبو الأئمة الهداة النجبا
فقال يا سيدة النساء
أنى أشم في حماك رائحة
يحكي شذاها عرف سيد البشر
فقلت نعم تحت الكساء التحفا
فجاء يستأذن منه سائلا
قالت فجئنت نحوهم مسلمه
فعندما بهم أضاء الموضع

يسمع أملاك السموات العلى
 وبارتفاعي فوق كل عالي
 وليس أرض في الثرى مدحيه
 كلا ولا شمسا أضائت نورا
 كلا ولا فلك البحار تسرى
 من لم يكن أمرهم ملتبسا
 تحت الكسا بحقهم لنا أبين
 ومهبط التنزيل والجلاله
 والمصطفى والحسان نسلها
 أن أهبط الارض لذاك المنزل
 كما جعلت خادما وحارسا
 مسلما يتلو عليهم انما
 معجزة لمن غدا منتبها
 وخصم بغاية الكرامه
 إملاكه الغر بما تقدا
 ما لجلوسنا من النصيب
 وخصني بالوحي واجتبانى
 في محفل الاشياخ خير معشر

نادى إله الخلق جل وعلا
 أقسم بالعزة والجلال
 ما من سما رفعتها مبنية
 ولا خلقت قمراً منيرا
 وليس بحر في المياه يجري
 إلا لأجل من هم تحت الكسا
 قال الأمين قلت يا رب ومن
 فقال لي هم معدن الرساله
 وقال هم فاطمة وبعها
 فقلت يا ربا هل تأذن لي
 فاغتندى تحت الكساء سادسا
 قال نعم فجائهم مسلما
 يقول ان الله خصكم بها
 أقرام رب العلاء سلامه
 وهو يقول معلنا ومفهما
 قال علي قلت يا حبيبي
 قال النبي والذي اصطفاني
 ما أن جرى ذكر هذا الخبر

وفيهم حفت جنود جمه
 تحرسهم في الدهر ما تفرقوا
 الا وعنه كشفت هموم

إلا وأنزل الإله الرحمه
 من الملائك الذين صدقوا
 كلا وليس فيهم مغموم

كلا ولا طالب حاجة يرى
الا قضي الله الكريم حاجته
قال علي نحن والاحباب
فزنا بما نلنا ورب الكعبه
يا عجبا يستأذن الأمين
قال سليم قلت يا سلمان
فقال اي وعزة الجبار
لكنها لاذت وراء الباب
فمذ رأوها عصروها عصره
تصيح يا فضة أسنديني
فاسقطت بنت الهدى واحزنا

قضائها عليه قد تعسرا
وأنزل الرضوان فضلا ساحته
أشياعنا الذين قُدا طابوا
فليشكرن كل فرد ربه
عليهم ويهجم الخئون
هل دخلوا ولم يكن استئذان
ليس على الزهراء من خمار
رعاية للستر والحجاب
كادت بروحي أن تموت حسره
فقد وربي قتلوا جنيني
جنينها ذاك المسمى محسنا(1)

1- رياض المدح والثناء للشيخ حسين البلادي: 6.

الصفحة
321

السيد مهدي الحلبي

من رموز النهضة الأدبية الحلبية التي اجتاحت الوسط العراقي إبّان القرن الثالث عشر
فاستقرت في الحلة الفيحاء، فكانت العاصمة الأدبية لمدرستي النجف وكرلاء العلميتين.
والتجديد العلمي لهاتين المدرستين كان في أوج حركته، والنهضة الأدبية تعهدتها المدرسة
الحلبيه، فبرع فيها فحول الشعراء كما نبغ في المدرستين السابقتين أساطين العلماء.
كان العهد العلمي الجواهري الذي يتزعمه الشيخ محمد حسن النجفي

الصفحة
322

صاحب الجواهر، ينبج ألمع علمائه كالشيخ الاعظم الذي فتح باب الابداع الأصولي
والتجديد الفقهي، فلم يتح للأدب أن يأخذ مكانه في خضم هذا الوسط العلمي المائج، الا نتقاً

أدبية تظهر من بين الاوساط العلمية في بعض المناسبات، فالأدب يحط رحله إذن في العاصمة الأدبية الحلية، التي تحتضن نوابغ أدبائها لتكون لسان حال الحوزات العلمية يومذاك، والجامعات العلمية هذه كانت مهمتها فضلاً عن ترويح المذهب، الدفاع عن مقدساته ومبادئه، فأوكلت الزعامات العلمية مهمة الدفاع هذه إلى أدبائها من الحليين ليشاطروهم في جهادهم المقدس، وليجدوا فيهم اللهجة الصادقة والشعور الملتهب في اثبات مبادئ آل البيت (عليهم السلام) وقضيتهم.

كانت المدرسة الحلية تتخذ من واقعة الطف غرضاً أدبياً مستقلاً، وقضية تُبرر استمرارية الاعلان عن مظلومية آل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، وكانت المدرسة الحلية تبت قضيتها هذه إلى أنحاء الحاضرة الإسلامية بالقصيدة الشعرية أو المقطوعة النثرية مما أدى إلى كسب ود المدارس الأدبية الإسلامية الأخرى التي شاركت هذه المدرسة تفجعها للإمام الحسين (عليه السلام) فنظم شراء غير شيعة في رثاء الإمام، واستطاعت المدرسة الحلية بعد ذلك استدراج القضية التاريخية لتقطع شوطاً أكبر في عرض مظلومية آل البيت (عليهم السلام)، وكانت المأساة الفاطمية قد تصدرت هذه المحاولات الأدبية، فنجحت في فتح ملف هذه المأساة وقدمتها للامة الإسلامية، قضية مأساة لا تقل عن فاجعة الطف، بل هي المقدمة التي استطاع الأمويون من خلالها قتل الحسين بن علي (عليه السلام) وسبي نسائه، وإذا كانت مأساة كربلاء قد تفردت في قضية قتل طفل لعدة أشهر، فان السيدة الزهراء (عليها السلام) قد سبقت

الحدث الكربلائي بأن أسقطت محسناً يوم هجوم الدار وأخذ البيعة قسراً، هكذا يستدرج شعراء الشيعة الحدث الإسلامي ليوصلوا الأمة الى حقيقة مجريات الأمور، واستطاع الشاعر الحلي أن يربط الأمة بقضية كربلاء بعد مروره في تفاصيل الحدث الفاطمي، وإن قراءة لقصيدة السيد مهدي الحلي ستجعل القارئ متقلاً بين تفاصيل قضايا اسلامية كانت نتيجتها "كربلاء".

ولد في الحلة سنة 1222 (1) ونشأ فيها ودرس العلوم العربية وأدائها على أخيه السيد سليمان الصغير، ودرس الفقه على العلامة الشيخ حسن صاحب "أنوار الفقاهاة" ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء . يوم كان مقيماً في الحله . ثم هاجر إلى النجف فحضر في الدروس الفقهية حوزة العلامة الشهير صاحب الجواهر محمد حسن ابن الشيخ باقر (ره).

له مصنفات في الأدب واللغة والتاريخ منها:

- 1 . مصباح الأدب الزاهر: وهو كتاب في الأدب وفيه فوائد تاريخية وأحوال بعض العلماء المعاصرين.
- 2 . مختارات شعرية.
- 3 . ديوان شعره.

لما توفي (ره) أوصى ابن أخيه السيد حيدر أن يدفن معه في كفته مدائحه ومراثيه للنبي ولأهل بيته (عليهم السلام) ومن شعره في رثاء آل البيت (عليهم السلام).

1- راجع في ترجمته البابليات للشيخ محمد علي البيهقي 2: 67. كذلك أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين 10: 148.

سلب الردى من رأس قهر تاجها	قسراً وأطفاً في الطفوف سراجها
وذكرها علاها في الصعيد تكورت	والله صير عرشه أبراجها
بأبي كراماً من قريش للعلی	سلكت بقارعة الردى منهاجها
شخصت إلى المرمى البعيد من العلی	ومن المنايا فاجأت أفواجها
[57] وفي رثائه للامام الحسين (عليه السلام) يخلص فيه إلى رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن قوله:	
خطب دها الإسلام كان فظيماً	من أجله بكت السماء نجيعاً
آهاله من حادث ذهب الأسي	فيه عداة مضى الحسين صريعاً
وتظن أنك منه لم تهجع أسي	يكفيك انك لا تقر هجوعاً
وتبكي بكاء الناس في ارزائهم	من ترتجيه العالمون شفيحاً
بل لو طحنت أسي بارحية الفنا	جسمي وفارقت الحياة مطيماً
وصككت رأسي باليدين ترحقاً	حتى يكون العظم منه صليماً
ولدمت وجهي حيث انثر لحمه	حتى يكون من الشوى منزوعاً
أو أن نارا في الفؤاد حقيقة	وجوانحي فيها احترقن جميعاً
لم أقض حق رزية حطمت من	الزهراء بواعية الحسين ضلوعاً

الله هذا ابن النبي لعظمه
يقضي بضاحية الهجير بكريلاء
فيكون مائدة لساغبة الطبي

جبريل هز المهدي فيه رضيعا
ظام ومطوي الحشاشة جوعا
والسمر تكرع من حشاه نجيعا

ما للمواضي وزعت من جسمه
ولطالما أعطى حدود شفوره
والسمر تفرس في مشاه ويغتدي
عجبا لمن قد كان نوراً محدقاً
ومن ارتبي طفلا بحجر محمد
يغدو غذاء المرهفات وبعد ذا
فتعج أملاك السماء لموته
اليوم حق محمد في آله
اليوم قد قتلوا النبي وغادروا الـ
اليوم منه أمية في كربلا
اليوم دحرجت الدباب وأظهرت
اليوم من هي عن أسامة خلفت
اليوم من اسقاط فاطم محسنا
اليوم جردت... سيفها
عجبا يموت ظما وكم قد فجرت

لحم النبوة في الوغى توزيعا
من كان عن شفراتهن شسوعا
بدم الامامة عرسهن مريعا
بالعرش يغدو من التراب صريعا
حتى اغتدى وحي الإله رضيعاً
منه ترض الصافنات ضلوعا
اليوم مات الانبياء جميعا
ما بين ناكثة العهود أضيعا
إسلام بيكي تاكلا مفجوعا
كالت له في صاع بدر صاعا
بالطف كامن خطبهن شنيعا
قادت إلى حرب الحسين جموعا
سقط الحسين عن الجواد صريعا
فغدا به رأس الحسين قطيعا
كفاه من صلد الصفا ينبوعا(1)

الشيخ أحمد آل طعان

تقلبت بلاد البحرين بين حكومات مختلفة الالهواء، وخضعت لظروف سياسية متقلبة الأطوار، فمن حكومات أموية إلى عباسية حتى عثمانية تخللتها دويلات شيعية لم تصمد أمام التنافس السياسي على هذه البلاد الطيبة في الخيرات. تركت هذه التشكيلات السياسية مسحة ثقافية على أهل هذه البلاد تنزع إلى الخوض في ممارسات فكرية مقارنة تنتهي أكثر الاحيان لصالح مذهب آل البيت (عليهم السلام)، وهكذا صار أهلها، تعتركهم الظروف السياسية

القاهرة لتهمز فيهم روح الخنوع، ويتمردون على ما اعتاده غيرهم من الخضوع لهوى الحاكم ونزعتة، لذا فان ما أرهقتهم من تقلبات السياسة الحاكمة لبلادهم صقلتهم لتُخرج منهم أمة ولاء قد اتخذت مذهب آل البيت (عليهم السلام) ديناً لهم، ولعل ما أصابهم من حيف الجائرين أقحمهم في الخوض للبحث عن البديل الذي اختلط من بين بدائل مذهبية حاكمة، فكان مذهب آل البيت (عليهم السلام) هو المرشح الأقوى الذي يفوز في جولة الاختيار أخيراً.

لذا فان أهل البحرين قد تركوا آثارهم على الخارطة الفكرية الإسلامية لتتخص بعد ذلك بلاد البحرين من حواضر العالم الإسلامي ومعامل التشيع والولاء.

شهدت البحرين حركة فكرية علمية كانت نتاج الصراع الفكري السياي الذي أحدثته التقلبات السياسية، وشكل الشيعة التركيبية الجدلية المهمة التي أمسكت بيدها زمام الغلبة في مجال النشاط المذهبي التبليغي، فان حاضرة البحرين الإسلامية احتضنت تشكيلات اسلامية علمية من مختلف المذاهب، وكان للشيعة الدور الأهم في بناء حاضرة البحرين الثقافية، فبرز علماء أفذاذ وازدهرت معاهد البحرين الثقافية وشاعت منندياتها الأدبية، تُعقد في ربوعها المحافل، لتُخرج بمدارس متميزة خاصة.

كانت هذه المدارس الأدبية نشطة جداً في مجال الدفاع عن مسلمات المذهب الامامي، وأحس الشاعر البحراني أن مهمته هو التصدي لكل ما ألقى من شبهات فكرية عقائدية، وجعل غرض القصيدة هو الدفاع عن حقوق آل البيت، ومظلوميتهم، بأي لون من ألوان الأدب سواء كان بالرثاء

أو المديح أو أي غرض أدبي يتعهدُ بايصالِ القضية إلى أوساط الأمة، وكانت من أهم القضايا التي التزمها الأديب البحراني هو اثبات مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) والتأكيد على واقعة الاسقاط، لذا فانك لا تجد رثاءً بحرانياً إلا وفيه قضية الزهراء (عليها السلام) لتحتل من القصيدة مقدمتها أو لتكون من المقطوعة الأدبية الاستدلالية نتیجتها. ولعل الشيخ أحمد آل طعان شكّل تراثاً بحرانياً رائعاً في هذا المجال، فكانت القصيدة العربية قد أرفدت بابداعات الشيخ آل طعان، وتعهدت القصيدة البحرانية التي قدّمها آل طعان بقضية آل البيت (عليهم السلام) وكانت مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) قد شكّلت تركيبة هذه القضية في قصيدته.

كان الشيخ(1) أحمد ابن العالم العامل الزاهد الشيخ صالح بن طعان بن ناصر بن علي الستري البحراني "رحمه الله" خلاصة علماء البحرين الأخيار وبقية فقهاء البرار، جامعاً لكلمات، ومحاسن الصفات والحالات، في مكان مكين من الورع والتقوى والتمسك بالعروة الوثقى.. لم أر في العلماء ممن رأيناهم على كثرتهم في الجامعة للكلمات مثله. حضر عند الشيخ الاعظم الانصاري، والفقيه الشيخ راضي النجفي، والفقيه الشيخ محمد حسين والزاهد العابد الشيخ ملا علي ابن الميرزا خليل الطهراني النجفي له مصنفات كثيرة منها: زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدثين، ورسالة: قرّة العين في حكم الجهر بالبسملة والتسبيح في الأخيرتين، وله كتاب: سلّم

1- راجع في ترجمته أنوار البدرين: 252.

الوصول إلى علم الأصول، وكتاب: ازالة السجف عن موانع الصرف، وله كتب كثيرة.

[58] فمن أشعاره في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام):

قالوا: امدحنَّ أمير النحل قلت لهم
لأن مدحي له فرع بمعرفتي
فان أصفه باوصاف الاناس أكن
وان أزد فوق هذا الوصف خفت بأن
فدع مديحي ومدح الناس كلهم
فكل من رام مدحاً فيه منحصر
لسانه عن يسير من مزاياه
مقصراً إذ جميع الخلق أشباه
آتيه مثل غلاة فيه قد تاهوا
والزم مديحاً له الرحمن أولاه

[59] ومن قصيدة له في رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) واسقاط محسنها، قوله:
فانهض امام العصر قد عظم البلا
وتلافنا قبل التلاف وثر على
ذبحوا الحسين على ظما رفعوا الكريم
وعظيم بعدك قلبنا قد أمرضا
أهل الخلاف بمثل ما منهم مضى
على قناً والصدر منه رضضا

ذبحوا الرضيع وللحرائر قد سبوا
قادوا الإمام أبا الأئمة صاغراً
يا سيدي ضاق الخناق متى أرى
صلى الإله عليكم ما ذركم
سبؤكم فعلوا الذي لا يرتضى
وجنين فاطم أمكم قد أجهضا
لجباد خيلك في دماهم مركضا
قد طبق الاكوان أو أرضاً أضاً(1)

[60] وله هذه القصيدة في رثاء آل البيت (عليهم السلام)

يا حبذا عترة بدؤا الوجود بهم
من مثلهم ورسول الله فاتحهم
فمن تولى سواهم انهم ندموا
فما لتيمهم تمت شقاوتها
وهكذا بهم ينها ويختتم
وسبطه العقد والمهدي حتمهم
إذ في الممات على ما قدموا قدموا
أهل لها قدم في المجد أو قدموا
تعد من خلفاء الله ويحكم
يدعى خليف أبيها بنسما حكما
وهل عدي عدتها كل منجية
أمسقط البضعة الزهراء وغاصبها

وهل أمية لا أمت بمغفرة
تنوش عذب ذبول للهدى سدلت
فيا لها امرة رام الطغاة بها
حتى امتطا واسع الأعضاج كاهلها
وسن سب امام الحق معتدياً
ولا نحت سومها من رحمة ربهم
من الإله لها الاملاك تحترم
ما ليس تبلغها حقاً سهامهم
فأصبح الحق فيهم وهو مهتمضم
وشب حرباً له شابت به اللمم

1- انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين للشيخ علي البلادي
البحراني: 259 مطبعة النعمان النجف 1377 هـ.

ونصها وهو لص في يزيد فلم
فجل الكون من تل الحسين بما
فكم بطيبة فض المحصنات وكم
وكم قصيرة خدر للرسول غدت
أزفها ترقب الانضاء خدمتها
وسامها الخسف أهني شربها نغص
وألبيس السيد السجاد ثوب أسي
إلى أن أعتصبت بالسم مهجته
وباقر العلم من سم ابنه كسفت
وهكذا لم تنزل آل النبي لهم
كم أوحشوا مسجد منهم وكم أنست
ولا كمثل بني العباس لا رقبوا
ولا حمية إسلام ولا عرب
بل يكفهم غصبهم حقاً به شهدت
جنوا بمثل الذي تجني أمية بل
سم الرشيد لموسى في السجون كما
يزد بها منه غير النقص والعدم
لم يقض من حقه العالم الجمم
أريق للمصطفى في كربلاء دم
قصيرة الحزن لم تقصر لهانهم
والشمس لاحدم عنها ولا خيم
على الشهيد وأدنى سيرها رسم
تبلى الجبال ولا تبلى له لحم
من الوليد عليه اللعن يرتكم
ذكى بكاه الذي تحي به الأمم
أغراض جور بها أعراضهم هدموا
بهم سجون بها الإسلام ينزغم
إلاً ولا ذمة بل رحمهم جذموا
رعوا ولا من رسول الله قريمهم
به ثقات لهم عن جورهم كرموا
على طنائيرهم زادت لهم نغم
سم الرضا غيلة مأمونه الأثم(1)

1- وفاة الإمام الرضا (عليه السلام) الشيخ أحمد آل طعان القديحي القطيفي المطبعة
الحيدرية النجف.

السيد حيدر الحلبي(1)

هو أبو الحسين، حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد الحلبي، يرجع نسبه إلى زيد ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين (عليهم السلام) ولد في الحلة يوم 15 شعبان من عام 1246 هـ ونشأ بها يتيماً، فقد مات أبوه وهو طفل صغير فتولى تربيته عمه السيد مهدي السيد داود

1- اكتفينا في نقل مقدمة ديوان السيد حيدر الحلبي التي سجلها المرحوم الاستاذ على الخاقاني، واثبتناها ترجمة وافية لحياة سيد الشعراء - السيد حيدر الحلبي - وقد أخذنا منها موضع الحاجة.

على أرقى الاساليب التربوية وتعهده كما يتعهد أحد أولاده، لذا ترى هذا العطف يبدو عليه في الحزن الذي شمله والذي أعرب عنه في رثائه لعمه هذا بقوله:

أظبا الردى انصلتي وهاك وريدي ذهب الزمان بعدتي وعديدي
ولعل التحدث عن شاعرية السيد حيدر في غنى عن البسط والتحليل بالنظر لما عرفه
الادباء وغيرهم.

حقاً أن السيد حيدر شاعر مجلّي في كافة الحلبات، فقد كان يشعر بالزعامة الأدبية رغم منافسة أعلام الشعر في النجف له وملاكمتهم اياه، ولعل القصة التي ذكرت غير مرة وهي: عندما رثى العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني بقصيدته المعروفة:

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا
وسكوت أدباء النجف عن الاستعادة والاستجادة لها دفعه أن يثور ثورته التي خاطب بها
الأديب الكبير الشيخ محسن الخضري بقوله: إذا كان في المجلس من أعتب عليه لصمته
وتغافله عن أداء حق هذه المرثية فهو أنت. فلم يبق للشيخ الخضري إلا أن أجابه بقوله:
ميزنتي بالعتب بين معاشر سمعوا وماحيّ سواي بسامع

وأمتي وتقول مالك لا تعي

أخرستني وتقول مالك صامتاً

أن السيد حيدر أديب قرأ الكثير من شعر العرب وحفظ المجلدات من

الصفحة
335

أخبارهم وتتبع الفصيح من أقوالهم، والمأثور من كلامهم والبديع من صناعتهم. لذا تراه في شعره فصيح المفردات، قوي التركيب، بديع الصنعة، وقل أن تشاهد شاعراً متأخراً سلم من المعاييب كما وقع له. يصطاد اللفظ الرقيق ويفرقه بمعنى أرق منه دون أن تجد نبوة أو حشوة.

عُرف السيد حيدر . كما تناقلت الرواة أخباره . أنه موتور لم يهدأ في كل عام يمر عليه دون أن يسجل فيه مثالب قاتلي جده الإمام الحسين (عليه السلام) ومنتهكي حرمة بأنواع من القول تعدت إلى ما وراء التصور، واليك بعض مرثياته الرائعة:

عجباً للعيون لم تغد بيضاً	لمصاب تحمر فيه الدموع
وأسّ شابت الليالي عليه	وهو للحشر في القلوب رضيع
أين ما طارت النفوس شعاعاً	ولطير الردى عليه وقوع
فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً	أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموع فرداً ولكن	كل عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن	مهرها الموت والخضاب النجيع

إذن لا بدع إذا كان أمير الشعراء أحمد شوقي مفتوناً بشعر هذا العميد حينما اجتمع به أحد طلاب البعثة العراقية في طريقه إلى السوربون، فقال له أقرأ لي شعراً فراتياً فقرأ له من شعر بعض الشعراء المعاصرين فقال له لا، قرأ:

عثر الدهر ويرجو أن يقالا
تربت كفك من راج محالا

الصفحة
336

إلى آخر القصيدة:

ومن روائعه قوله:

يلقي الكتيبة مفرداً
وبهامها اعتصمت مخا
فتقر دامية الجراح
وتسترت منه حياءً في
فة بأسه بيضُ الصفاح
حيث لم يسبقه من المتقدمين والمتأخرين قوله: وتسترت منه حياءً في الحشا سمر
الحشا سمر الرماح
الرماح، وقوله:

مشى الدهر يوم الطف أعمى فلم يدع
وقوله:
عماداً لها إلا وفيه تعثرا

وخائضين غمار الموت طافحة
مشوا إلى الحرب مشي الضاريات لها
أمواجهها البيض بالهجمات تلتطم
فالحرب تعلم إن ماتوا بها فلقد
فصافحوا الموت فيها والقنا أجمُ
قومي الألى عقدوا قدماً مآزرهم
ماتت بها منهم الاسياف لا الهمم
على الحمية ما ضيموا ولا اهتضموا

عهدي بهم قصر الأعمار شأنهم
وقوله كذلك:
لا يهرمون وللهبابة الهوم
متنافسين على المنية بينهم
فكأنما هي غادة مغطار
سمة العبيد من الخشوع عليهم
لله أن ضمتهم الأسحار
وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم
ومن هنا شعر السيد الحلي بالزعامة الأدبية والتفوق على شعراء عصره فكثيراً ما تراه
يصرّح بذلك في رسائله وشعره وأحاديثه وخاصة عندما يحتدم غيظاً. فمن ذلك قوله: من
رسالته إلى العلامة الميرزا اصالح القزويني:

فلقد علم هذا العصر، أني لسانه الذي انتهت إليه مقالة الشعر. ومن قوله:
وأنا الذي لم يسخ بي أحد
فأنا لسان والزمان فم
إلا غدا ونديمه الندم
وإذا اهتزرت لمده ذك كرم

أما منزلته الاجتماعية، فقد تسالم الشيوخ والمعمرون بنقلهم على أن السيد حيدر كان من الشخصيات المرموقة ذات الحول والطول والشأن

والرفعة، قد خلص من شائبة النقد، وترفع عن أن ينال بسوء، لما اتصف به من مزايا وصفات رفعته في عيون الاعلام من معاصريه ولعل الذي لم يتوغل في دراسة عصره الاجتماعي لا يتصور خطورة الشاعر وما حباه الله من حيثية ومكانة، فقد احترمه الزعيم الديني والسياسي والقبلي في آن واحد وأحبه الاعيان والوجوه لأنه من بيت عريق عتيق بالنسب والقدسية..

وبكفي شاهد واحد هو احترام الزعيم الديني العام له إذ ذاك وهو الإمام السيد ميرزا حسن الشيرازي فقد كان يستدعيه إلى سامراء ليستمتع إلى شعره ويتلذذ بمجلسه وقصة واحدة تعطينا صورة سامية عن مقامه الرفيع أثبتها . الاستاذ علي الخقاني . على عهدة العلامة المعاصر الشيخ محمد علي الاورد بادي فقد قال: حدثني الحجة السيد الميرزا علي أغا نجل الإمام الشيرازي قال: عندما هنيء السيد حيدر والدي بقصيدته الهمزية رأى أن يكرم الشاعر بعشرين ليرة فاستشار ابن عمه العلامة السيد ميرزا اسماعيل الشيرازي في ذلك فأبى وقال لابن عمه الإمام: ما قولك في دعبل والكميت ومنزلتهما عند الإمام الصادق (عليه السلام) فهل هما أفضل أم السيد حيدر وهو ابن رسول الله؟ فقال أنه لأفضل منهما، قال اذن يجب أن تكرمه بأقصى ما تشعر من أنواع التكريم، فلم يبق للإمام الشيرازي دون أن صحب معه مائة ليرة وذهب لزيارته وعندما دخل عليه تناول يد شاعرنا فقبلها بعد امتناع شديد. فهذه القصة لو لم يكن الرواة لها ثقة لامتنع السمع من قبولها لأن الإمام الشيرازي عرف سيرته القاصي والداني أن الملوك والسلاطين كانت تزوره

وتخضع له احتراماً لمقامه الديني . وكان العلامة الكبير السيد مهدي القزويني يجلسه إلى جنبه ويقدم له اعجابه وإكباره وكان ناديه حافلا بالادباء والشعراء والمعوزين لشعوره بمكانته وزعامته وتراه إذا دخل نادياً

أو محفلاً يقوم له، اجلالاً كل من فيه سواء كان عالماً أو حاكماً أو وجيهاً، وكثيراً ما كان يتعهده الوالي مدحت باشا بالسؤال عن صحته والاستفسار عنها.

أما أثاره الادبية، فقد خلف السيد أربعة كتب أدبية هي:

1 . ديوان شعره المسمى بـ"الدر اليتيم".

2 . العقد المفصل.

3 . دمية القصر في شعراء العصر.

4 . الاشجان في مرآتي خير انسان.

* * *

[61] قال السيد حيدر الحلي في رثائه للإمام الحسين (عليه السلام) ثم يخلص إلى مصاب الزهراء (عليها السلام) بقوله بعد أن يستنهض الإمام الحجة (عج)

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدهم فلا مشت بي في طُرُقِ العلا قدمُ

الصفحة

340

لابدٌ أن أتداوى بالقنا فلقد	صبرتُ حتى فؤادي كله ألمُ
عندي من العزم سرٌّ لا أبوح به	حتى تبوح به الهندية الخدم
لا أرضعت لي العلى ابناً صفو درَّتْها	إن هكذا ظل رمحي وهو منفظمُ
إليه بضبا قومي التي حَمِدت	قدماً مواقعها الهيجاء لا القمُ
لأحلبن ثديَّ الحرب وهي قنأ	لبائها من صدور الشوس وهو دمُ
مالي أسالم قوماً عندهم ترتي	لا سالمتي يدُ الايام أن سلموا
مَنْ حاملٌ لولي الأمر مالكة	تطوى على نفثات كلها ضرمُ
يابن الألى يقعدون الموت ان نهضت	بهم لدى الروع في وجه الضبا الهممُ
الخيال عندك ملَّتْها مرابطها	والبييض منها عرى أغمادها السأم

الصفحة

341

هذي الخدور لها الاعداء (1) هاتكةً وذو الجباه الا مشحودةً تسمُ

لا تطهر الأرض من رجسِ العدى أبداً
بحيث موضع كل منهم لك في
أعيز سيفك أن تصدى حديدته
قد أن أن يمطر الدنيا وساكنها
حران تدمع هام القوم صاعقة
نهضاً فمن بظباكم هامه فالقت
وتلك أنفالكم في الغاصبين لكم
جرائم أدنتهم أن تعاجلهم

1- العدا: شديد العدو.

مالم يسيل فوقها سيل الدم العرم
دماه تغسله الصمصامة الخدم
ولم تكن فيه تُجلى هذه الغم
دماً أغرَّ عليه النقع مرتكم
من كفه وهي السيف الذي علموا
ضرباً على الدين فيه اليوم يحتكم
مقسومةً وبعين الله تقنسم
بالانتقام مهلاً أنت منتقم

الصفحة
342

وإن أعجب شيء أن أبتكها
ما خلقت تعدد حتى تُستنار لهم
لم تُبق أسياهم منكم على ابن تقي
فلا وصفحك إن القوم ما صفحوا
فحمل أمك قدماً أسقطوا حنقاً
لا صبر أو تضع الهيجاء ما حملت
هذا المحرم قد وافتك صارخة
يملأن سمعك من أصوات ناعية
تتعى اليك دماءً غاب ناصرها

كأن قلبك خال وهو محتدم
وأنت أنت وهم فيما جنوه هم
فكيف تُبقي عليهم لا أباً لهم
ولا وحلمك إن القوم ما حلموا
وطفل جدك في سهم الردى فطموا
بطلقة معها ماء المخاض دم
مما استحلوا به أيامه الحرم
في مسمع الدهر من اعوالها صمم
حتى أريقت ولم يرفع لكم علم

الصفحة
343

مسفوحة لم تجب عند استغاثها

إلا بأدمع تكلى شقها الألم

من نحرها نُصبَ عينيها الضبا الخدم
حرى القلوب على ورد الردى ازدحموا
إلاّ الدماءُ وإلاّ الادمعُ السجْمُ
حتى قضوا ورداهم ملؤه كرم
امواجها البيضُ بالهاماتِ تلتنمُ
فصارعوا الموتَ فيها والقنا أُجمُ
صبراً بهيجاء لم تثبت لها قدمُ
ماتت بها منهم الاسياف لا الهمم

حنت وبين يديها فتيةً شربت
موسدين على الرمضاء تنظرهم
سقياً لثاوين لم تبلل مضاجعهم
أفناهمُ صبرهم تحت الضبا كرمأ
وخائضين غمار الموت طافحةً
مشوا إلى الحرب مشي الضاريات لها
ولا غضاضة يوم الطف ان قُتلوا
فالحرب تعلم إن ماتوا بها فلقد

رؤسها لم تكفكف عزمها اللجمُ
في حدها هو والارواح يختصمُ
رُعباً غداة عليها خدرها هجموا
سرادقاً أرضه من عزم حرمُ
ولم تكن بغبار الموت تلتنم
عن موقف هتكت نهايه الحرم
بالبيضُ تنلّمُ أو بالسمر تتحطم
وانتِ من رقدة تحت الثرى رمم

أبليهم لعوادي الخيل أن ركبت
وللسيوف إذا الموت الزوام غدا
وحائرات أطار القوم أعينها
كانت بحيث عليها قومها ضربت
إلى أن يقول في ختام مقطوعته الرائعة:
تُسبى حرائرها بالطف حاسرةً
لمن أعدت عناقُ الخيل أن قعدت
فما اعتذارك يا فهر ولم تثبي
أجل نساؤك قد هزتك عاتبةً

فما غناؤك حالت دونك الرحم(1)
وما كلُ واد جُزت فيه المعرّفُ

فلتفت الجيدَ عنك اليوم خانيةً
[62] وله قصيدة يقول في مطلعها:
على كل واد دمعُ عينيك ينطفُ

إلى أن يقول:

فله من خطب له كل مهجة
وأقسم ما سن الضلال سوى الألى
فيوم غدوا بغياً على دار فاطم
وقتل ابنها من يوم رقت ضلوعها
ومن يوم قادوا حيدر الطهر قد غدوا
يحق من الوجد المبرح تتلف
على أمة المختار بغياً تخلفوا
أنت جندهم بالغازية تزحف
ومن هتكها هتك الفواطم يُعرف
بهن أسارى شأنهن التلهف⁽²⁾

1- ديوان السيد حيدر الحلبي 1: 103.
2- المصدر نفسه: 92.

الصفحة
346

الصفحة
347

الشيخ جواد الحلبي

لم تستقل المدرسة الحلية الأدبية عن النجف العلمية، بل ظلت النجف صاحبة الحوزة ومقر المرجعية، تُهيمن بعباءاتها على المدارس الأخرى، وظلت المدرسة الحلية وفيّة في التزاماتها التي تمليها عليها أدبيات الطائفة من الرجوع إلى قيادة المرجعية الدينية والسياسية، وبقيت العلاقة الروحية بين الحاضرتين العلميتين، حتى بعد توهج حاضرة الشيخ الطوسي التي دامت حوزته الى هذا اليوم، وأقول حاضرة الحلبيين لظروف سياسية قاهرة. فعلماء الحاضرة النجفية كانوا يقومون برحلاتهم العلمية إلى حيث

الصفحة
348

الحلة الأدبية، فيلقون فيها الدروس والاحكام، ويعيدون أيام الحلبيين والطاوسيين هناك، يوم كانت الحلة قد قامت على أمجاد هؤلاء، وكان فضلاء الحلة وأدبائها يرتحلون إلى الوادي المقدس فينتهلون من فيض علي الأقدس، ويرجعون إلى معقلهم الأدبي فيؤسسون

مدارسهم العلمية و يقيمون محافلهم الأدبية، وكأنها امتداد فيض يفيض به الوادي المقدس على الري الفيحائية.

هكذا كان الشيخ جواد الحلي، عينةً تمثل حال الأدباء الحليين، رحل إلى النجف لينتهل من علومها، وعاد إلى الحلة ليقتبس من آدابها، فكانت حياته رحلة علمية دائمة، حتى حط رحال عمره في تلك البقعة التي فتح عليها عينيه أولاً.

أزخه صاحب البابليات بقوله: وكانت ولادته ونشأته في ذلك البلد الطيب . الحلة . الذي عرفت تربته بنتمية الشعور ، وتربية القرائح الأدبية، وحين رأى أبوه استعداده الطبيعي لنيل الفضل والأدب، ألزمه بالهجرة إلى النجف وهو ابن خمسة عشر عاماً لطلب العلم والدراسة فسكن المدرسة (المهدية)نسبة إلى مؤسسها العلامة الشيخ مهدي بن الشيخ علي كاشف الغطاء . تجاه مسجدالطوسي ومكث فيها مدة حياته الدراسية كطالب ديني مهاجر وحضى بقسط وافر من الفضل والأدب وهو لم ينقطع بين أونة وأخرى على التردد إلى بلده وقد اجتمعت به مراراً يوم كنت مقيماً في الحلة فرأيتة ذا فضل جم وأدب بارع حتى إذا كانت سنة 1334 قـم الفيحاء جرياً على عادته وعاداته، فمرض مرضاً ألزمه الفراش مدة أيام وتوفي بها آخر ذي الحجة من السنة المذكورة وحمل حيثما منه إلى النجف

الأشرف وعمره يوم وفاته يقارب الخمسين سنة...)(1).

نهج الشاعر ما انتهجه أسلافه من الأدباء، وأقرانه من الشعراء، وخصص شعره في مدح ورثاء آل البيت (عليهم السلام)، وأكد في مرثياته ظلامه الزهراء (عليها السلام)، وأكد من خلالها اسقاط المحسن بن عليوما لقيته من فجائع ومحن.

* * *

[63] قال في احدي مقطوعاته:

من شامخات المجد دك رعانها	خطب أطاش من الوري أذهانها
في يوم قد غصب الخلافة من له	ألقت برغم الحاسدين عنانها
عجباً لفهر كيف قر قرارها	أم كيف تكحل بالكرى أجفانها
هذي بنو تيم بفقد محمد	سلبت أطائب آله سلطانها
وعلى الضلال تراحمت مذ أعرضت	عمن يتم ولائه ايمانها

ولنقض بيعته وعقد لوائه
وعدت عدي في الأنام فأبرزت

خفت فخفف وزرها ميزانها
من لؤم عنصرها له أضغانها

1- البابليات. الشيخ محمد علي اليعقوبي 3: 205.

الصفحة
350

مذ خالفته وحالفت أوثانها
من بعد فرض مودة شنائها
أبدت لتقطع عذرم برهانها
تلقى الرواسي لم تطق لقيانها
كسر الضلوع وهضمها حرمانها
الهادي ولكن لم تجد أعوانها
قبر فمنهم شاهدت خذلانها
عهد النبي وحاولوا هجر(1)أنها

ما آمنت بالله لمحة ناظر
تركت ذوي القربي تكابد منهم
غصبوا البتول تراثها من بعدما
لقيت خطوباً منهم لو بعضها
لطماً واسقاطاً وضرباً مدمياً
وغدت تشكي الظلم منهم بضعة
لا بل في ماء الجيا من قينة
بعداً لهم نقضوا الذمام وضيعوا

1- رياض المدح والثناء للشيخ حسين البلادي: 494.

الصفحة
351

الشيخ محمود سبتي

إذا كانت النهضة العلمية النجفية قد ازدهرت بعلمائها، فإن شبابها قد شكّلوا منعطفاً في حركة التجديد العلمي والابداع الأدبي، واستطاعت أن تتجب تشكيلة علمية من شباب الحوزة الفضلاء، ونخبة رائعة من ناشئتها الأدباء، وحاولت هذه النخبة الفاضلة أن تحاكي أسلافها من أهل العلم وفحول الأدب، وقدمت مشاريع تجديدية في هذا المضمار مع الاحتفاظ على الأصول الموروثة التي ألقاها رواد النهضة الى الناشئة، وحاول الشباب النجفي أن يشكّل مدارس فكرية تنطلق منها طروحات الدفاع عن حياض

المذهب الأمامي، وأن تقدّم نظرياتها من أجل النهوض بالأمة التي تواجه التيارات الفكرية المناهضة لدينها ومقدساتها. هكذا عرفت الحوزة النجفية بتشكيلاتها الشابّة، وشهد الابداع الأدبي أثر هذه التشكيلات على المنحى التجديدي الذي خاضته هذه التشكيلات وكان للشيخ محمود سبتي . نموذج هذه النهضة التشكيلية الجديدة . أثره الواضح في هذه الحركة المناهضة بطموح الشباب الحوزوي والذي قدّم أدباً رائعاً حاكى فيه فحول الأدب وعظمائهم، فجاءت مقطوعته الشعرية على نسق ابداعات امراء الأدب الرثائي،الذين قدّموا روائعهم في مجال الرثاء لآل البيت (عليهم السلام).

إن فن التخميس الذي اشتهر به أدباء المدرسة الامامية، كان انطلاقاً من الحرص على إحياء أمر شاعر عُرف بتاريخه العلمي وفضله الأدبي، أو تثميناً للغرض الذي قدّمته المقطوعة الأدبية، فيرى الشاعر مجارة القصيدة التي يحتاج إليها الغرض الشعري إعادة تجديدية لدواعي الشاعر ومقتضيات القصيدة. حاول الشيخ محمود سبتي مجارة الشيخ صالح الكواز المعروف برثائياته الفاطمية، وأبدع في تجديده للغرض الرثائي، وحاول اضافة مشاركته للاعمال العملاقة التي قدّمها رواد مدرسة الرثاء الفاطمي.

أرخه صاحب شعراء الغري بقوله:(1)

"هو محمود بن الشيخ كاظم بن حسن بن علي بن سبتي السهلاني،

1- شعراء الغري: 11 : 197.

خطيب أديب.

ولد في بغداد سنة 1311 هـ عندما كان أبوه يقيم هناك، وشب على توجيه والده في قراءة رثاء الامام الحسين (عليه السلام) كمقدمة له فكان من ألمع الشباب الموهوبين، جمال في الصورة، صوت رخم حدة في الذكاء قوة في الحافظة، يقطر رقة ولطفاً، أحبه الناس

وأقبلوا على استماع روايته بصورة عجيبة، واستطاع أن يأخذ بمجامع القلوب ويستعمر
الأسماع وتفنن بالالحن العربية والفارسية في عرض الشعر .
توفي المترجم له وهو شاب في النجف سنة 1336 هـ، وكانت ولادته 1311 هـ فيكون
عمره حين وفاته خمسة وعشرين ربيعاً .

* * *

[64] قال في تخميسة لقصيدة الشيخ صالح الكواز :

كم في سويدا قلبها من غلة ويجسمها نشبت مخالبا علة
لم أنس إذ بكت النبي بعولة ورننت الى القبر الشريف بمقلة
عبرى وقلب مكمد محزون
وسياط قنفض أثرت في جنبها وسماء مقلتها تدر بسحبها
حتى إذا احتتك الجوى في لبها قالت وأطفار المصاب بقلبها
غوثة قل على العداة معيني

وبقلبها وجد ثوى فأقله
شم الرواسي لا تطيق نقله
فدعت ومدمعها تدفق سيله
أبتاه هذا السامري وعجله

تبعنا ومال الناس عن هارون

ويل لقوم حاربوا ابنة أحمد
هتكوا حماها قبل دفن محمد
فغدت تناديه بقلب مكمد
أي الرزايا أتقي بتجلد

هو في النوائب مذ حبيبت قريني

وجدي تناهى ليس وجد فوقه
وشجاي أبعد عن لساني نطقه
أي الخطوب أقله إن أقله
فقدي أبي أم غصب بعلي حقه

أم كسر ضلعي أم سقوط جنيني

ياليتني قدمت قبل منيتي
أوانني أُلحِدت قبل مذلتني
أي الخطوب له أنوح أدلتي؟
أم أخذهم إرثي وفاضل نحتني

أم جهلهم حقي وقد عرفوني

الحاج مهدي الفلوجي الحلبي

بقدر ما شهد أواخر القرن الثالث عشر نهوضاً أدبياً، شهد في الوقت نفسه ابداعاً فنياً يُقدّم الاغراض الأدبية في القصيدة الواحدة، وبلغ العمل الفني أوجهُ الابداعي حين عبّر الشاعر عن القضية التاريخية وسجّل تقييمه للحدث الإسلامي من خلال عمل أدبي متناسق.

استطاع الشاعر الشيعي أن يوجد ثنائية تاريخية لا تنفك عن غرضه الأدبي، وتميّز الشاعر الحلبي بأن يجعل من قصيدته ثنائية تربط الوحدات التاريخية ليقدم نسيجاً متكاملًا يتكفل ربط الاحداث التاريخية المتناثرة

بسبب المشروع التاريخي السياسي الذي حاول التفكيك بين قضية وأخرى، فُبعد عن الأذهان مثلاً محاولات الربط بين فاجعة كربلاء وبين المأساة الفاطمية، واستطاع الأدب الشيعي أن يقدم مشروعاً أولياً في محاولة الربط هذه، إلا أن الشاعر الحلي نجح إلى حد كبير في كسر الطوق الفكري الذي فرضه المشروع التثقيفي الحاكم من فصل القضيتين ومحاولة تغييب أحدهما عن الأخرى.

إن محاولات الابداع الأدبي تنطلق من الحاجة الملحة في التعبير عن حقيقتين: الأولى: التعبير عن الواقع ونقله بأمانة وموضوعية.

الثانية: محاولة التعبير عن خلجات الشاعر ووجدانياته فضلاً عن الهواجس التي تُحدثها الواقعة.

فاذا نجح الشاعر في المزوجة بين هاتين الحقيقتين ظهرت ملامح الابداع على أعماله الفنية، واستطاع أن يخترق كل القيود المصطنعة التي يخلقها الظرف الاستثنائي المحيط بالشاعر سواء القادم من بعيد أو القريب منه ليحيطه به في كل حين. كان الشاعر الحاج مهدي الفلوجي من رواد هذه المدرسة التي استطاعت أن تجر الأحداث الإسلامية لتربطها بعضها ببعض الآخر، فمحاولته الرائعة في الربط بين كربلاء الفاجعة والحدث الفاطمي نموذجاً لحقبة أدبية حرص على ايجادها شعراء الشيعة في كل عصر.

وإذا كان الشاعر مهدي الفلوجي هو بقية مدرسة الكوازين . حمادي

الكواز وصالح الكواز . وامتداداً لمدرسة السيد حيدر الحلي، فلا غرو أن يُدع في تقديم الحدث الحسيني على أنه الحدث الفاطمي الذي أنجبه وجر بسببه أحداث لمآسي اسلامية أخرى.

فاسقاط المحسن، واضرام النار، وقود علي بحمائل سيفه لأخذ البيعة قسراً، أنتج فيما بعد قتل الحسين واضرام النار في رجال آل الرسول وقودهم أسرى من بلد الى بلد. هذا ما

استطاع أن يقدمه الشاعر الحلبي في قصيدته الثنائية التي جمعت بين واقعتين، وهي أروع ما عبر عنه الشاعر من وجدانيات وخلجات فضلاً عن تسجيل للواقع الإسلامي المعذب. ولد الحاج مهدي الفلوجي سنة 1282 هـ (1) في الحلة الفيحاء، وتخرج في الأدب على الشاعر الكبير الشيخ حمادي نوح، وسار سيرته يقرظ الشعر ووعى الشيء الكثير من أشعار العرب القدامى.

توفي سنة 1357 تاركاً خلفه تراثاً أدبياً ثراً.

1- راجع ترجمته في البابليات 4: 122.

[65] قال في الإمام الحسين (عليه السلام) والسيدة الزهراء (عليها السلام) مقطوعته الرائعة التي جاء فيها:

هي دنياً ولفنا منتهاها	لعب جدها وواه قواها
انما هذه الانام نيام	سترى بعد أن تموت انتباها
هي دار جوامع الضد فيها	صبحها مضحك ومبك مساها
بدء الله خلقه فابتلاهم	فتناً أظهر الكتاب خفاها
هي ام النجدين رشدٌ وتيةٌ	سلك المهتدون نهج هداها
حفظوا عترة النبي بيوم	سفكت عترة الضلال دماها
يوم قد سَعَر الحرب ابن حرب	بجموع قد سد فيها فضاها
واحاطوا على الاطائب ممن	اكمل الله دينه بولاها
فاستثارت من الخيام رجال	كبدور تطالعت من سماها
كشفوا ليل نفعها بسيوف	برق الموت تحت ومض شباها
يلبسون الدروع وهي قلوب	محكمات العرى بيوم لقاها
ثبتت للجلاد وهي هضاب	يا لتلك الهضاب ما أرساها
شكرت صنعها الوغى أفتدى	من شكرت صنعها الجميل وغاها
أرخصت أنفساً على الدين	عزت يالتلك النفوس ما أغلاها

بوركت أرض كربلا فهي أرض

تربة قدست بآل علي

بأبي المحرمين عجت إلى الله

قدّمت هديها وهن نفوس

تركنتها سيوف ابناء حرب

مذ تعرت عن المخيط بروداً

برزت للطواف دون بيوت

يا حمى الحجر والحجون اغتبقها

هذه أنجم الهداية غابت

فلو أن البكاء يجدي عليهم

أوجه في الصعيد تشرق نوراً

حفظ الدين فادياً أي نفس

ترك الجمع كالسوام شروداً

عرقت فيه نخوة من أبيه

لم يظأ طرفه ضحى الحرب إلاّ

راجزاً فيهم أنا ابن مقيم

ملك الماء ظامياً لم يرده

تتمنى الافلاك لثم ثراها

طهرت يوم صرعوا بفناها

بأهلها قود لقائها

يالتلك النفوس ما أهداها

في (منى) كربلا أضاحي مناها

خلع الدين بردها فكساها

شرف الله بيته بحماها

وقعة فجر الصخور شجاها

بعدهما أشرق الوجود سناها

نثرت زهرها السماء ببيكاها

وأبو الفضل فيهم اسناها

ود جبريل أن يكون فداها

وهو ذو لبدة يكر وراها

وكذا الأسد تقنتي أبها

قنن الهام منهم والجباها

أود الدين فاستقام بناها

بمواساته الحياة سلاها

فعلى الدين عز قطع يدي من

وهوى بالعمود منه عماد

حوزة الدين في يديه حماها

بعده نكست لوي لواها

ونضى السيف بعده ابن أبيه
هو سر الآله سبط نبي
وهو الخيرة التي جهلتها
إن لله حكمة فيه يغدو
أدركت ثارها أمية منه
حرمت ماءها المباح عليه
أوطأته سنايك الخيل عدواً
سود الله بالعراق وجوهاً
قتلت خيرة الانام حسيناً
أسفر الصبح عن دجى ليل وهم
طمعوا بالحياة وهي متاع
ظهر الانقلاب منهم بفقد
وبقاع الغدير في يوم خم
غصبوا نحلة البتول عناداً
انما نارها التي أضرموها

وهو فيه لولا القضا أفناها
ختم الله باسمه انبيائها
فئة الغي والآله ارتضاها
ثاويماً طعم سمرها رضاها
وشفت فيه حقدتها طلقاها
بعدهما أورد السيوف دماها
بعدهما أوطأ الخيول طلاها
قتلت خير من يريد هداها
بضبا ألعن الورى أشقاها
ان تلك الارجاس من أولاهها
بئس ما قدموا ليوم جزاهها
المصطفى والنصوص شقوا عصاهها
شهدت ان حيدرنا مولاهها
واله السماء قد أولاهها
عند باب الزهراء ما أوراهها

اضرمت باطفوف منها خيام
دخلوا دار خدر من علموها
اسقطوها الجنين رضا وقادوا
من له في الحروب اعلام فخر
يوم بدر وخيبر وحنين
وبيوم الفتوح أسنى المعالي
كم له في المبيت ثم شعار

لبنى الوحي فاستمر سناها
إن في وحيه الآله حباها
من له الأمر لو يشاء محاها
عقدتها الافلاك فوق ذراها
هو مصباحها وقطب رحاها
حازها المرتضى وحاز سواها
فيه أملاكه المهيمن باهى

1- البابليات للشيخ محمد علي يعقوبي 4: 122 دار البيان للطباعة والنشر.

الصفحة
362

الصفحة
363

الشيخ كاظم آل نوح

لم تقتصر الحوزة العلمية على البلاد النجفية فقط، بل امتدت حركتها العلمية إلى البلدان المجاورة والحوضر العلمية الأخرى.

كانت الحوزة العلمية النجفية تمتد إلى البلدان العراقية وغيرها، وكانت الحاضرة الأدبية البغدادية ممن شملتها هذه الحركة العلمية التحقيقية فأثرت فيها من حيث المضمون الفكري الذي يمثله الشاعر في اطروحته الأدبية، بل وحتى اللون الفني الذي استخدمه الشاعر جاء متأثراً أيضاً بالفن الأدبي

الصفحة
364

النجفي الذي زحف على المدارس الأدبية الأخرى.

كانت مهمة الشيخ كاظم آل نوح في الكاظمية سفارة علمية تبعثها الحوزة العلمية آنذاك، وكان الشاعر يمثل عمق التوجهات الحوزوية في حاضرة أدبية تضم مدارس أدبية عدة "كبغداد" التي عرفت بجامعتها الأدبية فضلاً عن مدارسها العقائدية والفكرية والفلسفية، في خضم هذه النهضة برزت اطروحة الشيخ كاظم آل نوح الأدبية وهيمنت رثائياته الفاطمية على الغرض الأدبي الذي كانت تطرحه المدارس الأدبية الأخرى، فقد كانت أغراضها فنية أكثر من كونها أغراضاً فكريةً مسؤولة، وكانت أدبيات المدرسة الشعرية الامامية تسجل حضوراً عقائدياً فكرياً تطرح من خلاله واقعة السيدة الزهراء (عليه السلام) على انه المنهج

التحقيقي الذي يجب أن يسلكه الشاعر، وكانت تملي على المشاريع الثقافية المقترحة ضرورة التحقيق في الوقائع التاريخية وأن تبتعد عن القرارات المرتجلة بشأن القضية التاريخية، لذا فقد جاءت أدبيات المدرسة الشعرية الامامية مواظبة على الفكرة والمضمون آخذةً بالاعتبار السياقات الفنية التي تتطلبها القصيدة طرْحاً وجودةً، وعلى هذا فان الشيخ كاظم آل نوح مثل القصيدة البغدادية الملتزمة، وأكد في مجاميعه الفاطمية ضرورة التأكيد على واقعة الدار وقضية الاسقاط كونها الاساس في إنجاح أي بحث موضوعي فضلا عن الاطروحة الأدبية الفنية المبتكرة التي يصبو اليها الشاعر وتتأملها طلائع الأمة.

[66] له عدة قصائد منها:

فأصبح مفطوماً من الروض طفله
إذا ما يحيها من الغيث وبله

لعل الحيا حيا الحمى مستهله
ترعرع أطفال الرياض نضارة
إلى أن يقول:

على الدين لولا السامري وعجله
وقتلا وسماً راح يتلوه ثقله
وراح لها حمل وماتم حملة(1)

لعمرك ما كيد ابن هند بظائر
فتقلا رسول الله ثقل ممزق
وبنت رسول الله ماتت بغصة
إلى آخر القصيدة.

[67] وله أيضاً:

لاخراج الوصي مؤمرات
أترضى أهله وهم الأباة
أأيقاظ هم أم هم سبات
وجعفر أين من قتلوا وماتوا
تهل كما تهل الغاديات
فهل لكم على زوجي ترات
وولدك والبنات مروعات

أبا الزهراء قد عقدت علينا
وأخرج مرغماً لعميد تيم
فأين مضوا وقد أخذوا ابن عمي
فليت أبا عمارة(2) كان حياً
خرجت ورائهم ودموع عيني
وصحت بهم ألا خلوا ابن عمي
فخلوا عنه ثم قصدت داري

وبعدك قد أهانونا وإنا
وحيث قضت وجهها عليّ
ولما أصبحوا سمعوا بدفن الـ
وما عرفوا مكان القبر حتى
فهل دفنت بجحجرتها بليل
وهل دُفنت بقرب من أبيها
وهل ضم البقيع لها وهذا
وهذا يلفت الأنظار فيما
[68] وفي رثائه لآل البيت (عليهم السلام) وما جرى عليهم من مصائب قوله:

أيُّ رثاءً أهاجنا بغامه
يتلع بالجيد حذار قانص
فالروض قد حف كناسه وذو
أي كناس ضم ضيباً شادناً
وأحرباً من لحظه وفتكه
من منصفي منه ومن قوامه
لم يصح من سكر وكيف ترتجي
ريم رمى الصب بسهم صده
أراعه القانص أو أوامه
أم شافه من الحمى بشامه
من نوره تفتحت أكامه
أم ذاك رثيال وذا أجامه
أما رثا لم تخطنا سهامه
إما يحس طاعننا قوامه
صحوته وريقه مدامه
من قبل أن يقضي به مرامه

وما عسى يجدي الهيام رامقاً
بمفرقي الشيب بدا وقد مضى
لفادح بعد النبي قد جرى
قد رفضت شرعته وغيّرت
إن تتل منها وأولو الارحام في
أبرم عقداً لا يحلُ فاغتنى
عدوا على دار البتول بعده
ومذ قضت ألعدها حيدرة
في روضة النبي أو حجرتها
وضل حيدر جليس بيته
ولم يزل بعد النبي صابراً
إلى آخر قصيدته.

من بعد ما شاببت أساً لمامه
شرخ الشباب وانقضت أيامه
في القلب يوري أبدأً ضرامه
سنته وبدلت أحكامه
الذكر يرى قد قطعت أرحامه
منتقضاً من بعده إبرامه
قسراً ولم يرع بها ذمامه
والليل كان غامراً ظلامه
أو في البقيع ضمها رغامه
يبكي وتبكي حوله أيتامه
مضطهداً حتى دهى حمامه(1)

[69] وفي قصيدة له يرثي الزهراء عليها ولدها السبط الشهيد الامام الحسين (عليه السلام).

يقول لعيني تذري الدموعا لفاجعة وهي تحني الضلوعا

1- ديوان آل نوح: 230 مطبعة المعارف بغداد 1955م.

لفاجعة وقعت في الطفوف
وأذرت دموع الهدى صبيباً
وعمررو وهاشمها قد غدوا
فحادث يوم الطفوف اغتدا
قضوا عطشاً بالعرأ كلهم
وما ضاع حق لآل الرسول
وعمت بحزن علينا جميعا
وأجرت لطفه النبي الدموعا
بذا الخطب والناس كلُّ جزوعا
لقتل الصناديد خطباً مروعا
وحقهم كان قسراً أضيعا
الا لأمر دهاهم فضيعا

وانقلبوا بعد طه سريعا
تعادوا على الدار عدوا مريعا
على بابها كان أمر فظيعا
عليّ والا أبيدوا جميعاً
بذي الدار للحزن تذري دموعا
عليّ بذي الدار يخفي جموعا
قد بايع الناس كل مطيعا
فأخرج قهراً خروجاً شنيعاً
نبي وكلّ يعاني الهلوعا
ولم يخضعن أو يكون الضروعا
أنت فاطم عنه ذاتت خنوعا

بيوم به مات طه النبي
وفاطمة وهي محزونة
وجاؤا بحزمتهم عوسجاً
وصاح اضرموا النار أو يخرجن
قالوا له انما فاطم
فقال وان أحرق الدار اذ
وصاح ألا أخرج إلى بيعة
أبي حيدر أن يلبي النداء
وادخل والناس في مسجد الـ
ولم يرض حيدر في بيعة
وهدد بالقتل لكنما

لها من لها دق قسراً ضلوعا
أيا أبت قد أهنأ جميعا
وحقي الصريح جهاراً أضيعا
أرادوا إلى دين بسر رجوعا
بأيديهم الحكم حكما فظيعا
وجاء وكيل الينا ضروعا
فلم أجدن لي منهم سميعا
شهادة حق ترد المنوعا
شهود على الحق ردوا جميعا
فأعرض عنها وعادت سريعا
لغصب لها وهي تذري الدموعا

فاطلق من أجلها حرمة
وراحت لغير أبيها تصيح
لقد غصبوا حيدرأ حقه
أيا أبت انقلبوا بعد أن
ولكنهم نافقوا فاغندوا
وقد غصبوا فذكأ عنوة
فرحت أطالب في نحتي
وطالب مني في أن أقيم
فقلت عليّ وسبوا النبي
فأدلت له حججاً واضحات
إلى بيتها وهي مهزومة

على فلق منه يطوي الضلوعا
تعثر والدمع يجري هموعا
فحقي وحقك قسراً أضيعا
وراحت إلى الله تشكو الصنيعا
قد اتفقوا غصب حقي جميعا
بجنب لها قد كسرن الضلوعا

وكان انتظار علي لها
وقد دخلت وهي في ثوبها
فقال لها صنوطه اصبري
لقد صبرت وبكت حسرة
صنيع اللذين على غصبها
وماتت وان علياً رأى

وعاد إلى البيت يذري الدموعا
ولم تك من أي خطب جزوعا(1)

يوم يؤرخه الزمان الأبعد
لمحمد أفراحها تتجدد

وعلى عباده أنت أنت السيد
دمماً بسيف الحق وهو مجرد
ظهر الضلال وسيفه لا يغمد
في الليل يحيى ساهراً لا يرقد
من خشية بيكي يقوم ويقعد
من ظلمهم لعلي وهو منكذ
هي للنبي وللملائك مقصد
من داره وهو المصاب المجهد
من ضرب سوط للمتون تسود
ويشكو نار حد توقد

وانزلها قبرها في الظلام
لك الله حيدر إما صبرت
[70] وله من قصيدة مطلعها:

يوم به بعث النبي محمد
يوم به أزهري الزمان ببعثة
إلى أن يقول:

أحمد ولأنت رحمة ربنا
أحييت شعباً ميتاً وحفظته
وبسيف عزم كان حيدر قاصماً
خلفت حيدر وهو يعبد ربه
متهجداً متوسلاً في ربه
يشكو له من بعد أحمد ما جرى
يشكو هجومهم على الدار التي
يشكو له إذ أخرجوه مرغماً
يشكو له إذ قد فزغن عياله
يشكو لكسر الضلع من ريحانة الهادي

يشكو اليه غاصباً حقاً له

وأغار من حقد عليه الحسد

1- ديوان آل نوح: 157.

وتهددوه ان أبى وتعدوا
 فيه أحاط ولا نصير يوجد
 أولاكم بمكان أحمد يقعد
 لم ترجعن عنه وبعض تردوا
 منه وان حسامنا لا يغمد
 يبيغون قتلي والحسام مجرد
 كفوا عن الكرار وهو مؤكد
 في ذلة والعيش عيش أنكد
 قد ساء عيشهم وساء المورد
 ولها بجنح الليل سراً الحدوا
 أواه طول الليل وهو مسهد
 منى ونار حشاي دوماً توقد(1)

وخانها الصبر كما خان الجلد
 والدين قد أصابه أرخ إود(2)

يشكو له من قد دعوه لبيعته
 قد أنقذته فاطم من مأزق
 ودعتهم خلوا ابن عمي انه
 قد قال بعضهم دعوه فانها
 حتى يبايع أو تحز غلاصم
 صاح ابن أم ألم تشاهد انهم
 وأبيك لو لم تأت فاطمة لما
 ياليت أحمد قد رآهم بعده
 تركوهم جلس البيوت بقوة
 والبضعة الزهراء ماتت بعده
 وبكى علي بعدها والحزن قد
 فعليك ياخذن النبي تحية

[71] وله في تاريخ وفاة الزهراء (عليها السلام):

فاطمة بعد أبيها روعت
 حتى قضت مجهودة مظلومة

1- ديوان آل نوح: 110.

2- ديوان آل نوح: 267.

آية الله

السيد صدر الدين الصدر

إذا كان المرء ينتسب إلى ثقافة معينة، فإن السيد الصدر تنتسب إليه ثقافات عصره، وإذا كان الأديب يُعرَفُ بمدرسته أدبية خاصة، فإن السيد الصدر العالم والأديب عُرِفَتْ به مدرسة أدبية خاصة، فهو امتداد للثقافة النجفية الممزوجة بالحسِّ العاملي الممتدة إلى ثقافة قم التحقيقية، فهو مزيج ثقافي اذن، أخذ من النجف مولده، وجدد لعاملته منشأه، وأبدع في قم حيث محط رحاله العلمي كما هي محط مثواه الأبدي.

الصفحة

374

كانت مرجعية السيد صدر الدين الصدر تخوض في غمار التجديد الفكري الذي ابتدعته مدارس تجديدية فكرية، ولعل بعضها لم تحسن التجديد فسحقت في ممارساتها الخاطئة ثوابت إسلامية، والتزمت في مقرراتها توجهات مرتجلة، وكانت الحوزات العلمية صاحبة القرار في توجهات النهضات الاصلاحية العلمية أو الأدبية، وكانت مهامها منصبّة في معاكسة التيار الذي يحمل في توجهاته اقتلاع الثوابت والمبتنيات بأن تتعامل معه بنفس الاسلوب الفني ولكن بالاتجاه المضاد فتقر زوابع التغيير إلى نسيم لطيف يهب على الأمة فيحمل معه بذور الاصلاح.

حرصت النهضة الأدبية الامامية بقيادة مراجعها العظام إلى ترويض فورة التجديد الذي تلتزمه أجيالا ثقافية تستقبل نغماته من خارج حدود الوطن الإسلامي، وتحاول الحوزة العلمية أن تتعامل مع هذا الاندفاع التجديدي الحاد بأسلوب هادىء رصين، وإذا كانت حركات الاصلاح تدعو إلى التجديد فان الحوزة العلمية تقدّم الجديد مع الاحتفاظ على البديهيات والثوابت، لذا فان التجديد الأدبي الذي عمّ المحافل الأدبية قدّمت له الحوزة العلمية اطروحتها الاصلاحية، فكانت تتعامل مع القصيدة العربية على أنها آلية الحوار مع لأجيال تعالج قضية تحرّجت منها بعض المشاريع الثقافية أن تقدّمها بوعي وتقرأها بموضوعية، و"القصيدة الحوزوية" اخترقت هذه التقليدية لتعطي للحدث التاريخي موضوعيته، وللقصيدة العربية مصداقيتها.

كانت قصيدة آية الله السيد صدر الدين الصدر اطروحة اصلاحية تعاملت مع الحدث الإسلامي على أنه الرؤية الحقيقية للواقع والمستقبل،

ومع القصيدة على انها آلية الحوار والتجديد، لذا فان قصيدته الفاطمية حددت معالم الحدث بجميع ابعاده وأكد واقعة الاسقاط على أنها البديهي والثابت لتاريخ الأمة ومبتنيات الأجيال.

* * *

[72] واليك أطروحته الأدبية الشعرية:

يا خليلي احبسا الجرد المهارا	وابكيا داراً عليا الدهر جارا
وربوعاً أقفرت من أهلها	وغدت بعدهم قفراً برارا
حكم الدهر على تلك الرُبي	فانمحت والدهر لا يرعى ذمارا
كيف يرجى السلم من دهر على	أهل بيت الوحي قد شنّ المغارا
لم يخلف أحمد إلا ابنةً	ولكم أوصى إلى القوم مرارا
كابدت بعد أبيها المصطفى	غصصاً لو مسّت الطود لمارا
هل تريحهم أدركوا من أحمد	بعده في آله الأطهار ثارا
غصبوها حقها جهراً ومن	عجب أن تغصب الزهرا جهارا
من لحاها إذ بكت والدها	قائلاً فلتبك ليلاً أو نهارا
ويلهم ما ضرهم لو بكيت	بضعة المختار أياماً قصارا

من سعى في ظلمها؟ من راعها؟	من على فاطمة الزهراء جارا؟
من غدا ظلماً على الدار التي	تخذتها الإنس والجنّ مزارا
طالما الأملاك فيها أصبحت	تلثم الأعتاب فيها والجدارا
ومن النار بها ينجو الوري	من على أعتابها أضرم نارا
والنبيُّ المصطفى كم جاءها	يطلب الإذن من الزهرا مرارا

وعليها هجم القوم ولم
لست أنساها ويا لهفي لها
فتك الرجس على الباب ولا
لا تسلني كيف رضوا ضلعها
واسألن أعتابها عن محسن
واسألن لؤلؤ قرطبيها لما
وهل المسمار موتور لها
تك لاثت لا وعليها الخمارا
إذ وراء الباب لاذت كي توارا
تسألن عمّا جرى ثم وصارا
واسألن الباب عنها والجدارا
كيف فيها دمه راح جبارا
انتشرت والعين لم تشكو احمرارا
فغدى في صدرها يدرك ثارا

السيد مهدي الاعرجي

قدّم الأدب الشيعي للقصيدة العربية غرضاً رثائياً ملتزماً، وحرص الأديب الشيعي أن يقدم الرثاء على انه اطروحته الفكرية التي من خلالها يستطيع أن يعبر عن نظريته فضلا عن وجدانياته، وقد سجّل الرثاء الشيعي قفزة نوعية على المستوى الفني فضلا عن الغرض الملتزم المطروح، فعلى المستوى الفني انطلق الرثاء من نفس الشاعر المتحرقة لمصائب آل البيت (عليهم السلام) وقد دخلت فاجعة الطف في الدائرة الرثائية لتوسع في الشكل والمضمون من القصيدة العربية ولتتقدم القصيدة الرثائية الشيعية على

القصيدة الجاهلية بكونها أكثر التزاماً وجدية، فالرثاء الجاهلي كان ترفاً فنياً يتفنن به الشاعر للبكاء على أطلاله، والرثاء الأموي كان غرضاً سياسياً أكثر من كونه معبراً عن مصداقية القصيدة ووجدانيات الشاعر، حيث يعتمد الشاعر إلى رثاء الخليفة أو حاشيته ليحصل بالحظوة عند السلطان، والرثاء العباسي كان ترفاً فكرياً يتبارى به الشعراء ليرثى به خاصة الخليفة أو جاريته أو موقف يقترحه الخليفة على الشاعر ليجيد بقريحته، فيجيد هو بعبائه، وهكذا تعثر الفن الرثائي من شعور وجداني ينطلق من نفس الشاعر لينعى به أحد الأحبة، إلى تسابق فني يؤكد به الشاعر مقدرته الشعرية وفنه الرثائي.

كانت فاجعة الطف قد خلقت احساساً وجدانياً خاصاً ترتسم من خلالها في مخيلة الشاعر صوراً رثائية رائعة تحاول الوصول إلى حجم الفاجعة وارتسام المأساة، ولما كانت فاجعة الطف متشعبة المآسي تفوق في مواقفها التراتيجيدية كل تصور، فإن الشاعر يصل إلى حالة عجز بيّن في احتواء كل المواقف المفجعة، لذا فهو يحاول أن يبذل وسعه الفني في تصوير مشهد واحد على الأقل فتشاركه هواجس نفسية تنبعث من آلامه فضلاً عن دوافعه الايمانية في اثبات مظلومية آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، لذا تجد أن القصيدة الرثائية الشيعية قادمة من عدة عوامل موضوعية تؤكد في مصداقيتها ما يعنيه الشاعر وما يقصده، وإذا كانت فاجعة الطف هي المأساة التي شاركت في تقديم اطروحة الرثاء المبدع، فإن مأساة الزهراء (عليها السلام) قد حققت الانطلاقة الرثائية الأولى في نفس الشاعر الشيعي وهي الفاجعة الاولى التي حرّكت أحاسيسه وجدّرت هواجسه في الشعور بالمظلومية التي ورثتها أمة كاملة

من تلك المأساة، فالشاعر الشيعي ارتكزت في ذهنه أن المأساة الأولى هي التي أولدت المآسي القادمة التي جرت على آل البيت (عليهم السلام)، وهي الممهد الأساس لفاجعة الطف التي راح ضحيتها آل علي الطيبين، وهي نفس المأساة التي أدخلت أمة من الناس في قرارات البطش والتشريد والتتكيل، حيث أباحت للانظمة غير الشرعية من ممارسة أنواع الظلم والتقتيل في حق الابرياء.

والرثاء الذي قدّمه السيد مهدي الأعرجي هو نموذج من الدائرة الرثائية الشيعية الكبيرة التي ضمّت معاني متعددة من اغراض الرثاء، وقد أكد في مرثياته الفاطمية هذا الاحساس الذي يحمله أي شاعر شيعي في وجدانياته.

ولد الشاعر عام 1322 هـ في النجف وترعرع فيها فدرس النحو والصرف والمنطق والمعاني على فضيلة الشيخ محمد صادق الايرواني ثم اتجه للخطابه متملذاً على الخطيب الشيخ جاسم الملا الحلي.

نظم الشعر عند بلوغه الثانية عشر من العمر، خلّف ديوان مخطوط عند أخيه الخطيب السيد حبيب الاعرجي.

[73] له قصائد في رثاء الزهراء (عليها السلام) منها:

يا أيها الربع الذي قد درسا
كم زمن فيك قضيت لا أرى
حيث ترى وجهه الثرى من نسيج
والراح يجلوها الرشا في اكؤس
أردتني الأوزار لكني تخلصت
من شرف الله تعالى قدرها
بنت النبي الطهر بل بضعته
فكم بها كان يقول أحمد
فاطمة مني فمن أغضبها
يا ويح من أغضبها في فيئها
إذ قال يا قوم احفظوني في ابنتي
اصبح من بعد النبي ضلعها
وأقبلوا بجمعهم لدرها
وفي نجاد السيف قادوا بعها
تالله لولا أنه موصل لما
وفاطم خلفهم ودمعها

باكرك الغيث صباحاً ومسا
الا حبيباً أو نديماً مؤنسا
كف الغيث ثوباً سندسياً لبسا
قد طاب ساقيا وطابت أكؤسا
بمدح فاطم خير النسا
وأذهب الرحمن عنها الدنسا
خامسة الاطهار أصحاب الكسا
للمسلمين مجلساً فمجلساً
أغضب جبار السماء وأسا
وما رعاها بل تجافى وقسى
مفاد قوله لهم منعكسا
منكسراً وفيئها مختلسا
واضرموا بالباب منها القبسا
علياً الندب الهزير الاثوسا
القوا قياده لديهم سلسا
ينهلّ من اجفانها منبجساً

تصيح خلوا عن عليّ وهي في
ولم تزل تجرع منهم غصصاً
حتى قضت غضبي عليهم وبها
أذيالها تعثر من فرط الاسي
يدك (رضوى) وقعها وان رسا
لقبرها ليلا علي همسا(1)

[74] وله في الزهراء (عليها السلام) أيضاً:

نصبوا السقيفة بعد وتوازروا
الله يا يوم النبي فاننا
هجموا على ابنته ورضوا ضلعها
وعدوا على الكرار وهو ببيته
ظلماً على غضب الامام الانزع
منه أتينا بالبلاء إلاّ شنع
نفسى الفداء لرض تلك الاضلع
قادوه وهو الصعب قود الاطيع
[75] وله أيضاً:

أشجاك ظعن العامرية اذا سرى
أم هل تذكرت (العقيق) فأسبلت
أم هل أرقت (الحاجر) وظيفائه
ما بال جفئك لا يذوق وقاده
حتام تندب رسم ربع دارس
هلا بكيت على البتولة فاطم
لم أنسها من بعد والدها وقد
فجرى عليك من التفجع ما جرى
عيناك ادمعها عقيقاً أحمر
فطفقت تدمى بالمدامع محجرا
طول الدجى هل كان قد نسى الكرى
والى متى تبكى فناء مقفرا
حزناً فواسيت النبي وحيدرا
جرعنها الايام كأساً ممقرا

1- شعراء الحسين محمد باقر الايرواني 155 نقلا عن ديوان الشاعر الخطي.

هجموا عليها وهي حسرى فانزوت
وعلى الوصي تجمّعوا حشداً إلى
عصرت بمرآه ولولا أنه
فعدت تتاديهم ألا
رجعوا اليها وهي تصرخ بينهم
أبتاه عزّ عليك أن ترنو إلى
غصبوا مقام أخيك حيدر منك
يا بئس ما صنعوا وقد عدلوا به
عنهم وراء الباب كي تتستر
أن أخرجوه وهو يندب جعفرا
موصى لما كانت هناك لتعصرا
خلّوه أو أشكو إلى رب الورى
أين النبي فليت عينيه ترى
ضلعي بعصرهم العنيف تكسراً
وابتروا المصلى منه والمنبرا
من لم يساو شسع نعلي قنبرا

قاده وهو ملبّب بثيابه
والطهر فاطم خلفه ودموعها
خرجت وراه كما خرجت بناتها
ترنوا الخيام خوالياً وبنو الخنا
وترى الحمى مجدّلاً فوق الثرى
ذبحوه ظام والفرات بحنّبه
وسروا على سمر القنا بكريمه
قسراً باموات البلى مستنصر
لجوى المصاب تبل عاطشة الثرى
خلف العليل تتوح لكن حسراً
قد أضرموا فيها الحريق المسعرا
ثاو ومنه الشمر حز المنحرا
وأبوه يوم الحشر يسقى الكوثر
كالبدر يزهر في الدياجي مسفرا(1)

1- نفس المصدر.

[76] وله يستهض الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) مذكراً له بمصاب جدته
الزهراء (عليها السلام):

حتى متى اجفاننا عبرى
قد حل فينا يابن بنت محمد
نهضاً فقد كادت شريعة أحمد
طال احتجابك سيدي ما أن أن
ترضى جفون الغاصبين لارثكم
أنسيت يوم عدوا على دار الهدى
ام كنت لا تدري وكيف يكون ذا
غصبوا نحيلتها علانية وقد
ام ما جرى منهم على الكرار مذ
إلى آخر القصيدة.

[77] وله أيضاً في استنهاض الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف):

اثرها تملأ البيدا صهيلا
رعيلاً للوغى يقفو الرعيلا

وقدها للطراد مسومات
عليها من سراة (لوى) اسد

وجيف السير انساها الذميلا
قد اتخذوا اشتباك السمر غيلا

1- نفس المصدر.

الصفحة
384

بكل مدرب في الحرب يسطو
إذا حمي الوطيس عليه يوماً
وان غنت له الاسياف راحت
فقد ساد الضلال على البرايا
وقد ملأت بلاد الله جوراً
الى مَ عيوننا بجفاك سهرا
تؤمّل أن تراك بكل يوم
انتسى الطهر امك اسقطوها
وجدك في صلاة الفجر غدرًا
وعمك قد سقوه السم ظلماً
وخل عن الحسين فلا تهجني
إلى آخر القصيدة.

على اعدائه أسداً مديلا
تقيّاً رمحه ظلاً ظليلا
تعل دم الفوارس سلسبيلا
وأمسى الحق (لا يغني فتيلاً)
فلم يجد المحق له سبيلا
وخصمك يهجع الليل الطويلا
ومن طول انتظارك عدن حولا
جنيئاً حين راعوها دخولا
لدى المحراب اردوه قتيلاً
وشكّوا نعشه السامي نصولاً
فأنّ له باحشائي غليلاً(1)

[78] وله خمساً والاصل للشاعر جواد بدقت وقد اثبتنا هذا المقطع.

عن فاطم قتل ابنها متفرع
وبسبيل أدمعها أسيلت أدمع
ويطفلها بالطف أودت رضّع
"وبكسر ذاك الضلع رضت أضلع
في طيها سر الإله مصون"

1- نفس المصدر.

الصفحة

[79] وله مخمساً والاصل لسيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام).

أهوت على قبر النبي محمد شوقاً تشم تراب اشرف مرقد

وتقول والهة بقلب مكمد

"ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها"

* * *

أبدت لي الايام بغياً ضغنها وعليّ تابعت المصائب حزنها

قسماً بمن شرع الفروض وسنها

"صبت عليّ مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا"

الصفحة

386

الصفحة

387

السيد خضر القزويني

يمكن القول أن الأدب الشيعي قدّم للقصيدة العربية أغراضاً شعرية جديدة لم يكن الشاعر العربي قد مارسها، واستطاعت مأساة آل البيت (عليهم السلام) أن تلهم الأديب الشيعي فنون الابداع كي يقدّم المأساة على انها قضيته المصيرية التي من خلاها تتحرك كثير من المصطلحات التي كانت في مرحلتها التنظيرية لتدخل في دائرة الواقع والممارسة، فمصطلح "الانتظار" مثلاً حين مارسه البعض على أنه مسألة تشريفية تمليها تقاليديات اسلامية، فان مذهب آل البيت (عليهم السلام) قد ترجمها إلى واقع ملموس استطاع أتباعه أن

الصفحة

388

يتحركوا من خلاله لممارسة جزئيات حياتهم، فالشيعي الملتزم يرى أن فلسفة الانتظار هي الفكرة التي من خلالها يستطيع أن يبني تكامل شخصيته، وسعى الأديب في نفس الوقت أن يترجم هذه النظرة إلى ممارسة شعرية أدخلها في دائرة القصيدة العربية، فمن خلال الشكوى التي يبثها الشاعر ليخاطب الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) ويذكره بمصائب آباءه، فإنه قد تعامل مع واقع ملموس استطاع من خلاله أن يثبت واقعية الانتظار وأمله الكبير في المصلح المنقذ الذي يستهضه الشاعر للأخذ بثأر آباءه المظلومين بل وجميع المحرومين في العالم، وإذا تحققت هذه النظرة لدى الشاعر فإنه سيمارس مسألة الانتظار على انه الواقع المعاش الذي يزاول من خلاله انقطاعه للقوة الغيبية القاهرة التي تحقق جميع طموحاته وآماله، وسيبرمج على ضوء ذلك حياته ومعيشتة وسيصبو إلى ظهور المصلح القائد المنفذ وهو الامام الذي يرنو اليه وينطلع لعدله وثورته مترقباً ذلك في كل حين.

لذا أُدخل في الدائرة الأدبية الشعرية غرضاً جديداً وهو غرض الاستنهاض الذي من خلاله يستطيع الشاعر أن يتعامل مع الامام (عليه السلام) على أنه المرجع الوحيد في تحقيق الهدف الذي يصبو إليه الجميع من تحقيق العدل والسلام، مستخدماً مادة المأساة التي حلت بآباءه الميامين على أنها المبرر الرئيسي في عملية الظهور والأخذ بالثأر لجميع المحرومين في العالم واكتساح بؤر الظلم والطغيان الحاكمة.

هكذا استطاع السيد خضر القزويني أن يترجم الغرض في قصيدته الفاطمية، فهو بقدر حرصه على بيان الحاجة من ظهور الامام (عليه السلام)، فإنه

حرص على تذكيره اياه بمصائب أمه الزهراء (عليها السلام) وما حل بساحتها المقدسة من الظلم خصوصاً عملية الاسقاط المفجعة التي يستحثه من خلالها للظهور ونيل الظالمين عقوبة الانتقام الإلهي بيده العادلة.

ولد السيد خضر القزويني في النجف عام 1323 هـ، وترعرع في بيئة علمية أخذت بيده إلى مراقي الكمال حتى اذا بلغ شوطاً من شبابه قرّظ الشعر ونظم القصائد، فجمع إلى موهبة الشعر فن الخطابة والتبليغ فصار خطيباً بارزاً وأديباً مبدعاً حتى لبي نداء ربه وهو في ريعان شبابه عام 1357 هـ.

[80] له قصيدة يستنهض فيها الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) ويذكره بمصائب
أبائه المعصومين (عليهم السلام) ويؤكد على مصائب الزهراء (عليها السلام) خصوصاً
اسقاط المحسن:

الى مَ التواني صاحب الطلعة الغرا أما آن من اعداك أن تطلب الوترا
فديناك لم أغضيت عما جرى على بني المصطفى منها وقد صدّع الصخرا

الصفحة
390

أتغضي وتنسى أمك الطهر فاطماً غداة عيها القوم قد هجموا جهرا
أتغضي وشبّوا النار في باب دارها وقد أوسعوا في عصرهم ضلعها كسرا
أتغضي ومنها أسقطوا الطهر محسناً وقادوا علي المرتضى بعلها قسرا
أتغضي وسوط العبد وشح متنها ومن لطفة الطاعي غدت عينها حمرا
أتغضي وقد ماتت وملؤ فؤادها شجاً وعلي بعد شيعها سراً
أتغضي وقد أردى حسام ابن ملجم علياً وطرف الشرك حين قضى قرا
أتغضي وقد ألوى لوبياً مصابه وغادر حتى الحشر اكباده حرى
أتغضي وقد دس السممام اخو الشقا إلى المجتبى كيما به يفجع الزهرا
أتغض وقد أودى به فتقطعت غداة به أودى قلوب الورى طرا

الصفحة
391

أتغضي ويوم الطف آل أمية بقتل سليل الطهر ادركت الوترا
أتغضي وفيه مثّلت بعد قتله ومن دمه قد روت البيض والسمرا
أتغضي وقد طافت برأس فخاره على ذابل أمسى يباهي به البدرا
أتغضي وقد سارت بربات خدره سبانيا وسوط الشمر أوسعها زجرا
أتغضي وقد طافت بها كل بلدة على هزل تتعى واعينها عبرا
(و أعظم ما يشجي الغيور دخولها إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا)

فحتتى متى تغضي ولم تلف ثائرا
بوتر بني الهادي الذين قضاوا صبراً
فهبّ لها واسقي حسامك من دما
عداك وغادر مخظم هاماتها نثراً(1)

1- شعراء الحسين - محمد باقر الايرواني - عن الديوان المخطوط.

آية الله الشيخ علي الجشي

يعتبر الشيخ علي الجشي مشروعاً أدبياً ناهضاً بالواقع الأدبي الراكد الذي تميز به القرن الرابع عشر الهجري، وقد أفلت المدرسة الحلية، برحيل بقاياها من فحول الشعراء كالشيخ سلمان نوح المتوفي سنة 1308 والشيخ درويش الحلبي المتوفي سنة 1311 والشيخ محسن العذاري المتوفي سنة 1314 والملا عباس الصفار الزبيوري الحلبي المتوفي سنة 1316 وغيرهم، وقد أغلقت المدرسة الحلية أبوابها على تراث أدبي حسيني ميّزها عن المدارس الأدبية الإسلامية الأخرى، وأسّدل الستار على آخر مدرسة أدبية

شيعية لها شخصيتها المتميزة وتوجهاتها الخاصة. وإذا كانت المدرسة الحلية قد انتهت بحلول أواسط القرن الرابع عشر الهجري، فإن المدرسة الأدبية الشيعية لم تعقم، فمدرسة الجزء الشرقي من جزيرة العرب القطيفية أنجبت ابداعاً جديداً حتى بلغت أوج نهضتها بشاعرها الشيخ علي الجشي، وإذا كانت للمدرسة الحلية خصوصياتها الحسينية، فإن مدرسة الشيخ علي الجشي القطيفية لها خصوصياتها الفاطمية.

استطاع الشيخ علي الجشي أن ينقل لأهله القطيفيين من الأدباء تجربة الحلبيين التخصصية من الشعراء، فالقارئ لا يكاد يستمع إلى قصيدة حلية إلا وتبادرت إلى ذهنه واقعة الطف، لشدة ما ربط الشاعر مصير قصيدته بقضية كربلاء. وهكذا الشيخ علي الجشي ينقل تجربته ليتخصص بالحدث الفاطمي، فتأتي قصيدته مترجمة لوجدانياته الملتهبة في تصوير المأساة الفاطمية.

استفاد من تجواله بين الحواضر العلمية منتقلاً ليأخذ من التجارب الأدبية ما يرفد مشروعه الفاطمي بالروعة والابداع، فحلولة في كربلاء وتنقله من النجف إلى الكاظمية، انتهاءً بسامراء، ثم يعود إلى النجف ليرجع إلى بلده القطيف ثم يعاود الهجرة النجفية ثانية كل ذلك دعم حضوره الأدبي فضلاً عن العلمي في منتديات الأدباء التجديديين، وكانت تجربته في التخصص بالقضية الفاطمية قد استفادت منها مدارس الساحل الجنوبي من بلدان الخليج.

ويمكن القول ان القصيدة الخليجية الملتزمة من هذا القرن تُعد نتاجاً للمشروع الفاطمي الذي قدّمه الشيخ علي الجشي.

استطاع الشيخ علي أن يزوج بين مدرستين أدبيتين لهما أصالتهما الخاصة وتوجههما المعروف، فالمدرسة الحلية التي هاجر إليها مسحته بمسحة المأساة والرتاء، والمدرسة القطيفية الأم أكدت فيه روح التجديد، فتشكلت شخصيته الشاعرية من مدرسة الرثاء الحلية التقليدية، ومدرسة القطيف التجديدية ذات الانفتاح الواسع على ثقافات المدارس التجديدية من جزيرة العرب وسواحلها المتاخمة، وإذا استطاع الجشي أن يبرز توجهاته التجديدية في وحدته الشعرية فانه حافظ على تقليديته القادمة معه من بلدان الهجرة العلمية وحواضرها الأدبية كالنجف وكربلاء والحلة والكاظمية وسامراء، لذا فانك تجد قصائده قد بنت شخصيتها الأدبية من معالم شخصيته العلمية، فإذا قرأت قصيدة الحبشي انبعثت في نفسك هواجس الشاعر المعبر عن وجدانياته، فضلاً عن التدرجات العلمية التحقيقية في القضية التاريخية التي يبحثها الشاعر.

فالجشي الذي ولد سنة 1297 هـ في مدينة القطيف، الجزء الشرقي من جزيرة العرب، هاجر إلى النجف واستقرّ بها لتحصيل العلوم الدينية سنة 1317، وحصر في كربلاء عند بعض الأعلام، وكذلك الكاظمية وسامراء ثم آب عائداً إلى النجف الأشرف وأقام ما بين عامي 1334 و 1345 ثم هاجر إلى النجف ثانية وحضر عند الميرزا النائيني وأغاضياء العراقي والسيد أبو الحسن الاصفهاني وأخيراً لدى السيد الحكيم قدس أسرارهم وهو من القلائل الذين حظوا بالاجازة الخطية بالاجتهاد من لدن السيد

الحكيم (قدس سره).

هذه الحياة العلمية الحافلة بالابداع عززت من رؤيته التحقيقية للحدث، وكانت دالة الحدث الإسلامي قد ظهرت لدى المحقق الجشي هي فاجعة السيدة الزهراء (عليها السلام) التي من خلالها ينطلق الشاعر المحقق ليساير التاريخ الإسلامي فيقرأه على سامعيه في قصائده الأستقصائية.

أكدت "القصيدة الجشية" مشاريعها الفاطمية في قضية إسقاط المحسن، وتمحوّرت هذه المشاريع حول مسألة الاسقاط وعبرت عن الانحرافات الطارئة على المسير الإسلامي في برمجة قضية الزهراء (عليها السلام) لتحدد معالم السقوط والتهافت التاريخي، وبذل الشاعر جهداً ملحوظاً في التشكيك الفاطمية" على أنها الصياغة الأولية للحدث الإسلامي والذي يقرأ من خلاله الأنفلاتية في طموحات سياسية قدّمت اطروحتها التنظيمية على أساس الاجماع والشورى وغيرها من التنظيرات السياسية المقحمة في الايدولوجية الاسلامية للحكم.

حفلت حياة(1) الشاعر الشيخ علي الجشي بما تحفله حياة علماء الإمامية، فمن الوعظ والارشاد والتدريس في بلاده القطيفية، إلى الوثبات السياسية الجريئة التي شهدتها حقبة التاريخية ضد سلطات بلاده الحاكمة.

وكما ترك مواقف السياسية تراثاً جهادياً شيعياً، فقد ترك رصيماً من أثاره تراثاً علمياً شيعياً.

1- رجعنا إلى ترجمة حياته لمقدمة ديوانه فراجع. انتشرت الشريف الرضي قم 1417 هـ.

كانت بعض آثاره:

1. نظم كفاية الاصول.
2. الشواهد المنبرية
3. الروضة العلية.
4. ديوان الجشي.

[81] ومن قصائده الفاطمية:

واغتصاب الوصي يوم سرور
كل شر على مرور الدهور
جملة الخلق غير نزر يسير
عليهم ام جاء غير نذير
هل مغيث له وهل من مجير
ل علينا انتظار وقت الظهور
ل من نور فجرها المستطير

مالنا بعد جحد يوم الغدير
يا لها فتنة تفرع منها
فتنة ضل في ظلام دجاها
كفروا بالاله ام بعد العهد
او هل جابر لكسر الهدى أم
رب قرب وقت الظهور فقد طا
ما ابن... وما الخلافة اين اللي

لا بأمر من السميع البصير(1)
خلفاً عنه في جميع الأمور
بين صبح الرشاد والديجور
والهدى لاح في الضلال الكبير
إذ ابى إمرة المضل الكفور(2)
بعد موسى إذ لم يجد من نصير
قد دعوه لبيعة وحضور
قتلتها في كيدها المستور
فتنة القوم بعد فقد النذير
لهم الويل كل كلب عقور
لا يرى ذاكر لخير بشير
من هم علة البقا والصدور
شأنه شأن بيته المعمور
بعد إذن من اهله في الحضور

أفمن كان عن براءة معزو
يرتضيه الإله من بعد طه
ما لقوم ضلوا عن الرشد ساروا
بل قفوا اثر قوم موسى فتاهوا
عزلوا المرتضى وساموه ضيماً
ليس هارون كالوصي ابتلاءً
ان يكونوا قد خالفوه فهذا
او يهّموا بقتله فعلي
ما المرادي عند ذي الرشد لولا
اسسوا ظلمه عناداً واغروا
بل ارادوا ان يحرقوا البيت حتى
فأبى الله ذلكم حيث فيه
وهو بيت عند المهيمن ضاهى
لم يكن جبرئيل يدخل إلا

- 1- براءة: يعني سورة البراءة من المشركين فعزله جبرئيل (عليه السلام) بأمر الله تعالى وتولاها علي (عليه السلام) والقصة معروفة في كتب السنة مثل مسند أحمد ح 1 ص 3 و ص 151 وكنز العمال ج6 ص130.
2- ساموه: كلفوه قهراً.

يا بن عم النبي صبرك انسى
ضاق ذرعاً بأمر رحمةً لماً
وأرك اصطبرت والقوم أدوا
أمن الصبر كان قلبك إني
دخلوا دارها وليس عليها
وعلى متنها السياط تلوت
يالها من عداوة اظهورها
دع تفاصيل ما جرى فيباني
ما سمعنا من قبل بنت نبي
عُصرت أسقطت أضيعت ذماماً
جدوا آية الطهارة فيها
دخلوا الدار أضرموا النار قادوا
وأرادوا قتل الوصي فأضحى
وعراها الذهول عمّا عراها

صبر أيوب في قديم الدهور
جرت الشعر شاكياً للخبير (1)
فاطمأ في عشيتها والبكور
لا ارى يستطيع قلب صبور
من قناع والحقد ملؤ الصدور
حيث لا دافع ولا مجير (2)
وهي من قبل في سويدا الضمير
بعض ما كان نفثه المصدور (3)
أوذيت كالبتول بعد النذير
عُصبت كذبت بأفك وزور
بعد علم كجدهم للغدير
حيدراً بالنجاد قود البعير
قلبها مثل طائر مذعور
من سقوط وضلعها المكسور

- 1- سورة ص آية: 41، والقصة في التفاسير.
2- دافع بالكسر بتقدير من.
3- نفثه المصدور ما يقذفه المصاب بصدرة، والمقصود: الكناية عن عظم البيان وضعوبته.

فعدت خلفه تقول دعوه
وهي ثكلى تبكي بدمع غزير

إِنَّ قَلْبِي وَإِنْ تَحَمَّلَ لَكِنْ
فَلتَخْلُوهُ أَوْ لَا نَشَرَ شِعْرِي
ثُمَّ أَمَّتْ قَبْرَ النَّبِيِّ لِتَشْكُو
يَا حَبِيبَ الْإِلَهِ قَوْمَكَ أَبَدُوا
عَزَلُوا حَيْدِرًا وَقَادُوهُ قَسْرًا
غَضِبُوا نَحَلْتِي وَرَدُّوا شِهْودِي
كَرِهُوا أَنْ أَقِيمَ فِيهِمْ فَقَالُوا
مَنْعُونِي مِنَ الْبِكَاءِ لِأَقْضِي
وَكَسَاهَا الْمَصَابُ اثْوَابَ حُزْنٍ
قَلَّ لِبَيْتِ الْأَحْزَانِ بَعْدَكَ حَزْنِي
[82] وَمَنْ قَصِيدَةٌ لَهُ قَالَ فِيهَا:

غَيْرَةَ اللَّهِ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ صَبْرًا
بَدَىءَ الدِّينِ فِي الْأَنْامِ غَرِيبًا
شَبَّ عَمْرُو الْهَدَى عَنِ الطُّوقِ فِيكُمْ
مَا... لَا تَمَّ بِشَرِّ عَلَيْهَا

1- الملحوب: الواضح.

لَيْسَ قَلْبِي عَنْ حَيْدِرٍ بِصَبُورٍ
وَلَأَدْعُو هُنَاكَ بِالتَّدْمِيرِ
قَوْمَهُ وَهِيَ نَفْتَةٌ الْمَصْدُورِ
مَذْفُودًا مِثْلَ مِضْمَرَاتِ الصَّدُورِ
لَا بِن... وَلَمْ يَجِدْ مِنْ نَصِيرٍ
مَنْعُونِي أَرْتِي بِكَذْبِ وَزُورٍ
لِي آذِينَتَا بِطُولِ الزَّفِيرِ
بِالْجَوَى أَنْ كَتَمْتَهُ فِي الضَّمِيرِ
مَا اكْتَسَبَتْ بَعْدَهَا ثِيَابَ سُرُورٍ
مَسْتَمِرٌّ عَلَى مُرُورِ الدَّهْورِ

وَلَشَمْسِ الْإِسْلَامِ حَانَ غُرُوبُ
وَأَرَاهُ قَدْ عَادَ وَهُوَ غَرِيبُ
وَطَرِيقِ الْهَدَى بِكُمْ مَلْحُوبُ(1)
و... فَلَا عَدْتَهَا الْخَطُوبُ

تَظْهَرُ الشَّرْكَ وَالضَّلَالَ ضُرُوبُ
هَجَرَ الْمُصْطَفَى فَلَا حَافِظَ وَرَقِيبُ
حَانَ مِنْ سَيِّدِ الْهَدَاةِ الْمَغِيبُ(1)

* * *

وَهُوَ فِي سِتْرِ كَيْدِهَا مَحْجُوبُ
حَذْرًا أَنْ يَفُوتَهَا الْمَطْلُوبُ

حَاوَلْتُ مَحَوِّ دَعْوَةَ الْحَقِّ حَتَّى
كَتَبْتُ صَكًا الْقَدِيمِ وَقَالَتْ
وَابْتَعْتَ فَرَصَةً اخْتِلَاصَ فَلَمَّا

نَشَرْتَ مَا طَوَى النِّفَاقُ قَدِيمًا
وَادَعْتَ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ بَغِيًّا

وأنت تطلب الولا من علي
ولعمري ما بُغيةُ القوم إلا
فأتوا داره بجيش ضلال
وعلاه ما القوم كفوا ولكن
وأرادوا أن يحرقوها فصاحت
أوهل منصب الولا لابن...
أنسيتم نصب النبي علياً
لم أضعتم وصية الله فينا
أكفرتم بالله يا قوم أم ما

وهم يعلمون لا يستجيبُ
لا يرى للاسلام ثم رقيبُ
زعموا أنه به مغلوبُ
ذاك في سابق القضا مكتوبُ
فاطمُ ان أمركم لمريبُ
وعليه اسامة منصوبُ
يوم خم إذ قام وهو خطيبُ
ونكتتم والعهد منكم قريبُ
قاله المصطفى لكم مكذوبُ

1- الاختلاص: هو الوصول للغرض والهدف.

فارعوا لا رُعيتم ودعونا
لا تسلني ما نال فاطمَ لمّا
واستداروا حول الوصي ولولا
أترى يرهب الحمامَ علي
أخرجوه ملبياً ليت شعري
فعدت خلفه البتولة تدعو
أتريدون تقتلون علياً
فدعوه أو أَدعونَ عليكم
وزووا ارتها اعتداءً فجاءت
أيها الناس راقبوا الله فينا
أتقولون غاب أحمدُ عنّا
وأبانت ضلالةُ القوم لكن

فَعَنَّتْ لم يُفد بها التأنيبُ(1)
دخلوا الدارَ فالخطوب شعوبُ
حلّمه ما أفادها التألّيبُ(2)
بل علي في صدره مرهوبُ(3)
كيف قُيِّد الليثُ الهمام المهيّبُ
برنين له الصخور تذوبُ
لا وريّي فهو السميع المجيبُ
ما ثمود أحرى بما قد اصيبوا
وهي عبرى ودمعها مسكوبُ
وارجعوا فالاله فيكم رقيبُ
وجفانا حميماً والقريبُ
لم يكن فيهم رشيد منيبُ

ثم آبت كما أتت وهي صفر الكف
فانثنت بالأسى لما قد عراها

ولها وحقها مغصوب⁽⁴⁾
في حنين كما تحن النيب⁽⁵⁾

- 1- ارعوى: كف عن جهله.
- 2- التاليب: التجمع عداوة على واحد.
- 3- الجمام: الموت.
- 4- الوله الحزن الشديد.
- 5- النيب: النياق المسنة.

منعوها من البكاء لتقضي
قل لبيت الأحزان ما زال حزني
قل لتلك الضلوع بعدك قلبي
لست انسى وقوفها وهي تشكو
غصبوا حيدر الخلافة ظلماً
وجنيني قد أسقطوه وضلعي
وزروا نحلتي وردوا شهودي
منعوني من البكاء وقالوا
ورمونا بكل خطب عظيم
يالها من مصائب تتوالى
وبها أصبحت حليفة سقم
نسيت نفسها وما هي فيه
وقضت تندب الحسين بشجو
عجبا تدفن البتولة سراً

كمداً والفؤاد منها يذوب
لا ولا عيشي الهني يطيب
ما له جابر فدتك القلوب
لأبيها ولا تراه يجيب
وترائي لديهم مغصوب
كسروه وقد عراني الشحوب
وجفوني فما لصوتي مجيب
لي أذيتنا فحسبي الحسيب
وأمر منها الجنين يشيب
ورزايا للجامدات تذيب
دأبها البث والأسى والنحيب⁽¹⁾
من أذى القوم إذ أتتها شعوب
ولأرزاه دمعها مسكوب
وجهاراً تراثها منهوب

* * *

ومتى أسرَّ أسَا وان وهبَ استرد
فلربما أسدى يداً وبها حسدُ
من حمرة المُلهي وقد وضع الرصدُ
بالعقل خمرته رماه بما أعدُ
إلَّا كَأمنِ فتى على ظهر الأسدُ
اردى ولكن قد رمى من كُفِّ يدُ
بل حاد عن قصد الطريق وما اقتصدُ
إذ حَكَمَ العجلَ المضلَّ وعنه صدُ
أن يطفؤا بالنار أنوارَ الرشدُ

لا يؤمن الدهرُ الخؤونُ على أحدُ
فالدهر لا تأمن اذا أسدى يداً
ويذيقه مكرًا ضروبَ حلاوة
حتى اذا تَمَلَّ الفتى وتلاعبت
ما راكبُ الدنيا وآمنُ مكرها
ليت الزمانُ لمجنتي ثمراته
فهل اجتنت آل النبي ثماره
أو ما أباح حمى الوصي المرتضى
عقدَ الولا حلًّا وبغياً أجمعوا

بيت الهدى وضرامها فيه اتقدُ
اذ لا قناعُ فرضً بالباب الجسدُ
بسوى السياط ومن لها بعد العمدُ
بالسوط بل لطمت على عين وخذُ
إذ بالوصية صابراً قد كَفَّ يدُ
بعدَ النبيِّ وراح شملهم بددُ
ويروغُ ابناها وعن ارث تصدُ
وعلو حجتها على الخصم الألدُ
لا منجدُ وبها قد اشتد الكمدُ

لم أنس لَمَّا أوقدوا ناراً على
هجموا وبالباب البتول قد اختفت
وغدت بطه تستغيث ولم تُعَثُ
عُصرتُ وأسقطتِ الجنين وألّمت
واقنيد مقتادُ الأسودِ ملبياً
والهفتاه على الأطائبِ ما رُعوا
أيقادُ حيدرة وتؤذى فاطم
فُهرتُ ضلالا بعد طول خِصامها
رُغمت فعاتت وهي صيفر الكفِّ إذ

إلا ببشرى الموت أثواباً جُدُّدُ
 مهضومةً لم يرعَ حرمتها أحدُ
 جسدَ البتول ومدَّ للتغسيل يدُ
 بالمرتضى قبلَ الممات وان ضهد⁽¹⁾
 اثر السياط وكسرِ ضلع بالجسدُ
 وبكى أسيّ اسفاً وقد ضعف الجلد⁽²⁾
 فيه العزاء يعزُّ ممَّن قد ففدُ
 تحكيه في نُطق وفي مشي وقدُ
 وقت الوداع وما عراها من كمدُ

وتقمصتُ ثوب الهموم وما اكتستُ
 ولقد قضت مظلومةً مقهورةً
 لم أنس إذ وَضَعَ الوصيُّ أمامه
 كانتُ تكتُمُ ما عراها رحمةً
 فرأى بها ما هدَّ ركن الصبر من
 فهناك حنَّ شجى على ما نابها
 وقد انحنت منها الضلوعُ ومثلها
 وبفقدها فقد النبي فانها
 ولقد شجاني ضمُّها السبطين في

1- ضهد: ظهر.
 2- الجلد: التحمل.

ألوتُ على كلِّ من السبطين يدُ
 دفنت ولم يعلم بمنثواها أحدُ
 وقد أورتها أشياعها كمدَ الأبدُ
 بغياً بأن هموا باخراج الجسدُ
 ممَّا بها ومن الأعاذي لا تُعدُ
 كيف الوديعَةُ غيرُ سالمة تُردُ
 كيلا يساء بما عليها قد وردُ
 يخفى عليه اللطمُ من عين وخذُ
 من سلو على مرور الدهورِ

حنَّت وأنت من جوىِّ أبوي وقد
 لهفي لها ما شُيعت جهراً وقد
 ولدفنها سرّاً واخفا قبرها
 وغدا عزاء المسلمين لحيدر
 ولَكَمْ مصاب قد عراه بفقدها
 أو لم تكن في المسلمين وديعةً
 هب أنها لم تشكهم للمصطفى
 أتراه حيثُ يضمُّها ويشمُّها
 [83] ومن قصيدة أخرى له يقول فيها:
 ما لقلبي من بعد فقد النذير

فيه عن آله حمى المستجير (1)
فيهم ضلّة وراء الظهور
ووصايا طه ويوم الغدير
بهموم مستورة في الضمير
أو اجابوا هدى نداء البشير
فسعت سعيها لتلك الامور
ولتسل من صحيفة التأشير
القحوا فتنة ليوم النشور
خوف إفساد كيدها المستور
نصرة الدين كل امر خطير
نفس طه وبايعوا ابن الأجير
اخذوه من بيته كالأسير
وضلال الورى وغل الصدور
ومتى اقتادت القطا للصفور (2)
خافق من صنيعهم مذعور

هو يوم نعامه العزّ شالت
نبد القوم نصه والوصايا
وتناسوا وصية الله فيهم
فارتقوا مرتقاً عظيماً وهموا
ولعمري ما اسلم القوم رشداً
بل لغاياتها التي أمّلتها
سل ذباباً قد دحرجوها لماذا
ولما عادوا عن الجيش حتى
لم يقولوا النبي يهجر إلا
عجبا من عصابة ركبت في
عدلوا عن محمد فعلي
بأبي الصابر الملبب لما
جرّ القوم حلمه والوصايا
لو بهم هم لم يفدهم لفيق
وابنت المصطفى تنادي بقلب

1- نعامه العزّ شالت: ذهاب العز.
2- اللفيق: مجموع الفرق العسكرية والقطا طائر ضعيف.

ءأمنتُم لَمَّا صبرتُم ورُمتُم
لکم الویل کیف یُحمد صبري
ضُيِّعتُ بعده وديعة طه
فقدتُ احمداً واضحت تقاسي
أوذيت صغرّت مقاماً أريعتُ
لا تسلني عن الجنين لماذا
قل الى الضلع بعد كسرك قلبي
قد جفوها وليتهم تركوها
لستُ انسى اراكة قطعوها
منعت نحلة وارثاً بقول
كيف تأتي كذباً وتجهلُ حقاً
ولمّا نالها من الذلّ أمستُ
ربّ نشكو اليك فقدان طه
يابن شَمّ الانوف يا مدرك الثار

ضيلة تقتلون خير أمير
عن علي نفس النبي البشير
يا بنفسي ولم تجد من نصير
محناً قد اذبن صمّ الصخور
ضربتُ جهرة ولا من مجير
اسقطته او ضلعها المكسور
ماله جابر ليوم النشور
في فناها تبكي لفقد النذير
إذ تقيت بها بوقت الهجير
زوروه ورميها بالزور
وهي من اهل آية التطهير (1)
تتمى حلولها في القبور
واختفاء المغيب المستور
ومروي الضبا بفيض النحور (2)

1- آية التطهير من سورة الأحزاب رقم 33.

2- شم الأنوف: اي المستوي قصة أنه مع ارتفاعها وهو كناية عن الالباء.

أو تُغضي وفيئكم عاد نهياً
أو تغضي وفاطم قد عراها
قد دهاها ما نعص العيش حتى
انت ادري بما دهاها ولكن

بين... وكل وغد حقير (1)
ما عراها وانت خير نصير
لم تجد بهجة ويوم سرور
ضاق صدري عن كتفه في الضمير

لست أدري ماذا أبنتك ممّا
عُصبتُ جهرَةً وأخفي قبرٌ
ما اكتفتُ بالأذى حياةً فهموا
أمنَ العدلِ أنْ بضعةً طه
ليس يدري بقبرها زائروها
لا تلمها في نوحها إنَّ اشجى
لو تراهم عند الاياب حيارى
[84] وله هذه القصيدة الرائعة أيضاً:

قد عراها من كلِّ خطب كبيرٍ
ضمها خوف كل رجس كفورٍ
حين ماتت بنبشها في القبورِ
قبرها لم تجد به من خبيرِ
فتراهم في حسرة وزفيرِ
ما على الزائرين فقدَ المزورِ
دأبها بثُّ نفتهِ المصدورِ

يومُ البتولة في الوجود مهولُها
يومٌ به ابنا الهدى قد أيتمت
لولا تحملها المشقة والعنا
بابي وبى الصديقة الكبرى التي

ومصيبةً اشجى الرشادَ حلولُها
فكأنما قد مات فيه رسولها
لرشادها ضلَّ السبيلَ نبيلُها
بركاتها عمّت ودامَ جميلُها

1- الوغد كما مر ويأتي اللثيم.

لم تعدُ عن سنِّ الشباب ولم يطلُ
لم تشرق الدنيا بنور جبينها
ما طال في الدنيا بقاها انما
فأئمةُ الاسلام والحجج الألى
وإذ الورى انقلبنت على اعقابها
قضت المشيئة ان يكف المرتضى
فتحملت نوباً لو انصببت على
عادت عزيزة احمد وعدوها
الله كيف تتبعوها بالأذى

من جورهم بين الأنام حلولُها
إلا تعجلَ بالحمام أفولُها
الخيرُ الذي قد اعقبته طوبلُها
لهم ارتضى باري الانام شبولُها
بعد الرسول وسادها ضليلُها
وبفاظم يبقى الهدى وخليلُها
الايام كانت لليالٍ تحيلُها
ماشاء يفعل والعدو جهولُها
حتى بمثوى كان فيه حلولُها

ليست كفاطمة الرضية مريم
فلئن تكن سادت نساء زمانها
أو اعقت عيسى المبارك فهو من
أو أنها أبتليت ببعض مصائب
والطهر ما ابتليت وقد عظم البلا
أنى يُقاس بعلة معلولها
فبسر فاطمة غدا تفضيلها
أتباع محيي الحق وهو سليلها(1)
فعن القضا المحتوم كان نزولها
لولا رضاها بالبلا وقبولها

1- حيث دلت النصوص على نزول عيسى المسيح (عليه السلام) لنصرة الإمام المهدي (عليه السلام) وأنه يصلي خلفه وهذا من ادلة تفضيلهم (عليهم السلام) على الانبياء والرسل لقبح تقديم المفضول على الفاضل.

ولئن تكن وضعت بعيسى وحدها
والطهر في بيت النبوة وضعها
ووليدها قرت به عيناً على
وجنين احشا فاطم في قتله
ولأن تكن صديقةً ولغسلها
فالمرتضى قد غسل الزهراء إذ
لكن روح الله غسلها وما
والمرتضى ألم الفراق هناك قد
امغسل الزهراء عز عليك ما
اتراك تعلم ما بجسم قمت في
انسية حوراء حل بجسمها
عذراً بايصائي اليك وأنت من
فارفق لدى التغيل بالجسد الذي
لم يبق عضو سالم فتمسه
والضلع مكسور وجرح مؤلم
في القفر لم تر ما هناك يهولها(1)
وبها احاط عدوها وعدولها(2)
رغم العداة ولم يخب ممولها
سر الأعادي والبتول تكولها
ولي ابئها إذ ليس ثم مثيلها
هو كفوها في عصمة وعديلها
اشجاه إلا بعدها ورحيلها
انساه ما منه تطيش عقولها
قد نالها من ذا سواك كليلها
تغسيله ممأ جنى ضليلها
ما لو يحل على الجبال يهيلها
كل الوري اولى وانت حليلها
لو لامسته يد أضر حلولها
بل كل عضو عاد وهو عليها
بالثدي والجسم اعتراه نحولها

- 1- القفر: المكان الخالي.
2- العذول: اللائم.

يدعو بخير الرسل إذ غلب الأسي
قلّ اصطباري عن صفتك التي
وبعين ربّ العرش تُدفن فاطم
فلتحف فاطمة السؤالُ فحقّ ان
وبأيّ شيء تخبر الهادي وما
اتقول اضرم باب داري جهرة
اتقول داري حيث لا إذن ولا
اتقول من حنق جنيني اسقطوا
مولاي عزّ عليك خير وديعة
أترد بضعه احمد في حالة
وعداك لوم سيدي لكنه
لولا الوصية ضاق من قتلى العدى
فاليك سيدة النساء قصيدة
[85] وله ايضاً في رثائها مخاطباً لأمير المؤمنين (عليه السلام).
اولى وأرف منك بالزهراء
لم يعطني صبراً عن الايصال

- 1- النذب: النجيب.

رفقاً بها إن ما تشاء تقلبها
رفقاً بها اني عليها أختشي
في الثدي بالمسمار جُرْح مؤلم
ويضلعها بالعصر كسرٌ مبهضٌ
[86] وله في رثائها (عليها السلام):

مولاي للتغسيل عن إيذاء
أيذائها حتى بصب الماء
وتورمٌ بالسوط في الاعضاء
والجسم منتحلٌ من الارزاء

يحق لأشياع البتولة انهم
يعزون فيها حيدراً حيث لم يجد
لقد جبروا كسرأعراه بفقدها
فما صنعوا او حاولوا كان مَصدراً
فان ابتزاز الأمر قد كان مَصدراً
وعن همهم بالنبش بغياً لقبرها
[87] وله أيضاً:

يقيمون حزناً في عزاها مدى العمر
سوى شامت في موتها مشتقى الصدر
فهموا بنبش الطهر من باطن القبر
لِمَا كابدتُ ابناؤها من ذوي الغدر
لغصب يزيد نجلها بادعا الأمر
تفرع نبش القوم قبر فتى الطهر

ادركت في المعاد اقصى منهاها
تعبدُ الله وحده لا هواها
يرشدوهم على سبيل هداها
بعث الله للورى أبقاها
بل بارشاده أتت انبيهاها

كل نفس لم تتبع اهواها
لم يكن خلقهن إلا لكيما
والى الخلق أرسل الرسل حتى
لم تزل حجة على الخلق حتى
احمداً خير من دعا لرشاد

سال ابدى معاجزاً لا تنهاى
بالذي نُجحها به واهتهاها
وبنيه وبافتراض ولاها
وما إستمسكت بغير هواها(1)
هل دعاها لذاك غير عماها

وعلى صدق ما ادعاه من الار
ثم ما زال في البرية يوصي
مُعَلِّماً باجتبا الآله علياً
قرن الآل في التمسك بالذكر
ما لقوم عن حيدر قد تولوا

والنبي الأمين في يوم حُمّ
وقضى المصطفى فحادث عن الآل
نكثوا بيعة الوصي ووالوا
وتولوا عن حيدر ورسول الله
ولقد نوّه النبي بذكرى
فتولوا مستكبرين كأن لم
صعرت قدرها وقد شاهدت من
ورأوا عزة لها لم تتلها
وهي مخدومة الملائك كل
كيف لا وهي بنت خير نبي

علماً قد أقامه لا هتداها
كأن لم يكن بها اوصاها
من اقامت مقامه اهاها
ما حل جسمه غيرها
فاطم وارتضائها واجتباها
يسمعوا مدحها وطيب ثناها
جمل الفضل جملة لا تنها
ذات عز في العالمين سواها
فخره ان ينال منها رضاها
ساد من في سماها وثراها

1- اشارة الى حديث الثقلين المتواتر.

ضرب الدهر ضربة فاذا النار
لم يروا حرقه بمن فيه امراً
وعليها في بيتها وهي حسرى
لطموا الخد لكمة أورثتها
كسروا الضلع ورموا المتن وا
يا بنفسي محرومة من تراث
فأنت مسجدة النبي بعين
ثم أنت بأنة أجهش القوم
فتأنت عن المقال إلى ان
ثم ألفت مقالة حار فيها
وأبانت هنالك حكمة التكو

تلظى ظلماً بباب فناها(1)
مُنكراً فعله وعنه تنها
هجموا اسقطوا جنين حشاها
حمره العين ليت نفسي فداها
لجنب بضرب الشياطين ما أجفاها
من ابيا ونحلة اعطاها
ماؤها لم يقم بإطفا جواها
لها بالبكا وهم أعداها(2)
سكنوا من نشيجهم لباها(3)
حكماها وأخرست بلغاها(4)
ين للخلق واقتراض ولاها

وتجلى الحقُّ الصِّراخُ عياناً
فطووا كلَّ حجةٍ نشرتها
واستغاثتُ بالمسلمينَ فأغضى

ورأوه كالشمسِ رآدَ ضحاها
بحديثٍ مُخلَقٍ بإفترائها
الكلُّ عنها ولم يُلبُّوا نِداها

1- ضرب الدهر يعني أهله.

2- أجهش بالبكاء: تهيأ له.

3- النشيج: الغص بالبكاء بلا انتخاب.

4- المقالة هي خطبتها العظيمة وهي المذكوره في الاحتجاج وكشف الغمة وغيرهما.

الصفحة

417

أهي تشكو ممن سواها اليها
لست أنسى عتابها لعي
انت من وابن من ويغصب حقي
وابوك الحامي ابي من قريش
وبما ضيك كم كشفت كروباً
انت سيف الاله ضارب عمرو
كيف لم تحمني من القوم بالسيف
كنت في عزة على باب داري
وبمراى ومسمع منك قهراً
وتحملت منهم فيك مالم
ليتني مت قبل ذلي ومن لم
لا تخل عتبها على المرتضى عن
كيف لا ترتضى فعال علي
هي معصومة كحيدرة بل
هي من يسخط الاله ويرضى

ام اليها منها اغتدى شكواها
حين آبت مرغومة بجواها
بأباطيلها وأنت تراها
حين هممت به بماضي شباها(1)
عنه إذ فر صحبه في وغاها
ضربة فخرها ليوم جزاها
وشأن الرجال تحمي نساها
يطلب الإذن والدي ان أتاها
دخلوا حيث لا خمار فناها
استطعه وما كفت اذاها
ترتض الذل كان فيه مناها
سخط فعل أتاها لا وعلاها
وهو يقفو في كل فعل أبها
حكّم ثم في العتاب تراها
عند سخط منها وعند رضاها(2)

1- يعني ابو طالب المحامي عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

2- اشاره إلى ما رواه الفريقان من حقها عن أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك مستدرك الحاكم ح 3 ص 154 ولعمري هو واضح الدلالة على عصمتها لأنه بوجه مطلق حالا وزمانا وفيه حكمة بتقديم الغضب على الرضا.

الصفحة

418

اترى يَسْخَطُ الالهَ ويرضى	لرضاها لو كان عن أهواها
يا بنفسى عليمَةً كانَ فيما	صنعتُهُ أحيا شريعة طه
كشفتُ عن سرائرِ القومِ فيما	فعلتُهُ وبانَ خبثُ انطواها
ولسخط منها على القومِ أوصت	لعلي بدفنها في دُجائها
فهناك ازدادوا عُتُوًّا وهموا	من عناد ان يَنْبشوا مثواها

الصفحة

419

عبدالله الخباز القطيفي

عبّرت الذات الشيعية عن رفضها لكل ممارسات الظلم من قبل الانظمة السياسية غير الشرعية المتعاقبة على حواضر الأمة الإسلامية، ذلك بما أقرته مسلمات أصول العقيدة الامامية من مسألة الانتظار، وانتظار الفرج فلسفة الحركات المتمردة على كل واقع ظالم مارسته أنظمة الطغيان، ونزعة الثورة بدت على الثقافة الشيعية لتشكل مَعْلَمَةً من معالمها، وغدى برنامج الإصلاح ينطلق من هذه الفلسفة والانتظار لا يعني تأجيل محاولات تفعيل الأمة مع الواقع الحياتي الماش، أو عزل الانسان عن محاولات الكمال

الصفحة

420

والرشد والنضوج، بل يعني تشكيلة العقل الإسلامي بما ينسجم والواقع العملي، وبما يؤدي إلى ترتيب النفس للوصول إلى أسباب الرقي والكمال الذي يؤدي أخيراً إلى الحركات التصحيحية المنبعثة من الذات أو تلك المنطلقة من الامة الإسلامية لاعادة صياغتها وتركيبتها.

لذا فقد بدت هذه الفلسفة على أدبيات الشيعة ومسحت أعمالهم بالثورة الدائمة المناهضة لكل ألوان الحيف، وترجمت ذلك بمحاولات التغيير المباشر مرة، وباستنهاض الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) الذي يؤدي أخيراً إلى الثورة الباعثة للتغيير مرة أخرى، وجعل الشاعر قضية الإمام الحسين (عليه السلام) محوراً مهماً لبث الشكوى التي من خلالها يبرر ظهور الإمام (عجل الله فرجه الشريف) ونهضته الإصلاحية، لذا أحرز تقدماً ملحوظاً في قصيدته على صعيد إظهار مظلومية آل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم. شكّلت مظلومية الزهراء (عليها السلام) مطلباً مهماً في اظهار ما جرى على آل البيت (عليهم السلام)، وكوّنت رؤية واضحة لقراءة التاريخ الإسلامي المقهور، فترى الشاعر عند ذاك يعنّون مظلومية آل البيت (عليهم السلام) بمأساة الزهراء (عليها السلام) ويجعل من قضية اسقاط المحسن فاتحة لهذه المأساة، وتكون حينئذ مصائب آل البيت (عليهم السلام) منطلقة من هذه الفاجعة الكبرى.

وهذا ما فعله الشاعر الخطيب الملا عبدالله ابن الحاج متروك المعروف بالخباز، فقد بدأ قصيدته باستنهاض الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف)، وقدم تبريرات النهوض على أساس استقراء تاريخي لمجريات الاحداث الدامية التي حفل بها تاريخ آل البيت (عليهم السلام)، وصاغ قصيدته من هذه الاحداث، وقراءة لبعض قصائده يظهر لك هذا المعنى بوضوح.

توفي الشاعر عبدالله الخباز القطيفي سنة 1362 هـ (1)، وكان تقياً ورعاً صالحاً... وكان أديباً شاعراً يقول الشعر في المناسبات وغيرها، له ديوان كبير.

* * *

[88] قال في رثاء آل البيت (عليهم السلام) مستنهضاً الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف).

ولا نرى غيرك يجلو البلا	قم يابن طاها فالبلا قد علا
يا فرج الله بكل الملا	قد ضاقت الدنيا بأرجائها
من العدى فينا البلا أنزلا	قم يا غياث الخلق وانظر لنا
والجهل ما بين الملا قد علا	قد طمس الدين وضاع الهدى

إلى أن يقول:

قم جرد البتار من غمده
قم فادرك الأمة يا سيدي
قم يا عماد الدين عجل لنا
وادع الاعادي صرعا في الفلا
لقد دهاها من عداها بلا
فالكل منا عيشه ما خلا

1- شعراء القطيف قديماً وحديثاً. علي المرهون: 247 مطبعة النجف.

الصفحة
422

إلى متى نلتاك في سابق
وراية الحق نراها وقد
أما وعى سمعك يابن الهدى
قد أسقطوا الزهراء ست النسا
وأضرموا النار بباب لها
وجدك الكرار من نوره
ومن بيوم الحرب لم يختشي
ملبياً سحياً غدا للعدى
حتى قضى من سيف أشقى الورى
وعمك الزاكي سفته العدى
وفي عراض الطف يا سيدي
إلى آخر القصيدة
مجرداً للسيف تبري الطلا
حف بها جندك يابن العلا
ما حل فيكم من شرار الملا
بضعة من رب السماء فضلا
والحق منها جهرة أعز لا
للبدر في أفق السماء أخجلا
بيض الضبا والموت قد أقبلا
عليه دين المصطفى أعولا
من بعد ما قاسى ضروب البلا
سما نقيعاً للحشا أشعلا
جدك سبط المصطفى جدلاً(1)

1- شعراء القطيف قديماً وحديثاً علي المرهون: 247 مطبعة النجف.

آية الله الحجة

الشيخ هادي آل كاشف الغطاء

برهن الأدب الشيعي أن القصيدة الشعرية تستطيع أن تستوعب أكثر من غرض واحد، ذلك أن القصيدة العربية التي تتحكم بها القافية تنحسر أغراضها الشعرية في مجالات ضيقة مداراة للقافية الموحدة التي تلتزمها القصيدة الشعرية، لذا فإن القصيدة العربية يكاد بعضها أن يكون محاولات مكررة في المضمون حتى يأتي الشاعر إلى نهاية القصيدة وهو يدور في فلك الغرض الشعري الواحد، فيلجأ الشاعر إلى تجديد محاولاته للتعبير عن

أغراضه الأخرى.

وفي الأدب الشيعي تحررت القصيدة العربية عن قيد القافية، وحاول الأديب الشيعي أن يتحرر من قيود القافية الموحدة إلى القافية المتعددة ضماناً لحرية تحركه في التعبير عن أغراض أخرى متنقلا في القصيدة الواحدة بين مناطق شعرية تمتد إلى مسافات شاسعة. استطاع الأديب الشيعي في فن الارجوزة . ذات القافية الموحدة في الصدر والعجز للبيت الواحد والمختلفة القوافي للأبيات الأخرى . استطاع أن ينفلت من قبضة القافية الواحدة ليتحرر إلى رحاب القوافي المتعددة الأخرى فيبث في قصيدته أغراضاً عدة لتستطيع القصيدة أن تستوعب عدة أغراض في مجال شعري واحد.

ولعل اختصاص الادب الشيعي في فن الارجوزة دون غيره من الاداب الاخرى هو تعدد الغرض لدى الشاعر فيسلك مسلك الارجوزة ليقدم من خلالها مشروعاً أدبياً سردياً يسرد من خلاله اطروحته الفلسفية أو توجهاته العقائدية أو مبتنياته العلمية، فيتعامل مع ارجوزته كمفردة اعلامية ناضجة وذلك في غياب المجال الاعلامي الذي تأخذ بزمامه المشاريع الأدبية الحاكمة والتي تترنح في رحاب اعلامي مفتوح ويبقى الأديب الشيعي مكتوم الانفاس مضطهد الحس لا يستطيع التعبير عن هواجسه أو بث مشاريعه العقائدية الا من خلال القصيدة الواحدة . الارجوزة . المتكفلة في بث توجهاته دون أن ليجأ إلى عدة قصائد تكلفه

توزيعها أو انشادها الشيء الكثير في ظل ظروف أمنية قاهرة متسلطة، يذهب ضحيتها الشاعر ومدرسته الأدبية الملتزمة.

هذه هي حيثيات "الفن الارجوزي" في ظل الأدب الشيعي، ومن هنا تعامل آية الله الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء مع المشروع الفاطمي، فبث من خلال ارجوزته تفاصيل القضية الفاطمية واستقرء التاريخ ليستل وقائعها التي صحت لديه سنداً ومضموناً فقدمها اطروحة أدبية ناضجة، كما هي تقارير عقائدية مسؤولة، تصدر عن فقيه مجتهد متتبع.

* * *

[89] قال في وقائع الحدث الفاطمي من أرجوزته الطويلة:

فاطمة خير نساء الامة	من كل ذنب عصمت ووصمة
خير النساء فاطم الزهراء	يزهر نورها إلى السماء
قد فطمت عن الجحيم الحاطمة	شيعتها فسميت "بفاطمة"
ما مثلها في كل اقربائه	لا من بناته ولا نسائه
قد ولدت من بعد عام البعثة	وقد حوت دون بنيه ارثه
وكان منها دون من عداها	من اهله نسل النبي طاها
"أم ابياها" وهي ام ابنه	احب أهل بيته اليه
لولا (علي) لم يكن كفؤ لها	من (آدم) إلى من الخلق انتهى
من بهم تاب الآله وعفا	عن آدم وقد كفاه شرفا

ومن بهم باهل سيد الورى	وقل تعالوا امرها لن ينكرا
"وهل اتى" في حقها وكم أتى	من آية ومن حديث ثبتا
لما رووه في الصحيح المعتبر	من انها بضعة سيد البشر
وبضعة المعصوم كالمعصوم	في الحكم بالخصوص والعموم

فحقها في حكمه أن تتبعه
فاننا بذاك لا نقول
في شأنها فالحكم لن يطردا
عصمتها من الذنوب كمالا
طهرها في الخلق عما وصما
فاطمة يغفر له ما فعلا
بالمصطفى في الخلد حيث كانا
في شأنها لم يرع حق القربى
شهرًا وعشرا فعلى الدنيا العفا
قد بقيت بعد ابنيها الطهر
وخمسة تكون بالتمام
وما ذكرناه هو الذي اشتهر
انسبها بمقتضى الاحوال

لانها من نفسه مقتطعة
الا الذي اخرجه الدليل
ولم يرد في غيرها ما وردا
وأية التطهير قد دلت على
اذهب عنها ربها الرجس كما
صل عليها ان من صلى على
وربه يلحقه امتنانا
ويل لمن ماتت عليه غضبي
قد بقيت بعد ابنيها المصطفى
وقيل شهرين ونصف شهر
وقيل تسعين من الايام
وقيل في ذلك اقوال اخر
هذا ولكن اول الاقوال

وسيء الافعال والاقوال
لزلزلت من وقعه زلزالا
من بعد هاتيك الخطوب والمحن
وقعة بين (الباب والجدار)
قد روعوها، واخافوا ابنيها
منهم على ابن عمها مولى الورى
يقاد بالنجاد قود الأسرى
وقلة الانصار والاعوان
ولم تجد في القوم من اغاؤها

فانها لاقت من الاهوال
مالم يلاق بعضه الجبالا
وكيف تبلى مدة من الزمن
يكفى لموتها من الاخطار
في دارها قد هجموا عليها
وشاهدت بعينها ما قد جرى
من بيتها قد اخرجوه قهرا
رأت من الذلة والهوان
ومن ابنيها منعوا ميراثها

لم يحفظوا بضعته من بعده
لقد اضاعوا حقها جهارا
وطلبوا بيئته منها على
ما طلبت لأن يصيبوا رشدا
كأنهم لم يعلموا امر (فدك)
أكان يخفى امرها عليهم
وهل بهذا الامر من خفاء
وكيف تستعظم غضبهم فدك

ويحفظ المرء بحفظ ولده
وانكروا حجتها انكارا
ما كان تحت يدها مستعملا
ما طلبت إلا لأن تردا
ولا دروا بمن لها كان ملك
ولم يصل من مخبر ايهم
وانها نحيلة الزهراء
أو يعتريك اليوم في ذلك شك

وقد جنوا ما هو ادهى وأمر
خلافة تقمصوها غصبا
واغتصبوا من الوصي حقه
لو راقبوا معادهم وانصفوا
هل فيهم من اقتفى آثاره
وهل لهم من العلوم والحكم
له من الفضائل المأثوره
علماً تقى شجاعة فصاحة
هذا مع الغض عن النصوص
من آية تتلى ومن نص خبر
واوضح الحق النبي الأمي
فمن ترى اولى بهذا الأمر
وكيف والتقديم للمفضول
باسم أمير المؤمنين اختصا

وارتكبوا امراً عظيماً ذا خطر
من اهلها وانتهبوها نهبا
ولم يراعوا قربه وسبقه
لأذعنوا لأمره واعتزفوا
أو شق في مكرمة غباره
معشار ما قد صح عنه وارتسم
مالم تسعه الصحف المنشوره
زهداً حجي عبادة سماحة
عليه بالعموم والخصوص
عن النبي المصطفى قد اشتهر
للناس طراً في "عدير خم"
فاحكم بوجودك ياذا الخبر
تمنعه اوائل العقول
وكم على هذا حديث نسا

وان يكن ذلك من ابناه
ونفسه تحل في جنبيه
به كهارون يشد ازره

فلا تسم احداً سواه
اخو النبي وابو سبطيه
اخوه وابن عمه وصهره

الصفحة
429

بعد نبي الحق سيد العرب
والله لن يقبل منه عمله
ولا تداني حلمه وقدره
وغصبها حقوقها وهضمها
ثم يرى بعينه بكاها
أوانها بعد ابيها تظلم
أو عجزاً عن النضال وخور
أكبر آية على وجوده
وما انطوى في علمه المكنون

أفضل من صلى وصام واقترب
من لم يواله فلا ايمان له
لا تصبر الشم الرعان صبره
شاهد فيها "فاطما" وظلمها
يسمع ملاً سمعه شكواها
ما كان يرضى انها تهتضم
أكان منه ذاك جنباً وحذر
لا والذي كونه بجوده
بل ذلل النفس لعز الدين

الصفحة
430

الصفحة
431

آية الله العلامة الحجة

السيد محمد حسين الكيشوان القزويني

اختلفت المدارس الأدبية في تفسيرها للشعر، فمنها من فسره على انه انعكاسات سايكو
لوجية تنبعث من هواجس الشاعر واحساساته، ومنها من فسره على انه حالة عيئية تملئها

ظروف الشاعر المترفة لتخرج توجهاته من بين تراكمات نفسية عابثة تعكس شهوة النفس وانفلاتها.

وأخرى تعاملت معها على انها نضوج للحركة التربوية التي تتأطر بقيم وأخلاقيات المدرسة الأدبية التي ينتمي اليها الشاعر فيبنيهاً أفكاراً ومبادئ

تعبّر عن قناعاته وغاياته.

أما المدرسة الأدبية الإمامية فقد جعلت القصيدة الشعرية آلية الحوار والتفاهم بين الاجيال، وهي الاطروحة الفكرية والأخلاقية التي يقدمها الشاعر ليعكس من خلالها حواريات مدرسته العقائدية في توجهاتها وطموحاتها الفكرية فالشعر إذن . في المدرسة الإمامية . أخلاقية تعبيرية عن طموح وانتماءات الشاعر وقيمه ومبادئه الملتزمة. هذه الحالة تتعكس في شاعرية العلامة الحجة السيد محمد حسين الكيشوان الذي أطر مشروعه الأدبي بطموحات مدرسته العقائدية التي تأمل في القصيدة الشعرية الملتزمة أن تكون رسالتها المعبرة عن ذاتها وطموحاتها، لذا جاءت مقطوعته الفاطمية خلاصة هذه التوجهات وانعكاساً لقيمها، فالمأساة الفاطمية حالةً وجدانية ناضجة يبنيها الشاعر تعبيراً عن توجهاته الملتزمة التي تملئها عليه أدبيات عقيدته، ومعالجتها تعبيراً عن حالة وعي يصل اليها الشاعر لمعرفة واقع الأمة وسلامة موقفه من قضاياها العقائدية المصيرية. أرّخه المحقق علي الخاقاني بقوله: عالم فذ وشاعر فحل أوتي كثيراً من المواهب العلمية والأدبية... له ديوان مخطوط وله قصائد خالدة في مرثي الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت له حلقة تدريس يحضرها الكثير من رجال الفضل، فهو من المجتهدين المحققين وله احاطة بكثير من العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك ولد عام 1295 هـ في النجفوتوفي فيها 1350 هـ(1)

1- وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) للسيد عبد الرزاق المقرم: 142.

مالك لا العين تصوب ادمعاً
فايما قلب اتاه نبؤ
أما وعى سمعك ما جرى بها
وما دريت باللذين استنهضاً
سلا من الاحقاد سيف فتنه
وانتهزها فرصة فاحتلباً
واتبعنا نهج الهدى وجانبا
فليت شعري أي عذر لهما
وأى قريى وصلا منه وعن
فقل (لتيم) لا هديت بعدما
خف لداعي الكفر نهضاً فانثنى
فقام وهو يستقبل عثرة
درى بان (فاطما) بضعته
كيف يطيب شيمة وعنصرأ
واجتمع الناس عليه ضلة
واظهروا باطنة الكفر عمى

منك ولا القلب يذوب جزعا
الشورى فما ذاب ولا تصدعا
فاي سمع فاته وما وعى
جالية الغي لهبت سرعا
نتاجها من الضلال البدعا
من ضرعها كأس النفاق مترعا
من الرسول شرعه المتبعا
وقد اساء بعده ما صنعا
عترته حبل الولا قد قطعاً
طاف اخوك بالضلال وسعى
بتقل أعباء الشقا مضطلعا
كبا على الغي بها فلا لعا
فما رأى حرمتها ولا رعى
وعن اروم البغي قد تفرعا
ففرقوا من الهدى ما اجتمعا
مذ ابصروها فرصة ومطمعا

وخالفوا نص الولاء بعد ما
وغادروا حق البتول نهلة
وافتننوا من ولع بسورة
واودع الثقلين فيهم فابوا
وجمعوا النار ليحرقوا بها
بيت علا سمك الضراح رفعة

اماط عن وجه الرشاد برقعاً
تجرعوها بالضلال جرعا
الدنيا هاموا بالدنايا ولعا
ان يحفظوا (لأحمد) ما استودعا
البيت الذي به الهدى تجمعا
فكان اعلا شرفا وامنعا

اعزه الله فما تهبط في	كعبته الاملاك إلا خضعا
بيت من القدس وناهيك به	محط اسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى المرتجى والملتجى	فما اعز شأنه وامنعا
فعاد بعد المصطفى منتهكا	حريمه وفثيه موزعا
واخرجوا منه عليا بعد ما	ابيح منه حقه وانتزعا
قادوه قهراً بنجاد سيفه	فكيف وهوالصعب يمشي طيعا
فعاد إلا انه عن حقه	صد وعن مقامه قد دفعا
ما تقموا منه سوى ان له	سابقة الاسلام والقربى معا
واقبلت فاطم تعدو خلفه	والعين منها تستهل ادعيا
فانتهروها بسياط قنفذ	وكسروا بالضرب منها اضلعا
فانعطفت تدعو اباها بحشى	تساقطت مع الدموع قطعيا

يا ابنا هذا (علي) اعرضوا	عنه ضلالا وابن تيم تبعيا
اهتف فيهم لا ارى واعية	تعي ندائي لا ولا مستمعا
امسى تراثي فيهم مغتصبا	مني وحقي بينهم مضيعا
وانكفأت إلى علي بعد ما	تجرعت بالغیظ سماً منقعا
قالت اتغضي والنفاق صارخ	حتى استعاذ الدين منه فزعا
ونمت عن ظلامتي عفواً وانت	الموقظ العزم اذا الداعي دعا
احجمت والذئاب عدواً وثبت	فاقحمت منك العرين المسبعا
ولنت اخدعك في الضيم وما	عهدت منك ان تلين اخدعا
وكيف اضرعت على اذل لهم	خدك وهو للعدى ما ضرعا
عز عليك ان ترى تسومني	من بعد عز "قبيلة" ان اخضعا
تهضمتي بالاذى ولم اجد	مأوى اليه التجى ومفرعا

الفيتها معرضة عني وما
فقال يا بنت النبي احتسبي
واجملي صبراً فما ونيت عن
فاسترجعت كاظمة لغيظها
حتى قضت من كمد وقلبها
قضت ولكن مسقطاً (جنينها)

ابقت بقوس الصبر مني منزعا
حقك في الله وخلي الجزعا
ديني ولا اخطأت سهمي موقعا
مبدية حنينها المرجعا
كاد بفرط الحزن ان ينصدعا
مولعاً فؤادها مروعا

قضت ومن ضرب السياط جنبها
قضت على رغم العدى مقهورة
قضت وما بين الضلوع زفرة

ما مهدت له الرزايا مضجعا
ما طمعت اعينها أن تهجعا
من الشجي غليلها لن ينقعا(1)

1- وفاة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)! 14 ووردت كذلك في مثير الاحزان: 105
محمد كاظم الكنتبي المكتبة الحيدرية النجف 1385.

الملا حسن الجامد القطيفي

من رموز النهضة العلمية القطيفية التي كانت من ميزات القرن الثالث عشر الهجري،
فقد واجهت الارض القطيفية حملات العقائد السلفية القادمة من نجد الجزيرة إبان هذا القرن،
واشتدت هذه الحملات لتنتج وجودات سياسية تحكم بلاد الحجاز وما ولاها من الأرض
الإسلامية، وكانت بلاد القطيف تحت وطأة هذا النظام السياسي . العقائدي، وحاول
السلفيون الهيمنة العقائدية على أهلها كما استطاعوا الهيمنة السياسية عليهم من ذي قبل،
إلا أن القطيف ذات الاصول العريقة بالولاء لمذهب آل البيت (عليهم السلام)

جندت نفسها للدفاع عن حوزة المذهب ومبتهياتها، وسجّل أهلها وثبتهم في الوقوف أمام التيارات الفكرية، والصمود بوجه الهجمات العقائدية، وكان في طليعتهم علماءهم الريانيون الذين عرفوا بتاريخهم الجهادي المجيد، وأكدوا في محاولاتهم المقدسة، أن القطيف جزء من حاضرة التشيع الامامية وعضو فعّال من جسد الوجود الشيعي الذي يبسط ذراعه على شواطئ الخليج الإسلامية.

كان في طليعة هؤلاء المجاهدين عن هذا الوجود المقدس، الملا حسن الجامد الذي عرف بمواقفه الولائية والتي تميز بها أهل القطيف عامة، وعلماءهم خاصة، فكان قد امتحن الخطابة منذ نعومة أظفاره لما وجد فيها من أداة للتعبير عن الهاجس الشيعي المهدد من قبل المد السلفي، وأضاف إلى مهمته الخطابية مهمة الأدب التي عبّر فيها عن مبتهيات عقيدته الحقّة، وكان في رثائه للأئمة الاطهار (عليهم السلام) محاولة جادة لاستقراء التاريخ، فظهر من جملة ذلك مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) وأكد من خلالها تاريخاً مليئاً بالمحنة والمأساة.

توفي رحمة الله سنة 1375 هـ (1) عن عمر ناهز الثمانين عاماً، قضاه بالدفاع عن المذهب الحق.

1- راجع شعراء القطيف للشيخ علي المرهون: 278.

[91] قال في رثائه للسيدة الزهراء (عليها السلام) و مخاطباً الامام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

يا ذماماً به الوجود استقاماً	قم سريعاً واستنقذ الإسلاماً
كل عام بل كل يوم جديد	منك ترجو بابن النبي القيامة
الوفا الوفا يانجل طاها	علنا نشنقي ونقضي المرما
أفتنسى ما قد جرى بعد طه	من خطوب تحير الاحلاما
نكت القوم بيعة المرتضى الها	دي ولم يرقبوا لطاها ذماما
عزلوا حيدرأ وقد أخروه	عن مقام فيه الإله أقاما

وأثوا داره وجروه حتى
والبتول العذرا بضعة طه
غضبوا إرثها عناداً وظلماً
أسقطوها وقنعوا متتها
ثم عاشت بالذل والهضم حتى
إلى آخر قوله.

أخرجوه ملبياً مستظاما
كأبت منهم أموراً عظاما
لطموا خدها ورضوا العظاما
بالسوط لم يجعلوا لظه احترامما
لحقت بالنبي تشكو إهتضاما(1)

1- نفس المصدر.

الصفحة
440

الصفحة
441

السيد صالح الحلي

إذا استطاعت النهضة العلمية النجفية إبّان القرن الرابع عشر الهجري أن تحتفظ بفحول مجديها من الفقهاء والاصوليين كالسيد كاظم اليزدي والسيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ النائيني والشيخ محمد حسين الاصفهاني، فانها استطاعت أن تبرز تقدماً كذلك على الصعيد الخطابي على يد مجددها السيد صالح الاعرجي الحلي، فقد استطاع هذا المجدد المبدع أن يضيف إلى الخطابة تحقيقات علمية يستطيع من خلالها الخطيب أن يفتح على آفاق المستمعين ليهيمن على كل توجهاتهم العلمية.

الصفحة
442

استطاع السيد صالح الحلي أن يجدد المنبر على أنه الوسيلة الاعلامية الناضجة التي يتاح للشيعي أن يعبر عن مظلومية أئتمته الاطهار (عليهم السلام)، وفي الوقت الذي أرصدت الأبواب الاعلامية بوجه الفكر الشيعي، فان المنبر الحسيني الذي يعلوه أمثال السيد صالح الحلي قد سد فراغاً اعلامياً واسعاً، فحاول منبر الحلي أن يبيث إلى أقطار الارض

قضية الآل المظلومين، حتى وُقِّق في إيصال صوت هادر اخترق كل الأسماع، ولعل الذي ساهم في إنجاح مهمته هي جديته في التحقيق التاريخي الذي يبحث عن أصول مظلومية آل الرسول (عليهم السلام) ويغوص في أعماق المأساة الأولى التي سببت هذه السلسلة من الفجائع، فلم يكن السيد صالح الحلي منبرياً يهْمَش الحدث على أنه فاجعة تاريخية، بل كان يؤصِّل الحدث على أنه العامل المهم في خلق الذات التاريخية الإسلامية التي نقرأها، لذا فقد استطاع أن يخترق كل حدود التهميش ليدخل في دائرة التحقيق الواسعة التي أدخلته إلى أول مأساة قدّمتها الاحداث المرتجلة وقتذاك، فكانت مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) الحدث المهم الذي يجب أن يتناوله ليقدم قراءة ممتازة للأحداث الإسلامية التالية، وهكذا جاءت قصائده المتعددة تأكيداً لهذا المعنى، فاستطاع من خلالها أن يقرأ التاريخ إلى المستقبل البعيد من خلال فاجعة الدار واسقاط المحسن (عليه السلام)، واستطاع أن يربط بين هذه القضية وبين الفجائع الأخرى التي حلت بساحة آل الرسول واكتسحت مأساتها أمة من الناس.

قدّم عدة قصائد فاطمية فأجاد في استجلاء الحقيقة وقدّم المأساة بأحسن صورتها.

[92] ومن قصائده:

يحدد ذائك الا (الأحد)	أبا حسن) ليس كيف وحد
وقلت هو الله لولا الولد	ولولا حدوثك قلت القديم
لقد ضل من في الوجوب اعتقد	فيا ممكناً قيل فيهاالوجوب
فقال وقال بلا مستند	فما بالهم اهملوا عقلهم
وليس لذلك (ند وضد)	ويا شامخاً لم تضعك العقول
ولم يحص فضلك (حد وعد)	تحير بك الفطن الغائصات
ولولاك رب الورى ما عبد	ولولاك ما عرف الدين قط
وأنت لسبع الشداد الوند	فأنت لرفع السماء العمد
عجبت بابك قسراً تُسد	ويا قالع الباب من (خيبر)
ايحرق بابك (عبد نكد)	أباب مدينة علم النبي

ويا قائد الشوس يوم الوغى
الست المكسر أو ثائها
فوا عجباً كيف يجري القضاء
إذا ما دهتها دواهي الخطوب
جميع الشهود له (بخبخت
أيكسر ضلع إبنة المصطفى

ومردى بسيفك (عمرو بن ود)
وقاتل شجعانها في أحد
وكيف تقود (يد الله) يد
تصبح به يا علي المدد
وانكره كل من قد شهد
ويسقط بالعصر منها الولد

وتلطم جهراً على خدّها
[93] وله في استنهاض الحجة (عجل الله فرجه الشريف) ورثاء الزهراء (عليها السلام):
يا مدرك النثار البدار البدار
وأتي بها شعواء مرهوية
يا قمر التّم أما أن أن
يا غيرة الله أما أن أن
يا صاحب العصر أترضى رحي
فاشخذ شبا عضبك وأستأصل
عجل فدتك النفس واشفي به
فهاك قلبها قلوب الورى
قد ذهب العدل وركن الهدى
أغث رعاك الله من ناصر
متى تسل البيض من غمدها
في فنة لها التقى شيمة
كأنها الموت لهم (غادة)
تنسى على الدار هجوم العدى

ويسود بالضرب منها العضد
شنّ على حرب عداك المغار
تعقد أرضاً فوقها من غبار
تبدو فقد طال علينا السرار
تغير أعدائك فالصبر غار
عصارة الخمر علينا تدار
الكفر ولا تبقى صغاراً كبار
من غيظ اعداك قلوباً حرار
أذابها الوجد من الانتظار
قد صد والجور على الدين جار
رعية ضاقت عليها القفار
وتشرع السمر ويحمى الذمار
وبالنارات الحسين الشعار
والعمر (مهر) والرؤوس النثار
مذ أضرّموا الباب بجزل ونار

ورض من فاطمة ضلعها

وحيدر يقاد قسراً جهار

منه الاعادي حد ذاك الغرار
يا قوم خلّوا عن علي الفخار
من لطفة الخد العيون إحمرار
مالطمها ما عصرها بالجدار
وما انتثار قرطها والسوار
عن البكا ومالها من قرار
انحلها رب الورى للعقار
نبش الثرى منهم عناداً جهار
نبيهم وقد رعاهم مرار
كل الذى جرى عليها وصار
من دارها تهدي إلى شر دار
أعوزها الستر تمد اليسار
زينب حسرى ما عليها خمار
جسومهم أقيم لوث الازار
تأكل من لحمي وحوش القفار
وقلبها تجمع ماء ونار
ودمعه تخجل صوب القطار

كيف حسام الله قد فلّلت
تعدو وتدعو خلف اعدائها
قد اسقطوا جنينها واعترى
فما سقوط الحمل ما صدرها
ما وكزها بالسيف في ضلعها
ما ضربها بالسوط ما منعها
ما الغصب للعقار منهم وقد
ما دفنها بالليل سراً وما
تعساً لهم في ابنته ما رعوا
قد ورثت من امها زينب
وزادت البنات على أمها
تستر باليمنى وجوهاً فان
لا تبزغي يا شمس كي لا ترى
صاحت بحادي العيس دعنى على
أو حَلّني عنداين امي ولو
ضدان فيها اجتمعا عينها
في زفرة تحرق وجد الثرى

مضاماً بينهم الايجار
بالحبل موثوقاً يميناً يسار
تطوى الفيا في وتجوب القفار

واعظم الخطب ترى حجة الله
يقاد في جامعة جهرة
يا أيها الراكب زيافة

عمرو العلى أشياخ عليا نزار
داف أما النفع في الحرب ثار
منهزماً يطلب منهم فرار
وجدَّ عرنين الهدى والفخار
وسودى بالنقع وجه النهار
للحرب يا هاشم قب المهار
وملت الاجفان بيض الشفار
بميسم العار وذل الصغار

عرج على البطحاء وانذب بني
أن أجدب العام هم السيل والاسد
لو حاربوا جند الورى لاغدى
قوموا لشمس الدين قد كورت
وأجلى دجى النقع ببيض الضبا
وقومي سمر القنا وامتطى
قد سئمت مربوطها خيلكم
قد وسمت أمية هاشماً

[94] وله في رثاء الزهراء (عليها السلام) وهي طويلة الغزل قال فيها:

ولكنما وجدي لسيدة النسا
وخامسة الاشباح صاحبة الكسا
على الرغم مرؤساً وتيماً مرئساً
فدهري من بعد افتقارك عيسا
ملائكة الرحمن ترعاه حرّسا

خليلي ما وجدي لفقد احبتي
هي البضعة الزهراء سليلة أحمد
فليت رسول الله ينظر صهره
لقد كان دهري قبل يومك باسماً
لقد اضرمو البيت الذي فيه لم تزل

واسعد ما لاقتة في الناس أتعسا
فكيف لحاه الله من بعدُ قد نسي
بحبل يرغم الدين ينقاد مبلسا

قد اسود منها المتن واحمر خدها
عجبت لمن لم ينس صولة حيدر
وصال على ذاك الهزير وقاده

إلى آخر القصيدة.

[95] وفي رثاء الزهراء (عليها السلام) أيضاً يقول:

واذلت قلبي من جفوني أدمعا
أن تضرب الزهراء ضرباً موجعا
فكأنما أوصى بها أن تقطعا
فعلا له عرش الإله تضعععا

لمصائب الزهراء هجرت المضجعا
أفكان من حكم النبي وشرعه
أوصى الإله بوصل عترة أحمد
الله ما فعلوا بآل نبيهم

قادوا علياً بعده بنجاده
أبدوا عداوتهم لها وعدوا على
وإذا تعلقّت الإثانة لم يكن
وضعت وراء الباب حملاً لم يكن
ومضوا بكافلها يهرول طيعاً
خرجت تعثر خلفهم تدعوهم
رجعوا إليها بالسياط فسودوا
كم أضمرت من علة وتجرعت
ومن البتول الطهر رضوا الاضلعاً
ميراثها فابتز منها اجمعا
عجباً إذا قاد الذئاب سميدعا
قد آن لولا عصرها أن يوضعا
لولا الوصية لم يهرول طيعا
خلوا ابن عمي أو لا كشف للدعا
بالضرب منها منتها كي ترجعا
ياللهدي من غصة لن تجرعا

خطبت بما صم الصخور تصدّعا
خطبت فما اتعظوا بخطبتها ولو
إلى آخر القصيدة.
[96] وله أيضاً:
دع تفاصيلي وسلني جملاً
قد بنت أساسها القوم الأولى
كذب القوم النبي المرسلا
أغضبوا مذ أغضبوا رب العلى
أميراً شيخ تيم جعلاً
شيخ تيم منبر الهادي علا
قسماً لولا القضا لم يصلا
عجباً بالحبل قادوا البطلا
خلفه فاطمة تدعو ألا
عجباً من حبله ما انفصلا
إلى آخر القصيدة.
[97] وله أيضاً:

ولا بد من يوم به نكشف الظلما
ونور دها للخيل شقراً على العدى

ونملئها عدلا كما ملئت ظلما
ولكن بفيض النحر نصدرها دهما

الصفحة
449

ونوردها شعوا تثير من الثرى
ولابد من يوم به نركز القنا
لئن تدر الايام نستوف ما مضى
إلى أن يقول:

سماء تخال البيض في افقه نجما
بصدر العدى والبيض نغمدها الجسما
ونستقص من قد خص منا ومن عما

فمن يكشف الضر أو من يفرج الهمما
ايسقطها الحملا ويورثها الذلا
ومذ صدرها أدمى شكت زادةا الطما
أيعصرها عصراً ويوسعها زجراً
زوا فذكاً عن أهل بيت نبيهم
أنت تطلب الارثا وتتدب واغوئا
وأنت رزايا الطف كل رزية
إلى آخر القصيدة.

عن البضعة الزهرا إذا اشتكت الظيما
وفيها أنت (قلا لا) أما خشى الاثما
وللعبد أو ما ألا ردها رغما
ويلطمها جهراً على خدها لظما
وصارت لتيم وابن حننمة طعما
بدمع حكي الغيئا وقلب وهى سقما
أنت بعد يوم الطف أو سلفت قدما

[98] وله من قصيدة:

قد ألقوها فتنة عميا إلى
قبساً به باب البتولة أججوا
[99] وله أيضاً:

يوم القيامة ما استدار زمان
منه بعرة كربلا نيران

الصفحة
450

لو أن دمعي يطفى نار أشجاني
أو أن صبري يجديني لعدت به

أذلت دمعي من قلبي بأجفاني
لكنما ملني صبري وسلواني

وكيف ألقى سروراً والبتول بنى
ماتت ولم يشهدوا ليلاً جنازتها
وفي الصحيح رووا أن النبي بها
وانها قد قضت غضبي على نفر
إلى آخر القصيدة.

[100] وله من قصيدة:

أفي قبب القصور بنات هند
تنام عيونها برغيد عيش
بنى الهادي النبي لهم رشاد
هما غصبا الوصي الحق ظلما
ومن يوم السقيفة كربلاء
برض ظلوع فاطمة تعادت
ومن نار على الزهراء دارت
وحبلا قيّدوا فيه عليا
[101] وله كذلك:

لها عليّ جهاراً بيت احزان
سوى علي وعمار وسلمان
قد قال فاطمة روعي وجثماني
فقولهم وشنيع الفعل ضدان

وهاشم لم تذق طعم الرقاد
وعين نزار تكحل بالسهاد
وقد سعيا إلى هدم الرشاد
هما قتلاه لا سيف المرادي
تمثلها بعكس واطراد
على أضلاعه خيل الاعادي
خيام الطف تضرم بانتقاد
به السجاد أصبح في قياد

وبنات هند لم تزل مسرورة
لو لم يكن حقداً بضغن صدورهم
لولا انكسار الضلع من أهل الشقا
لو لم يقاد المرتضى من داره
لولم تسير الطهر فاطم خلفه
لولا احتراق الباب ما احترقت لهم
قوموا بني فهر فلا تتقاعدوا
إلى آخر قصيدته.

وبنات أحمد دمعها منثور
ما حرّ نحر منه فاح عبير
بالطف ما ضلع له مكسور
ما قيّد السجاد وهو أسير
ما زينب خلف العليل تسير
بالغاضرية أربع وستور
عن آل حرب فالحسين عفير

[102] وله أيضاً:

إذا جفت دموع العين فابكي ادمعاً حمراً وأسعد حيدر الكرار بالنوح على الزهرا

* * *

ما بال الثرى قرّت ولم الا تقف الافلاك برزه ناحت الانس له والجن والاملاك
برزه فيه قد قرّت عيون الكفر والاشراك وذابت مهجة الدين وامست عينه عبرى

* * *

الصفحة

452

بنفسي بضعة أوصى بها أمته أحمد فلما أن قضى لم يمهلوها ريثما يلحد
واطفوا في أذاياها جوى في صدرهم مكمدا وأشفوا حقدهم منها وبزوا ارثها جهرا
[103] وله في رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) أيضاً.

يحقّ لمقلتي تهمي الدموعا على من رضضوا منها الضلوعا

* * *

يرض ضلوع فاطمة جهاراً ويدخل بيتها حطباً وناراً
عجبت لمن شهد المغارا يفرّ ويحرق البيت الرفيعا

* * *

هي الزهراء فاطمة البتول ومن أوصى بنحلتها الرسول
ايغصبها ولا أحد يقول أسئت ببضعة الهادي الصنيعا

* * *

لقد حكموا بليل أو نهار بكاهها لا تقرّ بلا قرار
فكيف قرارها والحكم جاري عليها وهي لم تطق الهجوعا

* * *

لقد هجموا عليها وهي حسرى وقادوا بعلمها بالحبل قهرا

الصفحة

قضت وفؤادها أضحى مروعا

* * *

عدت من خلفهم والحزن بادي
وأكشف للدعا رأساً وجيعاً

* * *

وناقتهُ أجل ولا الفصيل
إلى الأوثان قد عدتم رجوعاً

* * *

بضرب منه سؤد منكبيها
وقرطاهها به انتثرا جميعاً

* * *

بأوراق الاراقة والقروع
على من أورث الدنيا صدوعاً

* * *

رأى قطع الاراقة كان ظلماً
لتبكي وسطه الهادي الشيفعاً

* * *

وألقوا حملها بغضاً وكفراً

فمذ قادوا علياً بالنجاد
ألا خلوا ابن عمي أو أنادي

دعت ما صالح هو والرسول
من الحسنين أو مني فقولوا

فمالت دونه قعدا عليها
وأودع حمرة في فعلتيها

فأخرجها عليّ للبقيع
تقيم هناك نائرة الدموع

أتى نحو البقيع بها فلماً
بنى بيتاً إلى الاحزان ينمى

[104] وله أيضاً في رثائها (عليها السلام):

جسمها زاد سقاماً ونحول

بأبي من أصبحت بعد الرسول

* * *

بعد لم يدفن في حفرته

آه واوليائه من أمته

وسريعاً غصبوا ارث البتول

تركوا الطيغم جليس بيته

* * *

عصروها اسقطوها "محسناً"

جددوا من كان فيهم محسناً

تركوا أجفانها تجري همول

ألموها ليس فيهم محسنا

* * *

عوض السيف بذل مختبي

بأبي ذاك الأبى بعد النبي

ليت شعرى فيهما ماذا أقول

آه من تيم وآه من عدى

* * *

لهوات الدهر إذ لا مثلها

جرعاها غصصاً غصت لها

يالها رزء عظيم ومهول

فاطم قد أسقطوها حملها

* * *

لببوه في حمايل سيفه

هجموا لما رأوا من ضعفه

وهو ذاك الهزير الليث الصؤول

قيد للجامع برغم أنفه

آية الله العظمى المحقق

الشيخ محمد حسين الاصفهاني

استطاع الشيخ محمد حسين الاصفهاني أن يجمع بين مدرستي التجديد الأصولي والتنظير الفلسفي من جهة، وبين الابداع الأدبي والتحقيق التاريخي من جهة أخرى، وحاول أن يزوج بين هذه الاطراف المتناقضة ليخرج بمدرسته الأدبية التحقيقية. قدّم المحقق الاصفهاني اطروحته في الجمع بين المتناقضات . على انها لم تكن متناقضات واقعية . فجمع بين عمق الفلسفه ورقة الأدب، وبين دقة

التحقيق وشفافية العاطفة، وصاغها في مشروعه الأدبي ليأتي بنظريته التجديدية في مجال التحقيق الموضوعي، والتتظير الأدبي.

إن ما يميز أدب الشيخ الاصفهاني هو صياغة الحدث بمقطوعة أدبية رائعة، وحاول ادخال الأدب ضمن سياقات التاريخ المختلفة ليجعل من مقطوعته الأدبية وحدة تاريخية، تعيد للحدث موضوعيته، وتؤكد للأدب إلتزامه.

في "الانوار القدسية" أسس الشيخ الاصفهاني مدرسته الأدبية، واستطاع من خلال شاعريته أن يعيد للقصيدة العربية مسؤوليتها، وأن تكون المحاولة المعبرة عن احساس الشاعر وهواجسه، وفي الوقت نفسه يجعلها وثيقة أدبية مهمة تؤثّق التاريخ الإسلامي بمحاولات تحقيقية موضوعية.

إن أهمية "الانوار القدسية"، محاولة الشاعر الأدبية، تتأتى من كون المحقق الاصفهاني قد سرد تاريخ النبي وآل بيته (عليهم السلام) اعتماداً على الروايات الصحيحة، وان قصائده جاءت على أساس الاستنتاج العلمي والتحقيق التاريخي، كما انها تميزت بخلوها عن الحشو الأدبي الذي يلجأ اليه الشاعر ليعزز من فنية مقطوعته، بل التزم المحقق الاصفهاني منهج التحقيق اعتماداً على ما صح لديه من أخبار.

في مقطوعاته الأدبية الفاطمية، أسس المحقق الاصفهاني مدرسة تاريخية تحاكم التاريخ وتستنتق أحداثه، واستعان بالفلسفة ليقدم رؤية التاريخية بتتظير فلسفي واقعي، فالفلسفة لم تكن على حساب رقة الأدب وسحر بيانه، والأدب لم يكن على حساب العمق الفلسفي وبرهانه، وابتعد عما

تسوّله الفلسفة من تسويق لأثبات مطلب ما، وترفع عما يظهره الأديب من عاطفة ليضيف إلى الفن الأدبي ما يزيد جمالية النظم، بل وازن بين عمق البرهان الفلسفي وحسن البيان البلاغي، فخرجت محاولاته موفّقة الابداع الأدبي، ناجحة الاستدلال الفلسفي، فضلاً عن تحقيقاته العلمية الموضوعية.

أرّخه في شعراء الغري بقوله:

"الشيخ محمد حسين الاصفهاني، فيلسوف كبير، وحكيم شهير، وفقه أوجد، وأصولي مغن واهتدى بنوره وارشاده مئات الاعلام وأرباب الصناعة من المتأخرين، ارتشف من معين فريق من أرباب التأسيس والاعلمية، فقد حضر حلقة السيد محمد الاصفهاني الفشاركي،

والملا كاظم الخراساني، ودرس الفقه على الفقيه الاكبر الشيخ أفا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه، وحضر على الحكيم الفيلسوف ميرزا محمد باقر الاصطهباناتي خَلْفَ كِتَابَ قيمة منها، 1 . كتاب في الاصول، 2 . حاشية على الكفاية أسماها نهاية الدراية، 3 . رسالة في الصحيح والأعم، 4 . رسالتان في المشتق، 5 . رسالة في الطلب والارادة، 6 . علائم الحقيقة والمجاز، 7 . في الشرط المتأخر، 8 . في الحقيقة الشرعية، 9 . في تقسيم الوضع إلى الشخصي والنوعي، 10 . في أن الالفاظ موضوعة للمعاني بما هي هي أو من حيث كونها مرادة، 11 . تعليقه على رسالة القطع للشيخ الانصاري، 12 . في اشتراك الالفاظ، 13 . في موضوع العلم، 14 . في أن اطلاق الأمر هل يقتضي التعبدية أو التوصيلية، 15 . اطلاق اللفظ وارادة نوعه وصنفه وشخصه، 16 . في تحقيق الحق، 17 . حاشية على المكاسب، 8 . في أخذ الاجرة على الواجبات، 19 . في أربع قواعد فقهية: قاعدة التجاوز. قاعدة

الفراغ . اصالة الصحة. اليد، 20 . في الاجارة، 21 . في صلاة المسافرين .. إلى غير ذلك من المؤلفات العلمية القيمة والتي تتعدى على الثلاثين" (1).

* * *

[105] وإليك مقطوعاته الفاطمية التي ضمّت استقراءً للتاريخ الفاطمي ابتداءً من ولادتها الميمونة، ومروراً بالأحداث الدامية التي من ضمنها اسقاط المحسن (عليه السلام)، وانتهاءً بشهادتها المقدّسة.

في مَوْلِدِ بَقِيَّةِ النَّبُوَّةِ وَنَامُوسِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ سَيِّدَةِ النَّسَاءِ فَاطِمَةَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهَا:

جوهرة القدس من الكنز الخفي	بدت فابدت عاليات الأحرف
وقد تجلى من سماء العظمه	من عالم الأسماء اسمى كلمه
بل هي أم الكلمات المحكمه	في غيب ذاتها نكات مبهمه
ام أنمة العقول الغر بل	أم اببها وهو علة العلل
روح النبي في عظيم المنزلة	وفي الكفاء كفو من لا كفو له
تمثلت رقيقة الوجود	لطيفة جلت عن الشهود
تطورت حقيقة الكمال	بصورة بديعة الجمال

1- شعراء الغري 8: 185.

فانها الحوراء في النزول	وفي الصعود محور العقول
يمثل الوجوب في الامكان	عيانها باحسن البيان
فانها قطب رحي الوجود	في قوسي النزول والصعود
وليس في محيط تلك الدائرة	مدارها الاعظم الا الطاهره

مرموزة في الصحف المكرمة
تفرغ بالصدق عن الحقيقة
كمريم الطهر ولا سواء
ومريم الكبرى بلا خفاء
علية دارت القرون الخالية
فيا لها من رتبة رفيعة
عن نشأة الزخارف الذميمة
للشمس من زهرتها الضياء
ومطلع الشموس والاقمار
حليفة المحكم والتنزيل
معصومة عن وصمة الأخطاء
عن غيب ذات بارىء الاشياء
بما يضيق عنه واسع الفضاء

مصونة عن كل رسم وسمه
صديقة لا مثلها صديقة
هي ابتول الطهر والعذراء
فانها سيدة النساء
وحبها من الصفات العالية
تبتلت عن دنس الطبيعة
مرفوعة الهمة والعزيمة
في افق المجد هي الزهراء
بل هي نور عالم الانوار
رضيعة الوحي من الجليل
مفطومة من زلل الأهواء
معربة بالستر والحياء
راضية بكل ما قضى القضا

فهي غنية عن الحدود
وكعبة الشهود والوصول
ومن بها تدرك غاية المنى
ومستجار كل ذي ملمه
بنورها تطفأ نار الحاطمه
اضحى ثراه للثريا ملثماً
وهو مطاف الكعبة المعظمة
بارقة تذهب بالأبصار

زكية من وصمة القيود
يا قبلة الارواح والعقول
من بقدمها تشرفت منى
بابها وحجابها
وبابها الرفيع باب الرحمة
وما الحطيم عند باب فاطمه
وبيتها المعمور كعبة السما
وخدرها السامي رواق العظمه
حجابها مثل حجاب الباري

فكيف بالأشراق . من قبابها

تمثل الواجب في حجابها

انوارها المشرقة

من صدف الحكمة والعناية

يا درة العصمة والولاية

من ضوء تلك الدرة البيضاء

ما الكوكب الدرّي في السماء

كيف ولا حد لها ومنتهى

والنير الاعظم منها كالسها

بنور تلك الدرة البهية

اشرقت العوالم العلويه

بل جاوز السدره فرعها الزكي

يا دوحه جازت سنام الفلك

بموضع فيه العقول ضلت

يا دوحه اغصانها تدلت

الصفحة

461

تتبع من ذلك اعلى مثلا

دنت الى مقام او ادنى فلا

الشجرة الطيبة وثمارها

من دوحه المجد الاثيل المثمرة

ما شجر الطور واين الشجره

عنوان تلك الدوحه الميمونه

وانما السدره والزيتونه

مظاهر الاسماء والصفات

اثمارها الغر مجالي الذات

ومنتهى الغايات في النهايه

مبادئ الحياه في البدايه

في صفحات مصحف الامكان

اثمارها عزائم القران

من جنة الذات غدت مقتطفه

اثمارها منابت للمعرفه

تهنئة سيد الرسل بها

في نشئات الغيب والشهود

لك الهنا يا سيد الوجود

كيف ولا تكرار في التجلي

بمن تعالى شأنها عن مثل

فكيف بالنظير والنديد

لا بنتى هيكل التوحيد

ترى لها ثانيه او بدلا

وملتقى القوسين نقطه فلا

فريده في أحسن التقويم

وحيدة في مجدها القديم

بالبضعة الطاهرة المطهرة
وبهجة الفردوس والجنان
يعرف حسن المنتهى بالمبتدا

بشراك يا ابا العقول العشرة
مهجة قلب عالم الامكان
غررتها الغراء مصباح الهدى

عينان من ماء الحياة والحيا
وقبله العارف بالاسرار

وفي محياها بعين الاوليا
بل وجهها الكريم وجه الباري
البشرى

بصفوة الامجاد و الانجاد
رية بيت العلم بالتأويل
قلب الهدى ومهجة الكونين

بشراك يا خلاصة الایجاد
أم الكتاب وابنة التنزيل
بحر الندى ومجمع البحرين
الفلسفة العليا

ثانية الوصي نسخة الاحد
ومحور السبع علوا و ابا
باعظم المواهب السنية
بنفحة من نفحات الأتس
جلت عن المديح والثناء
واهتزت النفوس من نسيمها
وطابت الاشباح بالأرواح
ومرجع الامر غداً اليها

واحدة النبي اول العدد
ومركز الخمسة من اهل العبا
لك الهنايا سيد البريه
اتاك طاووس رياض القدس
من جنة الصفات والاسماء
فارتاحت الارواح من شميمها
بها انتشى في الكون كل صاح
تحى بها الارض ومن عليها
الرزية الكبرى

حتى توارى بالحجاب بدرها

لهفي لها لقد اضبع قدرها

تجرعت من غصص الزمان
وما اصابها من المصاب
ان حديث الباب ذو شجون
ايهجم العدى على بيت الهدى
الضرم في الباب

ما جاوز الحد من البيان
مفتاح بابه حديث الباب
مما جنت به يد الخون
ومهبط الوحي ومنتدى الندى

ايضرم النار بباب دارها
وبابها باب نبي الرحمة
بل بابها باب العلي الاعلى
ما اكتسبوا بالنار غير العار
ما اجهل القوم فان النار لا
الضلع المكسور

وأية النور على منارها
وباب ابواب نجاة الامة
فثم وجه الله قد تجلى
ومن ورائه عذاب النار
تطفيء نور الله جل وعلا

لكن كسر الضلع ليس ينجبر
إذ رض تلك الاضلع الزكيه
ومن نبوع الدم من ثدييها
وجاوزوا الحد بلطم الخد
يا لثارات فاطمه
فاجرت العين وعين المعرفة

الا بصمصام عزيز مقتدر
رزية لا مثلها رزيه
يعرف عظم ما جرى عليها
شلت يد الطغيان والتعدي
تَدْرِفُ بالدمع على تلك الصفة

ولا يزيل حمرة العين سوى
وللسياط رنة صداها
والاثر الباقي كمثل الدمج
ومن سواد منتها اسود الفضا
ووكز نعل السيف في جنبها

بيض السيوف يوم ينشر اللوى
في مسمع الدهر فما اشجاها
في عضد الزهراء أقوى الحجج
يا ساعد الله الامام المرتضى
اتى بكل ما اتى عليها

سل صدرها خزانة الاسرار
وهل لهم اخفاء امر قد فشى
شهود صدق ما به خفاء
فاندكت الجبال من حنينها
حرصا على الملك فيا للعجب
عن البكا خوفا من الفضيحة
ما دامت الارض ودارت السما
ولا هتضامها وذل الحامي
وارثها من اشرف الخليقة
اذ هو رد آية التطهير
وينبذ المنصوص في الكتاب

ولست أدري خبر المسمار
وفي جنين المجد ما يدمي الحشا
والباب والجدار والدماء
لقد جنى الجاني على جنينها
اهكذا يصنع بابنة النبي
اتمنع المكروبة المقروحه
تالله ينبغي لها تبكي دما
لفقد عزها أبيها السامي
فاطمة سلام الله عليها و النحله
اتستباح نحلة الصديقة
كيف يرد قولها بالزور
ايؤخذ الدين من الاعرابي

وارتكبوا الخزية منتهاها
على خلاف السنة المبينه
اكبر شاهد على المقصود
بل سد بابها وباب المرتضى
كأنهم قد آمنوا عذابه
تدفن ليلا ويعفى قبرها
الا لوجدها على اهل الجفا
مجهولة بالقدر والقبر معا
بظلمهم ريحانة المختار

فاستلبوا ما ملكت يداها
يا ويلهم قد سألوها البينه
وردهم شهادة الشهود
ولم يكن سد الثغور غرضا
صدوا عن الحق وسدوا بابيه
ابضعة الطهر العظيم قدرها
ما دفنت ليلا بستر وخفا
ما سمع السامع فيما سمعا
يا ويلهم من غضب الجبار

الشيخ عبد الغني الحر العاملي

لعل ما يميز النهضة الأدبية الامامية، هو وجود أدب خاص يمكن أن نطلق عليه
بـ"أدب المدرسة الاستنهاضية" تنطلق هذه المدرسة لتجسيد "فلسفة الانتظار" وهي احدى
مختصات الثقافة الشيعية التي حظيت بها عقيدة الامامية في عصر الغيبة يتم بناء التكامل
الروحي استعداداً لايجاد القاعدة الاساسية التي يعتمد عليها الامام (عجل الله فرجه
الشريف)، أو تمهيداً للارضية المناسبة التي تنشأ عليها هذه القاعدة.
فنمو الحس الديني الذي يتجسد من خلال الممارسة الشرعية ليومييات

المكلف، وحالة الترقب المستمر لظهور الامام (عجل الله فرجه الشريف)، سيخلقان
الشعور بالمسؤولية الشرعية التي تفرضها عليه "حالة الانتظار"، فالانتظار اذن هو حالة تهيؤ
دائم، ترقى من خلاله روحية المكلف الى السمو والنضوج، وليس الانتظار هو حالة
استسلام وخنوع لذا فان العملية التربوية لتكامل الأمة من خلال ممارسة "فلسفة الانتظار"
هي العملية الرائعة التي توجد لها مدرسة آل البيت (عليهم السلام) لانتشال الأمة من مهاوي
الذل إلى مراقي الرشد والكمال.

هذه الحالة التربوية إنسحبت فلسفتها حتى على الأدب الشيعي، وصار الأديب يرتجم
تطلعات الأمة في انتظار المصلح الذي يملأ الأرض بالعدل والسلام، ويأخذ بحقوق وثأر
جميع المظلومين والابرياء الذين ذهبوا ضحية الممارسات الحاكمة اللا مشروعة من أجل
الهيمنة على الامة الإسلامية، واستبعاد إطرحة الحق والعدل المتمثلة بآل البيت (عليهم
السلام).

تضم "المدرسة الاستنهاضية الأدبية" جيلا من الشعراء عُرفوا بنزعتهم الأدبية في ممارسة
فلسفة الانتظار وتقديمها في المقطوعة الأدبية، ليترجموا الخطاب السياسي إلى محاولات

تثير انتباه الأمة إلى المصلح الموجه إليه الخطاب، وتحقّر الأمة للتعامل مع حالة الغيبة إلى حالة حضور، فالشكوى التي يبثها الشاعر العتاب الذي يوجهه إلى الإمام (عليه السلام) حالة يستبطن من خلالها محاولة تحفيزية للاستعداد الدائم من أجل إنماء الشعور بوجود الحيف الذي يحتم على الأمة النهوض بواجبها لاسترداد الحقوق المغتصبة وتمهد دولة الحق بقيادة الإمام (عليه السلام).
كانت مادة المدرسة الاستهائية الأدبية هي مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام)،

ووحدة التعامل في المقطوعة الشعرية لهذه المدرسة هي مجريات الاحداث التي حلت بالسيدة فاطمة (عليها السلام)، ولعل القضية الثانية التي تكتمل بها طموحات الشاعر في بث شكواه هي واقعة الطف التي كان سببها المأساة الفاطمية، ثم يستعرض بعد ذلك ما حدث على آل فاطمة من المحن والمصائب.
إن الشاعر عبد الغني الحر العاملي المتوفي سنة 1358 هـ، والذي ينتسب إلى المحدث الحر العاملي، قدّم اطروحته الأدبية في مجال المدرسة الاستهائية، وبيث شكواه من خلال قصائده للإمام المنقذ من الجور والعدوان واستعرض مآسي أبنائه الطاهرين مذكراً إياهم إن هذه المحن وليدة تلك المأساة الفاطمية الكبرى والتي من جرائها أسقط المحسن، أول ضحية تقدم على قربان التضحية والفداء وتتابعها التضحيات التي كانت معلماً من معالم مدرسة آل البيت (عليهم السلام).

فالى مقطوعاته الشعرية الاستهائية:
[106] قال:

قد أطال السهاد طول نواكا	فمتى تسعد الورى بلقاكا
وأسأل القلوب منا عيوناً	معصرات من العيون هواكا
يا امام الهدى وخير مليك	جعل الله جنده الاملاكا
غبت عن أنفس قضت فيك صبراً	وهي مشتاقة إلى مرآكا

لنفوس طول النوى ترعاكا
خاب من مد كفه لسواكا
ونعيم الجنان من نعمাকা
ميت الارض حيث يسقى حياكا

أنفاً قد جنته ظلماً عداكا
شاهراً للدحول بيض ظباكا

جل خطب دهي الهدى ودهاكا
ما أنيب النبي لا وعلاكا
بعض بلوى محمد وبلاكا

لم تزل راعياً بعيني رؤوف
قد مددنا اليك كف رجاء
إنما أنت نعمة الله فينا
وبآلائك المهيمن أحيا
إلى أن يقول:

فمتى تشفي من الغيظ مما
ومتى تطلب الدخول بحرب
حتى يقول:

فقضى المصطفى عظيم مصاب
أنبي أنيب في فادحات
مالقى المرسلون في الدهر إلا

عن فسوق كمن ضللاً عداكا
وحديثاً من الشقاق انتهاكا
تان في غصب فاطم حاشاكا
وأباحى حمى الوصي حماكا
موثقاً في بنوده إمساكا
رون لموسى إذ كان هذا كذاكا
راء تقفو الوصي عدواً أبাকা
كوحى الكليم عند أولاكا
حيث ادعى دون الانام أخاكا
أنفاً أثنى هدى مرتضاكا
منهموا ان لي مقام علاكا

بث في قومه الهدى فعدوه
أو تنسى ما أحدثوه قديماً
أو تنسى حاشاك ما قد جنى الجب
أو تنسى إذ لبيا صنوطه
أو تنسى إذ أوقفاه مقاداً
فدعى بالنبي دعوة ها
قائلاً يابن ام والبيضة الزه
هؤلاء الملالي قد استضعفوني
ما دروا أنك ابن أمي قريباً
أنكروني من بعد أن عرفوني
جهلوا منك منزلي بعد علم

ودروا أنني الأمير عليهم
نكثوا عهدك الوثيق انتقاضا
غادروني عذراً حليف شجون
وأرادوا اطفاء نورك بغياً
ما كفاهم عزلي عن الحق حتى
مزّقوا الصك واستباحوا حمى
يوم خم إذ بايعوني هناكا
وبسخط الاله بانوا انتفاكا
حيث قد اعرض الورى عن هداكا
وأبى ريك انطفاء سناكا
غصبوا فاطماً واعفوا بناكا
ريّك في هضم فاطم وحمাকা

وأراع الجبتان بنتك ظلماً
أوجعاها بالسوط قرعاً وضرباً
جرعاها كأساً أمر الصعا
كيف يابن الوصي لا تضرم النا
أو تنسى إذ أضرما النار
كسر أضلع فاطم أسقاطها
غادراها عليلة الجسم غدرأ
فقضت بالشجون والظلم ممن
إلى آخر القصيدة.

وبترويعها أسى روعاكا
مؤلماً جسمها كما أوجعاكا
ب مذاقاً كما الروى جرعكا
ر على من لظى الاسى أصلياكا
بالباب وعصر الباب الذي اشجاكا
محسناً هيّجا أساها هناكا
من عناها لا تستطيع حراكا
عن مواليك نيراً غيباكا(1)

[107] وله أيضاً في الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) مستتهضاً:

متى ملك الورى في نور طلعتة
متى ينادي المنادي باسمه علناً
بشرى لهم اذ تبدى نور هدى
متى يقوم بأمر الله قائمنا
متى يقوم لنصر الدين ناصره
يجلو دياجي الرزيا عن رعيته
هذا امام الهدى بشرى لشيعته
به الدياتي تجلت بعد غيبته
فيصلح الدين والدنيا بنهضته
وينشر الراية العظمى لنجدته

إلى أن يقول:

بدر تغيب عن ابصارنا حُجباً
 ان غاب عنا فما غابت رعايته
 قد اصطفاه اله الخلق رحمته
 على الورى أوجب الرحمن طاعته
 أقول قول امرأ مستبصراً بهم
 تالله ما نصبت أرض ولا رفعت
 هم علة لوجود الخلق من عدم
 من موصل لامام العصر حجته
 إلى مَ انت عن الابصار محتجب
 إلى مَ منك ربوع الدين موحشة
 الى مَ والرشد قد تماضت مناھله
 إلى مَ والغى غال الخلق ظلمته
 الى مَ والحق معتل حليف ضنى
 الى مَ والخلق مالت عن هدايتكم
 يا نيراً ترقب الابصار طلعته
 ويا مليكاً له الاملاك طائعة

حتى عراها القذى من طول غيبته
 وكيف تخلو الرعايا من رعايته؟
 على البرايا فأحياهم برحمته
 لأته قرن الزلفى بطاعته
 حيث الاشارة حلت في بصيرته
 ذات الكواكب الا في أئمته
 والشيء ينشئء ايجاداً بعلته
 شكوى محب قضى في نار زفرته
 بدرأ ولم تكتحل في نور طلعته
 والدين أو شك أن يقضى بوحشته
 والدين عاد ذليلاً بعد عزته
 واطلم الكون آفاقاً بظلمته
 شاك وأوشك أن يقضى بعلته
 غياً لكل مجد في غوايته
 حتى تكحل في أنوار طلعته
 لأن طاعة باريه بطاعته

عجل والا فما للدين منتصر
 يا غيره الله فيك الدين منتدب
 متى تقوم بما في الشفرتين على
 وأنت من وعد الباري بنصرته
 وليس للدين غوث غير غيرته
 عادى هدى أحمد الهادي وعترته

تتسى مصاب رسول الله جدك في
تتسى الأولى أضرموه بالباب نارهم
تتسى وحاشاك أن تتسى فعالهم
تتسى مصيبة من قادوه مغتصباً
تتساه مهتضماً حقاً ومنعزلاً
تتسى مصاب آباك الكرام وما
تتسى مصاب الامام المجتبي حسن
قضى وفي قلبه تشب أسى
تتسى مصائب من في كربلاء قضى
الى آخر القصيدة.

1- المصدر السابق.

آية الله العظمى

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

لم تتوقف ابداعات علماء الشيعة في المجالات العلمية من الفقه والأصول، بل اتسعت مساحات الابداع هذه حتى على الأدب العربي الذي تخصص فيه أدباء مبرزون وتركوا مسائل الابداع العلمي لذوي الاختصاص من العلماء، كما أن العلماء سعوا للاقتصار على بحوثهم العلمية تاركين الأدب لأهله ومنتدقيه، وعلماء الامامية تجاوزوا هذه التقليدية للتخطي إلى مجالات الأدب الأخرى، فقدّموا طروحاتهم الأدبية وشاركوا في تأسيس

نظريات أدب ساهمت في رُفد المشروع الحضاري الإسلامي، وفتحت باب الحوار بين أجيال حاولت تغيير مسارات إسلامية أصيلة، وبين أجيال متطلعة إلى معرفة ذاتها من خلال مجريات الواقعة الإسلامية التي تسهم في ترسيم المَعلم الحضاري. كانت "نظرية الأدب الفاطمية" ممن أسهمت في فتح باب هذا الحوار، وحاولت أن تجمع بين حضارات الأجيال ليقرأ اللاحق ما أسسه السابق، ويتحاكمان على أساس ثوابت إسلامية ومعطيات تاريخية تقرر افادات الحدث واعترافات الواقعة. استطاعت هذه النظرية أن تُحاكم التاريخ وتُقدّم النتيجة وتحاول الربط بين منحنيات الواقعة الواحدة، وقد جعلتها مشاريع التشقيق المرتجل وحدات مفككة تحظر على الأمة قراءة تشكيلة تاريخية متكاملة.

اعتمد الشاعر على محاولات الرثاء الحسيني، وقَدّم نظريته على أساس ابداعات الاستنتاج التي تقود الحدث التاريخي لتوقفه عند نتيجته الحتمية التي تقرها انسيابية الوقائع التاريخية، "فالنظرية الأدبية الفاطمية" تعهدت لمحاولات الربط التاريخي وقررت الأحداث على انها النتيجة التي خَلَقها الحدث الفاطمي، فأَي كِبوة تاريخية حدثت في الماضي وستحدث مستقبلا كانت أسبابها تلك المأساة التي حلت عند باب فاطمة، فاسقاط الجنين وكسر الضلع وغير ذلك كانت ارهاصات للاحداث القادمة حتى بعد أجيال، والحدث هذا قدّم قراءة مبكرة في مجال تشذيب التاريخ بل كان الاجابة الممتازة لتساؤلات الاجيال.

كان رواد هذه النظرية علماء شعراء، جعلوا القصيدة العربية أداةً تقريرية لما يتوصل اليه العالم من تحقيق المسألة العلمية أو الحدث التاريخي، وبرز في هذا المجال الامام المصلح الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فقدّم "نظرية الأدب الفاطمي" على أنها الاستقراء الجيد لتاريخ طويل، واستطاع من خلالها اختصار الطريق لربط الاحداث، فتخرج قصيدته وحدة تاريخية مترابطة.

ولعل ما يميز قصيدة الشيخ كاشف الغطاء محاولاته التأكيدية على صحة اسقاط المحسن وشدد كثيراً على سلامة هذه الواقعة، وجعلها ثوابت التاريخ الإسلامي، بل ضرورات المذهب الأمامي، وأرجع صحة ذلك الى ما اعتمده من صحة اسناد الواقعة التي تلقاها من سلفه الصالح الاماميين فقال في بعض مقطوعته.

حديث رزه قديم الأصل أخرج إذ
عن الأولى صحّ اسناداً مخرّجه
ثم دعى إلى ضرورة التدين بهذه القضية والاحتفاظ بها على أنها معلماً امامياً يميز
الطائفة الحقّة في الاعتقاد والتسليم لمجرياتهما، ولعل الخدش في سلامة مثل هذه الواقعة
وصحة اسنادها يؤدي بالبني التأسيسية التي يعتمد المذهب الأمامي عليها، وستنهاوى
مسلمات تاريخية اعتمدت الامامية عليها في بيان مظلومية أئمتهم وسلّمت الطوائف
الإسلامية، على اختلاف مذاهبها ومشاربها إلى حقيقة مجريات واقعة الاسقاط، ونافحت
الفرقة الامامية عن مجريات الاحداث هذه وأكدت بأن القرارات المرتجلة التي ادت الى
استبعاد القيادة الشرعية لآل البيت (عليهم السلام)، هي نفس القرارات التي أحدثت مأساة
الزهراء (عليها السلام)، والتشكيلات التي هجمت على دار فاطمة دون

أن ترعى لها حرمة النبي فيها، هي نفس التشكيلات التي أبعدت علياً عن حقه
المشروع، وهي التي دبّرت مؤامرة قتل الإمام الحسن (عليه السلام) لتُجهّز بعد حين إلى
حرب الحسين بن فاطمة، وتتوالى هذه الاحداث لتجر مسلسل المأساة على آل علي
المعصومين ثم لترث شيعتهم هذه المعاناة الى يوم الناس هذا.
هكذا نجح الشاعر في كشف هذه السلسلة المعقدة من المؤمرات واستطاع أن يستجلي
تاريخ الأمة المعذبة في مقطوعة أدبية واحدة.
ترجمه صاحب شعراء الغري بقوله:

هو الامام الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي . صاحب الحصون . ابن الشيخ محمد
رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء أشهر مشاهير زعماء الدين
في العالمين الشرقي والغربي.
ولد في النجف عام 1294 هـ ونشأ بها على أبيه فقرأ مقدمات العلوم.. وتوسع في طلب
العلوم فقرأ كثيراً من العلوم التي ابتعد عن قرائتها كثير من أبناء العرب كالهئية والفلك
والحساب والحكمة والكلام، وتوغل في دراسة الفقه والاصول على اساتذة عصرهم كالامام
اليزدي والخراساني والفقيه ملا رضا الهمداني صاحب المصابيح والسيد محمد الاصفهاني
والشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي وفي العلوم الاخرى على الميرزا محمد باقر

الاصطهباناتي والشيخ أحمد الشيرازي والشيخ محمد رضا نجف آبادي وغيرهم من مشاهير العلماء المتخصصين.

وأخذ عنه العلم المئات من الشخصيات العلمية، وتخرج على حلقاته التي

استمرت زهاء أربعين عاماً الكثير من رجال العلم.

وللمترجم له آثار علمية انتشرت في أكثر بقاع الأرض وهي كثيرة واليك قسم المطبوع منها، في الحكمة والكلام والاخلاق:

- 1 . الدين والاسلام جزءان، 2 . المراجعات الريحانية جزءان، 3 . أصل الشيعة وأصولها،
- 4 . الآيات البيّنات، 5 . التوضيح في بيان ما هو المسيح جزءان، 6 . الميثاق العربي الوطني، 7 . الفردوس الاعلى، 8 . المثل العليا في الإسلام لا في يحمدون، 9 . المحاوراة بين سفيري بريطانيا وأمريكا، 10 . نبذة من السياسة الحسينية، 11 . الأرض والتربة الحسينية، 12 . الخطب الاربع، 13 . الخطبة التاريخية، 41 . خطبة الاتحاد والاقتصاد، 15 . خطبة في الباكستان.

أما في الفقه:

- 1 . حاشية على تبصرة العلامة الحلي، 2 . سؤال وجواب، 3 . وجيزة الاحكام، 4 . حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد، 5 . حاشية على عين الحياة، 6 . زاد المتقين، 7 . مناسك الحج، 8 . حاشية على العروة الوثقى، 9 . تحرير المجلة، 10 . حاشية على مجمع الرسائل.

في الأدب:

- 1 . تعليقات على سحر بابل ديوان السيد جعفر الحلي، 2 . مختارات من شعراء الاغاني فضلا عن آثاره المخطوطة في الفقه والاصول.

والامام كاشف الغطاء من أولئك العلماء القلائل الذي تفوقوا في الادب

كما سموا في علوم الدين(1).

[108] له في رثاء الامام الحسين (عليه السلام) ثم يخلص الى رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن، واليك مقطوعته:

في القلب حرٌّ جوى ذاك توهُجُه
الدمع يطفيه والذكرى تُوجِّجُه
أفدي الأولى للعلی اسرى بهم ظعن
وراء حاد من الاقدار يزعجه
ركب على جنَّة المأوى معرَّسه
لكن على محن البلوى معرَّجه
مثل الحسين تضيق الارض فيه فلا
يدري الى أين مأواه ومولجه
ويطلب الامن بالبطحا وخوف بني
سفيان يقلقه عنها ويخرجه
وهو الذي شرف البيت الحرام به
ولاح بعد العمى للناس منهجه

1- شعراء الغري 8: 99.

الصفحة
481

يا حائراً لا وحاشا نور عزمته
بمن سواك الهدى قد شعَّ مسرجه
وواسع الحلم والدنيا تضيق به
سواك ان ضاق خطب من يفرَّجه
ويا مليكاً رعاياه عليه طغت
وبالخلافة باريه منوَّجه
يا عارياً قد كساه النور ثوب سناً
زها بصيغ الدَّم القاني مدبَّجه
ياري كلَّ ظما واليوم قلبك من
حرَّ الظَّما لو يمسُّ الصخر ينضجه
يا ميتاً بات والذاري يكفُّنه
والارض بالتُّرب كافوراً توُرَّجه
ويا مسيح هدى للرأس منه على
الرماح معراج قدس راح يعرجه
ويا كليماً هوى فوق الثرى صعقاً
لكن محيَّاه فوق الرمح أبلجه
ويا مغيث الهدى كم تستغيث ولا
مغيث نحوك يلويه تحرَّجه

الصفحة
482

فأين جدُّك والانصار عنك ألا
هبت له أوسه منهم وخزرجه؟
وأين فرسان عدنان وكلُّ فتى
شاكي السلاح لذيالهيجا مدبَّجه

واين عنك ابوك المرتضى أفلا
يروك بالطّف فرداً بين جمع عدى
تخوض فوق سفين الخيل بر دم
حاشا لوجهك يا نور النبوة أن
وللجبين بأنوار الامامة قد
اعيد جسمك يا روح النبي بأن
عار يحوك له الذكر الجميل ردى

يهيجه لك إذ تدعو مهيجه؟
البعي يلجمه والغى يسرجه
بالبيض والسمر زخار مموجه
يمسي على الارض مغيراً مبلجه
زها وصخر بني صخر يشججه
يبقى ثلاثاً على البوغا مضرجه
أيدي صنائعه بالفخر تتسجه

الصفحة
483

والرأس بالرمح مرفوع مبلجه
حديث رزه قديم الاصل اخرج إذ
تالله ما كربلا لولا (سقيفتهم)
وفي الطّفوف سقوط السبط منجدلا
وبالخيام ضرام النار من حطب
لكن أمية جاءتكم بأخبث ما
سرت بنسوتكم للشام في ظعن
من كلّ والهة حسرى يعنفها
كم دملج صاغه ضرب السياط على

والشعر بالعود مقروع مفلجه
عن الأولى صحّ اسناداً مخرجه
ومثل ذا الفرع ذاك الاصل ينتجه
من سقط (محسن) خلف الباب منهجه
بباب دار ابنة الهادي تأججه
كانت على ذلك المنوال تتسجه
قبايه الكور والاقتاب هودجه
على عجاف المطى بالسير مدلجه
زند بأيدي الجفاة ابتزّ دملجه

الصفحة
484

ولا كفيل لها غير العليل سرت
تشكو عداها وتنعى قومها فلها
فنعيتها بشجى الشكوى تؤلفه
ويدخل الشجو في الصخر الاصم لها

ترثي له ألم البلوى وتتشجه
حال من الشجو لفّ الصبر مدرجه
ودمعها بدم الاحشاء تمزجه
تترّف من شظايا القلب تخرجه

باباً من الصبر لا ينفكُ مرتجه
طول العويل ولكن ليس يتلجه
مراثياً لو تمسُّ الطود تزعجه
لكن عظيم رزاياكم يلجلجه
في القلب حرُّ جوى ذاك توهُجه

فيا لا رزائكم سدَّت على جزعي
يفرُّ قلبي من حرِّ الغليل الى
أودُّ ان لا ازال الدهر أنثنها
ومقولي طلق في القول اعده
ولا يزال على طول الزمان لكم

العلامة

الشيخ حسن الحلي

حرصت الحلة الأدبية أن تُبقي على علاقاتها الفكرية مع حاضرة النجف العلمية، وقد
تمتّت هذه الظاهرة بهجرة أبناءها الحليين إلى الحوزة النجفية يوم كانت ملتقى ثقافات ذلك
العصر.

فالأديب الحلي لا يقنع باطروحته الأدبية مالم يضم إليها جهده العلمي التحقيقي الذي
استقاه من حاضرة النجف العلمية، ولعل المزوجة بين المشروع الأدبي الحلي وبين
الاطروحة العلمية التحقيقية كانت من صفات

الأديب الحلي الذي لم ينقطع عن حاضرتة الفقهية النجفية، لذا فان اطروحته الأدبية
جاءت مشروعاً تحقيقياً منتزعاً من مشاهداته العلمية في قراءة التاريخ واستقصاءً لحديثيات
الحدث والقضية.

ولعل الشيخ حسن الحلي الأنموذج الأمثل لهذه النزعة التحقيقية، فهجرته مع والده إلى
النجف عبأت طاقاته الأدبية إلى جهد علمي زاخر بالعطاء، وطغي هذا التوجه التحقيقي
على مشاريعه الأدبية، لذا فقد جاءت قصائده الفاطمية خلاصة لقراءة تاريخية ناضجة،
ومتابعات علمية رشيدة.

[109] فمن قصائده الفاطمية قوله:

عن ساكنيها متى عن افقها غربوا
فاصبحوا فرقاً عن عقرها عزبوا
ولي فؤاد قفا آثارهم يجب
تسابقت فهو دامي الغرب مختضب

سل اربعاً فطمت اكنافها السحب
سرعان ما صاح طير البين بينهم
سرت تجوب الفيافي فيهم النجب
اتبعتهم ناظراً خيل الدموع به

الصفحة
487

فيهن طير الفنا ينعى وينتخب
رأى اشج علت من فوقه الكتب
نوناً بها عجم شين الخط قد كتبوا
آثارها ومحت سيماءه النوب
كالغيث والنار في الاحشاء تلتهب
صدر الفضاضاق وهو الواسع الرحب
حرى اناخت بها الاحزان والكرب
وجد اذا ما نزا بالقلب يضطرب
ربع محت رسمه الاعوام والحقب

أضحت منازلهم للوحش معتكفاً
لم يبق منها سوى رسم وذئ شعث
وذئ انحناء كجسم الصب تحسبه
أوهت قواعدها كف الضنا فعفت
وقفت فيها ودمع العين منسكب
وبي لواعج وجد لو رميت بها
حيران اقبض في رعرش البنان حشاً
وقائل لي رفه عن حشاك ولي
فقلت لم يشجني نأي الخليط ولا

الصفحة
488

تتمى اليه الرزايا حين تنتسب
الأعقاب من بعده اصحابه انقلبوا
بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
وقلبها بيد الأرزاء منتهب
لما مضيت وحالت دونك الترب
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب)

لكن اذاب فؤادي حادث جلل
يوم قضى المصطفى في صبحه وعلى
قادوا اخاه ورضوا ضلع بضعته
لم انسها وهي تتعاه وتندبه
تقول يا والدي ضاق الفضاء بنا
(قد كان بعدك انباء وهنيئة

(انا فقدناك فقد الارض وابلها
نفوا اخاك علياً عن خلافته
كقوم موسى اطاعوا العجل واعتزلوا

واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا)
وشيوخ تيم عناداً منهم نصبوا
هارون والسامري الرجس قد صحبوا

ويل لهم نبذوا القرآن خلفهم
ما راقبوا غضب الجبار حين إلى
ألغوا وصاياهم في اهليه وانتهبوا
جاروا على ابنته من بعده فغدت
وجرعوها خطوباً لو وقعن على
ابضعة الظهر طه نصب اعينهم
رضوا اضالعها اجرها مدامعها
لبيتها وهي حسرى في معاصمها
فألما عضديها في سياطهم
قادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم

ومزقوه عناداً بئس ما ارتكبوا
المختار أحمد قول (الهجر) قد نسبوا
ميراثه والى حرمانهم وثبوا
عبرى النواظر حزناً دمعها سرب
صم الجبال لاضحت وهي تضطرب
بالباب يعصرها الطاغي وما غصبوا
أدموا نواظرها ميراثها غضبوا
عدوا فلاذت وراء الباب تحتجب
واسقطوا حملها والمرضى سحبا
تدعو وادمعها كالغيث ينسكب

ياقوم خلوا ابن عمي قبل ان تقع
فقنعوها بقرع الأصبحية لا
ووشحوا منتنها بالسوط فانكفأت
حرى الفؤاد يروي الارض مدمعها
قد حارب النوم عينيها وانحلها
ما بارحت قلبها الاحزان ذات حشاً
قضت وفي جنبها اثر السياط وفي

الخضراء فوق الثرى والكون ينقلب
عداهموا سخط الجبار والغضب
لدارها وحشاها ملؤه عطب
فكلما سال هذا ذاك يلتهب
فرط البكاء واضنى جسمها التعب
حرى إلى ان اهيلت فوقها الترب
فؤادها للرزايا جحفل لجب

ما شيعوا نعشها السامي علا ولقد

تراحمت خلفها الاملاك تنتحب

الصفحة
491

سلوا ضبا الظلم من اغمادها فغدا
ثا وبحر هجير الشمس منجدلا
جالت عليه العوادي بعد ما نهبت
يا ثاويأ بمحاني الطف قد سلبوا
"تالله ما سيف شمر نال منك ولا
"لولا الأولى اغضبوا رب العلى وابوا
"كف بها امك الزهراء قد ضربوا
فدونكم يا بني الزهراء مرثية
ارجو خلاصي بها في يوم لا سبب
ارجو خلاصي بها في يوم لا سبب

عليكم صلوات الله ما طلعت

في الافق شمس ولاحت انجم شهب

الصفحة
492

[110] وله في رثائها (عليها السلام):

لا رعى الله "قبيلة" وعراها
اغضبت أحمداً بعزل امام
واجهته بما لهارون قد ما
أخرته وأمّرت شيخ "تيم"
حالفته على الضلال وحادت
احدثت الورى احاديث كذب
اسخطت ريبها فلا رضي الرحمن
سخط موسى وحل منها عراها
فيه كم آية جهاراً تلاها
واجهت قومه ضلالا سفاها
سر كفرانها وقطب شقاها
عن اخي المصطفى منار هداها
لا نبي ولا وصي رواها
عنها وخالفت نص طاها

(حيدر) وهو للورى مولاها
الفلك للعالمين فيه نجاها
انه للعلوم شمس سماها
فيكم وعترتي لن تضاهى
فله النار في غد يصلها
هجراً والآل فرط جفاها
على الخلق حبها وولاها
لا يطيق الطود الأشم لقها
واهتظاماً منه استطال عنها

فلكم قال وارثي ووصيي
هو مني كمثل هارون وهو
فاحفضوا لي وصيتي بابن عمي
ايها القوم ان بعدي كتاب الله
ان من صد عنهما كبرياء
فغدا منهم يقاسي كتاب الله
حاربوا (فاطماً) وقد فرض الله
لقيت منهم خطوباً عظاماً
كسر ضلع وغصب ارث ولطما

مذ أطالت لفقد (طه) نعاها
سراً واطهرت بفضاها
عناداً وامرت ادعيها
جد وفرط السقام قد اورثها
مزقا (صكها) وما راعياها
سيد الانبياء فلم ينحلاها
وشواظ الزفير حشو حشاها
والجوى كاد ان يريها رداها
ل كي يحرقوا عليها خباها
كسروا ضلعها وهدوا قواها
(محسناً) وهي تندب الطهر طاها
بنجاد الحسام "حامي حماها"
وحشاها ذابت بنار شجاها

اخرجوها من المدينة قهراً
وعلى هظمها تواطأت الأتصار
عزلت بعلها عن الحل والعقد
غصباها تراثها ولظى الو
دفعها عنه عناداً وظلما
وادعت نحلة لها من ابيها
فانثنت والفضاء ضاق عليها
وانت دارها تجر رداها
فاتوا نحو دارها واداروا الجز
عصروها بالباب قسراً إلى أن
ألجأوها إلى الجدار فالقت
دخلوا الدار وهي حسرى فقادوا
برزت خلفهم تقوم وتكبوا

وعلى رأسها قميص أبيها
وهي تعدو خلف الوصي وتدعو
أيها القوم اطلقوا صفوة الله
أو لأدعو الله العظيم بشجو

وعلى متنها استوى فرخاها
بانكسار فلم يجيبوا نداها
امام الانام عقد ولاها
فتخر الخضرا على غيرهاها

فاتاها العبد المشوم فأدمى	متهافانثنت تطيل بكاها
وهي منهم بمسمع وبمرأى	نصب عينيهم تقاسي اذاها
أذياها عند الحياة ولما	حضرتها الوفاة ما شيعاها
دفنت في الدجى وعفى (علي)	قبرها ليته استطال دجاها
أفمئل ابنة النبي يوارى	شخصها في الدجى ويعفى ثراها

العلامة الحجة

الشيخ محمد علي قسام

حظيت عقود النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري بفترة ثورية متميزة، وحفلت رجالاتها بالحركة الجهادية الميدانية التي استقطبت علماء أفاضل كان لهم الوقع الكبير في صد الاحتلال البريطاني وتقرير السياسة الخارجية والداخلية للعراق الإسلامي. برز في هذه الفترة الجهادية العلامة الحجة الشيخ محمدعلي قسام، مقاتلاً ميدانياً منقداً للخطط العسكرية التي يقررها القادة العلماء أمثال

السيد محمد سعيد الحبوبي حيث رافقه أثناء عملياته العسكرية، ومجاهداً على المستوى العقائدي الذي كان يبث مبتنيات آل البيت (عليهم السلام) من خلال خطبه المنبرية الحسينية. رافقت حركة العلامة الشيخ محمد علي قسام الفكرية اطروحته الأدبية الفذة والتي قدّم من خلالها برنامجها التاريخي التقريري الذي قرر مصائب آل البيت (عليهم السلام)، على أنه التاريخ المضيق من قبل المدارس التاريخية المبرمجة على أساس النظرة المقابلة لمدرسة آل

البيت (عليهم السلام)، وبرزت مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) في أولويات مشاريعه الأدبية فقررها مؤرخاً، وقرضها أديباً.

* * *

جاءت قصيدته الفاطمية ضمن روائع المكتبة الأدبية الإمامية وقدمها في مقطوعته التي جاء فيها:
[111] قوله:

الله من رزء يكادُ وقعهُ	يهدُّ ركن السبعة الشدادِ
فهل رأيت قبلها ثعالباً	تدوس في عرينة الأسد
وتخرجُ الطيغم من عرينه	مليباً يُقادُ بالنجاد
وفاطم الزهراء تعدو خلفهم	صارخة لا تؤتموا أولادي

الصفحة
497

ورثة السياط فوق متنها	لها حدى باق إلى المعادِ
ولم يغنها أحد منهم وهم	قد سمعوها بينهم تنادي
تدعو أباه تشتكيم عنده	ودمعها يصوب كالعهدِ
تدعو ونار الوجد في فؤادها	كأنها تقدح في زنادِ
عزّ على المختار ما قد لقيت	بضعته من صحبه الاوغادِ
عز عليه أن يراها بعده	ناحلة حليفة السهادِ
ودع عنك حديث الباب جانباً	فرزئه يفت بالاكبادِ
أي رزاياها أعدّها وقد	جلّت رزاياها عن التعدادِ
أنارهم أنسى وها شعلتها	لا تتطفي تشب في الفؤادِ
أم ضلعها المكسور وهي لم تنزل	ممنوعة منه عن الرقادِ
أم حمرة العين وتلك نكبة	والله لا تُنسى مدى الأبادِ
أم كيف أنسى عضد الزهراء وذا	دملجه قد فتّ بالاعضادِ
وسل عن المسمار صدرها وفي	الدماء ما يغني عن الاشهادِ

الشيخ قاسم محي الدين

سعتُ الحوزة العلمية النجفية على طول تاريخها إلى المحافظة على الحالة الإسلامية لدى الأمة، وحاولت بذل جهودها لتوجيه الحياة العامة بما ينسجم وفكر مدرسة المعصومين (عليهم السلام)، فضلاً عن حفظ الاحكام الشرعية التي عرفت بها المهمة الحوزوية قديماً، وبثها بين صفوف مختلف الطبقات لقيادتها إلى حيث السلامة الشرعية المطلوبة في ممارستها اليومية على مستوى عموميات التعامل الحياتي وجزئياته. ولما كان الأدب، الهاجس المعبر عن تطلعات الأمة وتوجهاتها، فان

الحوزة العلمية النجفية قد أدخلت في دائرتها الاصلاحية المشروع الأدبي وتعاملت معه على أساس المسؤولية الشرعية التي يحملها الأديب للتعبير عن طموحات الأمة المتمثلة، بالانسان، بالمجتمع، بالقضية، بالتاريخ... إلى غير ذلك من مكونات شخصية الأمة وذاتها، وحاولت توجيه الرؤية العامة التي يمثلها الأديب بما يلائم والتعبير عن هموم الأمة وتطلعاتها، لذا فان المشروع الأدبي الحوزوي، تزعم النهضة الأدبية التي تزامنت مع النهضة العلمية وقتذاك، وسعى إلى ايجاد الأدب الإسلامي الموجّه، وأدخل في حوزته جموعاً من الأدباء، وصار حتى الأديب البعيد عن الحوزة وأجوائها يقيس أعماله الأدبية الملتنزمة على أساس الأدب الحوزوي فيجعله دالة الالتزام والقبول. أنجبت النهضة الأدبية الحوزوية بالاضافة إلى مشاريعها الأدبية، أنجبت أدباء مجيدين، مثلاً طموحات الحوزة العلمية في المجال الأدبي، وعبروا عن طموحاتها بما يؤدي إلى أن

يكون المشروع الأدبي مستوعباً للرؤية الإسلامية التي تتمثل في آل البيت (عليهم السلام) سلوكاً وسيرةً وتاريخاً.

كان الشيخ قاسم محي الدين رحمه الله ممن مثل هذا الاتجاه الأدبي، وقدّم في مشاريعه الأدبية طموحات الأمة المنطوية على قراءة قضية آل البيت (عليهم السلام) وتاريخهم للوصول إلى السمو الروحي والاكتمال الذاتي. أكد الشاعر في اطروحاته الأدبية على مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) وحاول أن يقدم التاريخ قراءة وتحليلاً على أساس قراءة وتحليل هذه المأساة.

واستعراضاً لسيرة الشاعر الذاتية، ستشارك بوضوح في الجهود التي قدمتها الحوزة العلمية مما أنجبته من فحول أعظم. ترجمه صاحب أعيان الشيعة بقوله: الشيخ قاسم بن حسن محي الدين.

ولد في 25 رمضان سنة 1314 هـ وتوفي سنة 1376 هـ.

نشأ في النجف، ودرس المقدمات من العربية وما إليها على الشيخ جواد محي الدين وتلمذ في الفقه والاصول على الشيخ أحمد كاشف الغطاء والميرزا حسين النائيني والسيد أبي الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين الاصفهاني ومارس الشعر برهة من الزمن ثم انصرف عنه إلى خصوص العترة النبوية فمدحهم ورثاهم وامعن في هذه الحلبة حتى لم يترك من أهل البيت أحداً لم يرثه ثم بالغ في التوسع في ذلك فتناول كثيراً من أنصار الحسين فخصهم بمدائح ومراثي وقد طبع له ديوان في خصوص هذا يقع في نحو خمسمائة صفحة تناول في ذكر الأئمة (عليهم السلام) ومن لحق بهم أسماء الشعر المقبول وله كتاب وحي الشريف اتى فيه على حكم الرضي وأمثاله... وله كتاب بداية المهتدي وهداية المبتدي وقد عمله في النحو على طريقة مختصرة، وله حاشية على طهارة الرياض. في الفقه. وحاشية على كفاية الاصول للعلامة الاخوند الخراساني وله المصابيح النحوية في شرح الالفية في حل مشكلات الشيخ بدر الدين في شرح وحاشية في المنطق، ورياض النادي ترجم فيه الشيخ عبد الحسين محي الدين والشيخ وادي رئيس آل زبيد، وسيرة الامناء في 500 صفحة وأمانى الخليل وشقائق النادي في

روائع الهادي والمغني والمعالم والقوانين وله كتاب في البديع وله ديوان في الغزل والنسيب.

له كتاب البيان في غريب القرآن. وهو عبارة عن حصر الالفاظ الغريبة من القرآن الشريف وشرحها شرحاً مبسطاً سهلاً في أرجوزه من الشعر السلس منها:

وفسروا القثاء بالخيار
أو ما يضاھيه من الاثمار
وقيل مطلق الحبوب (الفوم)
أو قمح أو خبز وقيل الثوم
(باؤا) بمعنى انصروا أو رجعوا
وهي لغير الشر ليس تسمع
(والصابئين) من هم قد خرجوا
عن دينهم وفي سواه ولجوا(1)
إلى آخرها.

* * *

[112] واليك محاولاته الأدبية الملتزمة في رثاء الزهراء (عليها السلام) واستعراض مأساتها:

كيف تنسى مصاب بضعة طاها
إن دھاها من الاسى ما دھاها
انحلت جسمها الرزايا فابدت
لهف نفسي لما بها شكواها

1- راجع اعيان الشيعة للسيد محسن الأمين 8: 435.

وأقامت بها الدواهي كروباً
لم يطق حمل بعضهن سواها
وبها الحزن منذ شب زفيراً
مصعداً صوب الدموع مياها
فهي رهن للمرجفات التي قد
او قدت نارها وأبدت أساها
قد أبى قلبها السلو فأمست
وهي حرا الفؤاد تنهى أباه
احرقتها أحشائها حيث قد أن
نفذت الدمع في سبيل بكاه

مؤلم والجوى أباد قواها
بعظيم الاسى وطول عناها
وكأن المرمى لها احشاها
شاب منها لما دعت فوداها
لهف نفسي لفرط وجد عراها
لم يزل من جواه رهن لظاها
أدمعاً تشبه الحيا عيناها
ليس توسى وقد أطالت أساها
وممض الاسقام قد أضناها
لما قد ألمَّ عزَّ عزاها
قدحت نارها بزند جواها
لملم من الاسى جبتاها

ودهاها القضا بكل ملم
أوهنتها الخطوب لما رمتها
فكأن الهموم نبل قسي
شاب منها الورد الردى برزاليا
وعراها الوجدالمبرح قسراً
ذاب منها فؤادها وحشاها
أحرقتها نيرانها فاذاالت
ان في قلبها جراحات حزن
لو تراها وهي الشجية حزناً
وهي تَبكي بكاء فاقدة الصبر
شأنها النَّوح مزيد الخطب شجواً
حر قلبي لها وقد اسلماها

نحلة المصطفى وما ورثاها
با فاعيل منكر أضمرها
محسناً بالذي به روعاها
فرصة بعد أن أباحا حماها
الدمع من عينها لفرط بكها
لظما خدها ولم يرعيها
وبسوط الزنيم قد أوجعاها
لا وعلياته ولا راعياها
حيث سيمت ضيما تقاسي أذاها
أمة ما اهتدت فما أشقاها

أبعداها عن فيئها غصباها
قصدا دارها عناداً وحقداً
أحرقا بيتها وقد أسقطاها
كسرا ظلعتها مذ انتهزاها
نثرا قرطها انتثار عقود
خرقا صكها عتوا وكفراً
قصداها بكل هول ملم
غصبا بعلمها وما راعياها
لم تزل بالهوان بعد أبيها
أخرجت بعلمها يقاد هواناً

بيدي كل ملحد ما رعاها
مفزع غير نوحها وبكاها
أن تطيل الاسى وتبكي أباه
جلّ وقعاً والسقم قد أضناها
أو أذالت دموعها من حشاها
أودعوا حرقة يشب لظاها
امام وفي الدجى واراها

قعدت مذ رأّت حماها أسيراً
شأنها النوح والبكا لا ترى من
حر قلبي لها وقد منعوها
فهي منهدة القوى بمصاب
لا تلمها إن أعولت بنجيب
حيث قد روعوا حماها وفيها
فقضت نحبها وشيعها خير

وبرغم العلياء عفى ثراها
والعدا قد عدوا على ابناها
دامي النحر مودعاً غبراه
مذ غدا رهنا بفتك ضباها
صريعاً موسداً رمضاها
وسبت نسوة يعز سباها(1)

إذ لا سبيل الى جحود الملحد
لو جاء مدحوض الأدلة في غدٍ
نياتهم عن نص ذاك المشهد
بعد الجحود تمسك بمحمد
وعدلت عن سنن الوصي المرشد
أغضت جفونك عن منار المهتدى
ملئت قذاً منه عيون الحسد
والشمس مشرقة السنالم تجحد

دفنت بنت أحمد الطهر سراً
يا امام الهدى الى مّ التغاضي
قتلوا المجتبي وأردوا حسيناً
قد كسته الدما برودا بنفسي
نهبت شلوه المواضي وأردته
رفعت رأسه على الرمح جهراً
[113] واله في رثائها أيضاً:

أوضح بنهج الرشيد للمسترشد
ما عذر من دحض الهدى بظلاله
حضرنا بمشهد دوحة وتغيبت
جددوا علياً حقه أهل لهم
أعصابه الشورى اعتزلت عن الهدى
خبطاً بتيهاء الظلالة بعدما
جددوا الغدير بغدرهم حسداً لمن
عجباً لهم جددوا ولاء امامهم

جدوا النبي بجدهم لوصيه
عقدوا له الشورى وتلك سقيفة
وتألبوا زمراً لغصب وليهم
وأتى الزنيم مهتماً بيت الهدى
وعتا وما راعا وديعة أحمد
والم في بيت الرسالة موقداً
سل فاطماً عن نكت عهد محمد
سل فاطماً عن دمعها المنهل من
سل فاطماً عن نوحها ونحيبها
سل فاطماً عن ظلها من غاله
سلها عن المسمار حيث أمضاها
سل فاطماً عن ضربها بسياطهم
سل فاطماً عن قبرها عن دفنها
سلها عن السوط الذي قد راعها
سلها عن الهادي الوصي ملبياً
حيث الشقي بمقود من ظلمه
والطهر تدعو وهي تعدو خلفه
وأبو مصافحة الهداية باليد
بسوى الظلال عريشها لم يعقد
من غائر تبع الشقاق ومنجد
إذ ضل عن نهج الرشاد وما هدى
فدراعها في حقه المتوقد
نيران أضغان به لم تخدم
فيها بظلم مثله لم يعهد
أجراه عن ذوب الفواد المكمد
عن حزنها عن سقمها المتجدد
كسراً برد الباب بعد تهدد
وعن الجنين وقرطها المتبدد
حتى غدت مثل الدمالج في اليد
سراً بظلمة جناح ليل أريد
عن غضبها ميراثها من أحمد
بنجاهه مستجداً لم ينجد
قاد الوصي المرتضى للمسجد
بندا يذيب حشى الصفا والجلمد

أعدوا وأبسط للاله به يدي(1)

خلوا ابن عمي أو عليكم بالدعاء

[114] وله أيضاً من قصيدة طويلة قائلها فيها:

تتسى رزايا فاطم إذ جرّعت
او ما أذاك حديث ذاك الباب مذ
غصصاً تمر شجا على مر الزمن
حرقوه في نار تشب من الاحن
دخلوا بلا إذن عليها بيتها
ودخلهم عين الخروج عن السنن
منها الجنين وملاً أحشاها شجن(2)
فقضت بعين الله غضباً مسقطاً
إلى آخر قصيدته رحمه الله.

1- الشعر المقبول في رثاء الرسول 13.
2- نفس المصدر: 23.

الصفحة
508

الصفحة
509

آية الله

الشيخ عبدالله بن معتوق القطيفي

لم تقنع القطيف الامامية أن تكون مستمعة دونما تكون منشئة، ولم تقنع أن تُعدّ بلدان التشيع حواضر علم وأدب دونما تسجّل حضورها في العلم والأدب، أي ترفض القطيف أن تنضم إلى ثقافة غيرها حتى لو شاركتها بكل الخصوصيات كالحساء مثلاً دون أن تؤسس حاضرتها العلمية . الأدبية على أيدي رجالاتها الأفاضل، فكما كانت للاحساء شخصيتها الولائية فان القطيف كانت امتداداً لهذه الشخصية الولائية المتميزة.
تظهر ملامح القطيف الثقافية على الأدبيات القطيفية ذات النزعة الولائية

الصفحة
510

التي تميزها بخصوصياتها وتوجهاتها الرائعة، فبلدان الساحل العربي الأخضر احتضنت ثقافة آل البيت (عليهم السلام) لتترجمها في أدبياتها فضلاً عن تحركاتها الجهادية المعروفة، والقطيف حاضرة من حواضر البيعة لآل البيت (عليهم السلام) ومدرسة مشتقة من ثقافتهم

وولائهم، ومتى كان الأمر كذلك فإن قراءة لأدبيات المدرسة القطيفية تعطي مؤشراً صريحاً لهذا الاستقصاء العقائدي، ودالةً لمعالم هذه النزعة.

إن قصيدة لآية الله الشيخ عبدالله بن معتوق القطيفي هي إحدى ملامح هذه المدرسة الأدبية الولائية، فتقافات هذه المدارس لا تكتمل إلا بعد قراءة موضوعية للتاريخ الإسلامي ترتسم حصيلتها أخيراً في مقطوعات أدبية رائعة، ومأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) كانت أنضج قراءة لتاريخ إسلامي متخاذل، وتوجهات ولائية مكتومة.

بعد هجرته إلى النجف سنة 1295 هـ حصل على اجازة الاجتهاد، له كتب عدة منها: حاشية على العروة الوثقى، ورسالة في علم الهيئة توفي رحمه الله سنة 1363 هـ.

[115] قال في رثاء السيدة الزهراء (عليها السلام):

ما العُدْرُ لِلأُمَّةِ فيما سَلَكَتِ	عن ليلة القَدْرِ التي قَدْ هُتِكَتِ
ما العُدْرُ عن رُجاجة المصباحِ	إذ كُسِرَتْ ظُلماً لدى الصَّبّاحِ
ما العذر عن مَوْؤدة إذ سُئِلتِ	يوم الجَزَا بأيّ ذَنْبٍ قُتِلتِ؟
ما العُدْرُ لِلأُمَّةِ عن أمّ القُرَى	إذ عُطِلت أبياتها عن القُرَى(1)
ما العُدْرُ عَمّا فَعَلوا من منكرِ	مَمّا قديماً مثله لم يُذَكِّرِ
ولم يَجْزِ عند أولي الأديانِ	وغيرهم في سالف الأزمانِ
فهل جرى من أُمَّةٍ فيما سَلَفِ	على بنات الأنبياء أهل الشرفِ
كما جرى على ابنةِ الرّسولِ	فاطمةِ الزكيّةِ البتولِ
من الأذى والذُلِّ والإهانةِ	من بعد ذاك العزِّ والصّيّانهِ
ما فاطمٌ وَهَجْمَةٌ الأشرارِ	في دارها وهي بلا خِمار؟!!
ما فاطمٌ ما البابُ والجدارُ	ما لَضَعُطُ ما الإسقاطُ والمِسْمارُ؟!!
ما فاطمٌ ما حُمْرَةُ العَيْنينِ	ما الضَّرْبُ ما اللَّطْمُ على الخدّينِ؟!!
ما الطُّهْرُ ما إضرامُ تلك النَّارِ	ببابها وهي ابنةُ المختار؟!!
ما فاطمٌ ما مَجْلِسُ الرّجالِ	ما الطُّهْرُ ما التّكذيبُ في المقال؟!!

ما الطُّهر ما الدعوى بغير حقّ

و الحقُّ شاهدٌ لها بالصدّق(2)؟!

- 1- القُرَى: ما يقدّم للضيف من الطعام.
- 2- الديوان: 61.

الصفحة
512

الصفحة
513

آية الله الحجة

الشيخ محسن بن شريف الجواهري

في ظل ظروف فكرية مضطربة، لم تعد الحوزة العلمية مقتصرة على التقرير الفقهي أو الابداع الأصولي فحسب، بل أدخلت الحوزة العلمية في برامجها الدراسية أو تحركاتها التنقيفية مهمة الاصلاح العقائدي المبرمج. فمحاضر الدرس التقريرية أو منتديات المناظرة الاستدلالية أو مشاريع الأدب التوجيهية كلها وحدات تنقيفية ناضجة اتخذتها الحوزة العلمية تحركاً مبرمجاً قدّمت على ضوئه مبتنياتها العقائدية.

الصفحة
514

والقصيدة العربية كانت احدى المفردات التنقيفية الناضجة التي احتلت اهتمام الحوزة العلمية في ظل ظروف أدبية منفلتة غير موجهة، أو موجهة لصالح تيارات تنقيفية غير اسلامية، أو اسلامية غير ملتزمة تتهاوى في احضان فلسفات تتقاطع مع خطوط العقيدة الإمامية. هكذا وجد العالم والأديب مسؤولية التصدي للنزعة التاريخية التهميشية التي يتعمدها المؤرخ في مشاريعه، أو النظرة الساذجة للحدث الإسلامي الذي يُدخل المشروع التاريخي قارئه فيحيله إلى مترف ثقافي يتصفح قصصاً تاريخية هامشية ليبقي الحدث الإسلامي ساذجاً سطحياً.

كان آية الله الشيخ محسن بن شريف الجواهري من رواد الاصلاح الأدبي الذي قرر في مشروعه الفاطمي توجهات الحوزة العلمية حيال مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وأكد في مقطوعته الأدبية الرائعة رسالة الحوزة للتصدي إلى محاولات محق الحدث الإسلامي وتهميشه على أنه قضية عابرة، بل أوجد الشيخ محسن الجواهري علاقة تأصيل بين الأمة وبين الحدث الفاطمي الذي قرر على ضوءه مساراتها المستقبلية الرشيدة.

كان الشيخ محسن الجواهري من أقطاب الفضيلة في الحوزة العلمية، حضر في الفقه والاصول على شيخ الشريعة والشيخ محمد حسين الكاظمي والسيد علي الشرع والشيخ علي الشيخ باقر آل صاحب الجواهر. أجازته الحجة آية الله ميرزا محمد حسين النائيني اجازة اجتهاد. له من الاثار العلمية:

1. شرح نجات العباد
2. الفرائد الغوالي في شرح أمالي السيد المرتضى في الادب والتاريخ والنقد أربع مجلدات
3. القلائد الغرر في امامة الاثنا

عشر 4. شرح منظومة السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي 5. عدة اراجيز في الكلام والقرائة والمواريث ولد سنة 1295 هـ وتوفي في 15 ذي الحجة سنة 1355 هـ. دفن في النجف.

* * *

[116] قال في مقطوعته الفاطمية الرائعة:

قفا رَوْحاً بالبييض عن كبدي الحرا	وكفا بسمر الخط ادمعي الحمرا
ولا تسئما ان تبكيا بشبا الضبا	حوادث قد ابكت دماً (أحمد) الطهرا
حوادث أبكت أحمداً ووصيه	وبضعته واستأصلت اله الغرا
حوادث ما ابقت لدين محمد	عماداً ولا الوت على الحجة الكبرى
حوادث اعطت اله السيف بعده	ولم يتخذ الا مودتهم اجرا
غداة عدت بغياً على دين أحمد	عدي وتيم وادعت بعده الامرا

قببلا واجفاها والأمها نجرا
واخملها في يوم مفخرة ذكرا
ففي ذا غنى اما قتلتها خبرا
عهودهما ان لا يفرا وقد فرا
فما احرزا فيها غناءً ولا نصرا
بيوم فتبلا لا ولا طلبا وترا
ولا ابليا في ملتقى جيشها عذرا
فقد ركبا في امرها مركباً وعرا
إلى العدل (اقضاها) واشرفها قدرا

اذلا قريش جانباً واقلها
واخسرها في ساحة المجد صفقة
فسل عنهما احداً وسل يوم خيبر
ويوم حنين اعطيا سيد الورى
وسل يوم بدر والمشاهد كلها
ولا قتلا فيها قتبلا واغنيا
ولا جاريا في حومة الحرب مسلما
وسل عنهما احكام دين محمد
وكم قضايا بالجور فيها فردها

واوفرها علما واعظها صبيرا
صاحبته من صبة شانت الدهرا
إلى الحشر لا تنفك معقبة شراً
وحاكت ثياب الذل للبضعة الزهرا
أقام عمود الدين واستأصل الكفرا
فقد طلبت عند النبي لها وترا
لردتها بعد الهدى احتدمت جمرا
اراق دم الاسلام ما بينها جهرا
اذا جاءها لم يشك ضيما ولا ضرا

واولها سلماً وارسخها حجي

* * *

فيا ضلة ماذا جنت بعد أحمد
ويا ضلة ما ذا جنته بفرية
عدت بعده جهراً على بيت حيدر
ولم يجن ذنباً عندهم غير انه
فخل قريشاً والسفاهة جانباً
وعرّج على ابناء قبيلة فالحشا
وسلها عهود المصطفى ان نكثها
الم تعطه العهد الوثيق بانه

وان له منهم حمى دون نفسه
فلم غيرت واستبدلت بعد عهده
وعن ملاً ردت إلى عقر بيتها
ويوم اقتحام الدار يوم تهتكت
فعن ملاً منهم اتوا بيت فاطم
غداة غدى ركن الضلالة حاملا
يحاول حرق الدار والدار تلتقي
ينادي به اخرج (علي) وان تقم
فكم ريعت (الكبرى) بهذا وكم شكت

واهلبيه والله الشهيد بها ادري
واغضت على ظلم المطهرة الزهرا
تجر ثياب الذل مهضومة عبرى
به حرمان الله حتى بدت حسرى
مقر الهدى والدين والحجة الكبرى
على ظهره اضعاف ما في الحشا اورى
على صبية لم تعرف الخوف والذعرا
فللنار اعمال ستخرجكم قسرا
إلى جدها ما نالها منهم (الصغرى)

وكم هتفت بالمسلمين وكم دعت
ولا قائل منهم دعوها فانها
تناشدهم والمسلمين ولو دعت
تقول لهم يا قوم بيتي ولم يكن
فما كف عنها الرجس بل حركت له
وهاجم بنت الوحي والباب دونه
ولم يرعها بل راعها وتزاحموا

بيا لرسول الله لابنتك (الزهرا)
سليلة خير الخلق والبضعة (الهورا)
بحق رسول الله صلد الصفا خرا
نبي الهدى يوماً ليدخله قهرا
حشى فيه نار الحقد كامنة دهرها
عقيلة آل الله مسندة صدرا
على الباب افواجاً فابئس بهم طرا

* * *

فقل للذي رام اعتذاراً لبغيهم
زعمت ابنة الهادي اطمأنت واذعنت

على المصطفى، قبحت من طالب عذرا
لما لفقوا يا بئسما احتقبا وزرا

فما بالها غضبي قضت بعد عذرهم
فيا ايها العاوي على اثر من مضى
إلى كم ترى نهج الضلالة لا حياً
وفيم تعد الغي رشدا ولا ترى
وحتام لا تصغي لعذل ولا تعي
رويداً فليس الدين بالرأي يبتغي
وما بالها لما قضت دفنت سرا
بغير هدى اكثرت في قولك الهجرا
جلياً وملحوب الهدى مظلاماً وعرا
سبيل هدى إلا اختلقت له سترا
مقالة ذي رشد ولا تسمع الذكر
وعما قليل يطمئن بك المسرى

الشيخ عبدالله الوائلي الاحسائي

إذا كانت قصيدة البردة قد إحتلت شهرتها في غرض المديح على المستوى الأدبي الإسلامي حتى جاراها اكثر الشعراء، فان القصيدة الأزرية قد احتلت شهرتها الواسعة في غرض الرثاء على المستوى الأدبي الإمامي حتى جاراها اكثر الشعراء. ولعل الشهرة تكمن في الكفاءة الشعرية التي تميزها القصيدة، والرقعة تظهر في الوجدانيات التي تظهرها المقطوعة، واللياقة تتأتى من ارتسام الصورة ونقلها إلى السامع لتتقله من سامع مجرد، إلى مشاهد متفحص، هكذا كانت أزرية الشيخ كاظم الأزري كفاءة ورقة ولياقة يجمعها البيت

الواحد كقصيدة، وتكملها القصيدة كملحمة، أي أن القصيدة الأزرية أمة شعرية قائمة في كل زمان، ممتدة إلى كل الارحاء، فمن الكاظمية إلى الاحساء إلى كل حاضرة من حواضر الأدب الإمامي، يحيك الشاعر مقطوعته المؤشاة على منوال الأزرية أعذب المعاني وأروع

الوجدانيات، فصارت أزرية الأزري، بردة البوصيري في الربوع المصرية، ورباعيات الخيام في بلاد فارس، ومعلقات الجاهليين يوم أحاطوا بها الكعبة تثميناً لها، وتقديساً لروائعها. حاول الشيخ عبد الله الوائلي الاحسائي مجارة الأزرية، ومحاكاة معانيها فجاءت أزريةً. إحصائية رائعة، نسج فيها الشاعر على منوالها ملحمة أدبية شملت على أكثر من 1500 بيت ولعل نجاح الشاعر في رائعته حتى جاءت قصيدته أزرية ثانية، هي المشتركات الواحدة بين الشعارين، فالحس الرثائي والوجدان الشيعي قد توحدوا في كلا الشعارين، وهو ديدن شعراء المدرسة الإمامية تجمعهم توجهات مشتركة واحدة مهما طال الأمر وبعدت الشقة.

توفي الشاعر سنة 1305. تاركاً تراثاً أدبية رائعة منها ديوان شعر كبير يتألف من ثلاثة أجزاء، وكشكول كبير في مجلدين، إضافة إلى نهج الأزرية وهي ملحمة تشتمل على أكثر من 1500 بيت من الشعر.

[117] من ملحمة الموسومة بنهج الأزرية، قال:

وزوى نحلة البتول وعن إر	ث أبيها النبي قد أقصاها
وعلى بابها أدار حريق التثر	ار وفي عصابة بها أغراها
أمها أدلم وأدلم لآزا	ل في كل فتنة أولها
لا رعى الله أدلماً أي دار	راعها باللظى وما راعها
تلك دار عزت لدى الله شأناً	وبتنزير وحيه قد حباها
تلك دار نشأ بها أصل طوبى	والبرايا تعيش في أفيها
تلك دار حوت نفوساً إذا ما	نميت للنبي (1) كان انتماها
وهي في الأرض خيرة الله في الخلا	ق واللفظ الخفي في إبقاها

1- أي نسبت.

ر والغرّ الكرام من أبنائها
ر والله قد أعزّ حماها؟
حسبه إته غداً يصلها
ر على أهلها به أوراها
ومن الرّوع قد أربع حجاها(1)
منه ضرباً به وهت جنبها
يرعوي عن فضيحة قد نحاها
مفضعات لم أستطع إملاها
لام ثلماً لا يلتقي طرفها(2)

حيدر والبتول فاطمة الطه
أمن العدل أن تشبّ عليها النا
أيّ نار أوري عليها دلام
تلك نار من وقدها مالك النا
لست أنسى البتول حين أتته
تبتغي رافة فلم تر إلاّ
منه ألقت جنبينها وهو لمّا
وجرى ما جرى بحيدرة من
يالقومي لحادث أورث الإسد

- 1- في نسخة: حشاها.
2- هكذا ورد هذا البيت في الأصل، وفيه اختلال في وزن عجزه.

ذى ذويه الكرام في دنياها؟!
ه بهذا دون الوري وقلاها؟!
وهما الأشقيان في(2) أشقياها
بعده للبتول ما أضناها
فاطم بصنعتي مراراً احكاها
وأذاي مستجلب من أذاها
ورعى الله مؤمناً قد رعاها
ق البلايا بهنّ كان اشتراها
وبحسن الحفاظ قد أغلاها

أبهذا أوصى النبيّ بأنّ تؤ
أم بنصّ القرآن(1) قد خصّها الل
ولتيمّ الولا ورجس عدّي
زحزحاً صنوه اللصيق ودافا
أو ما قال أحمد الطهر فيها
فرضاها رضاي في كلّ حال
لعن الله من تجرّأ عليها
بأبي ذرة الجلالة في سو
ذرة قد غلت(3) لدى الله شأناً

- 1- في نسخة: الكتاب.
2- في نسخة: من.
3- في نسخة: علت.

مة أضحت تُسام في بلواها
وعزيز على الجلال جلاها
أعين أفعم الوجود نداها
حسبها سُودداً به وكفاها
ر والله فاطماً سمّاها
أزهر الكون من جمال بهاها
أفتديها وقلّ منّي فداها
قَبَسَاتِ الأسي تشبّب لظاها
قلّبتها على مقالِي جَواها
تُتَسِفِ الكائنات في إفاها

بعد ما أردعت [لدى] صَدَفَ الحك
جلبت بني كلّ وغد دنيّ
حجر الحكمة الذي منه سألت
كُنِّيْتُ في الوري بأّم أبيها
فَطَمْتُ مَنْ أَحَبَّهَا مِنْ لَطَى الننا
وبزَهراء لُقُبْتُ حيث أن قد
بأبي والبنين والنفس منّي
يوم جاءت أبا الشرور وفيها
قد أَلَمْتُ بقلبا زفراّت
زَفراّت بكَرْبها كَرَبْتُ أَنْ

وبشبلية والبتول(1) وقاها
ار قد أهدقت به رُعماها
مُطَرَقٌ لا يعي بليغ نداها
بينكم نَحَلْتُ وإرثي شفاها!
من مرّدين أقصياي سفاها!
وأبي في وصيّة أخفاها؟!
وهي فينا وكلّكم قد تلاها
وكلّ الوري بهذي عناها
وذه الناس أورثت آباها؟!

لكن الله بالوصي عليّ
تشتكي والمهاجرون مع الأنص
وتنادي بهم وكلّ لديها
أيّا الناس كيف أظلم فيما
وبمراكم جميع اهتضامي
أبهذا أوصاكم الله فينا
وبأّم الكتاب أنزل (قل لا)
وبإرثي يقول (بوصيكم الله)
لِمَ أُبْنِرُ ما (2) ليديكم تراثي

- 1- في نسخة: جمعها قد.
2- من نسخة: من.

أو تقولون إننا أهل دين
أبي قال دين آلي فيكم
أو تقولون أن آل النبيي
آية خصت الأبعاد بالإر
أو ما قد أتى بأية داو
وبأخرى مذ قد دعا زكريا
أو ما قال: (ربِّ هَبْ لي ولياً)
أم هما في الأنام غير نبيي
والكتاب المجيد أعرب عن أد
أنصفوني فإنني ابنته دو
ليس من دينكم فننفي انتفاها
ملة وحدها وديني سواها؟!
ن من بينها قد استثناها
ث والآل نصّها أقصاها
د بأن قد تورّثت أبنائها
ريّه دعوة له أخفاها
وجميع الوريّ وعت معناها؟!
ن لهم والنبوة ادّعياها؟!
هُما من إلهه انتحلاها
ن رجالاتكم وكلّ نساها

وإذا ما أبيتّم غير هضمي
حكّمي الله والخصيم أبي والسج
فأصرّوا واستكبروا استكباراً
جرّعوها من الجفا غصصاً قد
يا أخلاي فاعجبوا من نفوس
لم يُفدّ وعظّها بهم وهي فيهم
من مضلّين بلّغتي انتزعاها
ن نار ترون حرّاً اصطلاها
كالسكارى ولم يعوا دعواها
أوردتها بوردهنّ رداها
بذلت جهدها بمحض جفاها
شابهت بعلها ثقي وأباها(1)

1- من نسخة بخط الشيخ جعفر الهلالي منقولة عن الأصل.

الشيخ محمد سعيد الجشي

ينتسب إلى الشيخ علي الجشي أسرة ومدرسة، فالمدرسة الجشية القطيفية التي أسسها الشيخ علي الجشي، انخرط إلى صفوفها شعراء القطيف المحدثون، ولعل انضمامهم لهذه المدرسة كانت إستجابة طبيعية لمحاولة التعبير عن الحيف الذي عاناه أهل القطيف المحاصرين بفلسفات سلفية سياسية تحظر عليهم محاولات التعبير عن حسهم الديني من مدرستهم الشيعية التي ينتمون إليها.

فمدارس العقائد السياسية تنتمي في جذورها إلى طروحات السياسة

التي هيمنت على بلدان العالم الإسلامي إبان الحكم الأموي الذي نكّل بأتباع آل البيت (عليهم السلام) واستخدم محاولات تنقيفية برمج الفكر الإسلامي على أساس الرؤية الأموية الصرفة، بعد ذلك حلت الطروحات العباسية التي حاولت مسخ الفكر الديني أساساً وتحويله فلسفة سياسية تستخدم في مناورات الحاكم ضمن نطاق سلطاته المطلقة.

وتحت هذه التأثيرات حاول الأمويون والعباسيون تميع مدرسة آل البيت (عليهم السلام) تحت محاولات فرض فلسفاتهم المذهبية وفرض الهيمنة الفكرية على أتباع هذه المدارس خصوصاً، إلا أنها خابت محاولاتها هذه واندرجت.

والسلفيون وجدوا أن انصهار المذاهب الإسلامية في نطاق تفكيرهم الضيق هو أسهل المحاولات لطمس معالم آل البيت (عليهم السلام) وخنق صوت أتباعهم، فإذا استطاعت السلفية ادخال المذاهب الاسلامية تحت هيمنتها وهي الحاكمة لأكثر البلدان الاسلامية، فان مذهب آل البيت (عليهم السلام) الذي لا يملك قوة سياسية حاکمة، هو الأولى للانصياع تحت ضغط النظام السياسي الحاكم، وهكذا تجاذب السلفيون محاولات الهيمنة الفكرية مع أتباع آل البيت (عليهم السلام) في الجزء الشرقي من أرض الجزيرة العربية، وكانت الغلبة

أخيراً لأتباع هذا المذهب الذين حاولوا فرض عقيدتهم على المستوى الجدلي والتنظيري وقدموا فلسفتهم على نمط فكري يلتزم الاستدلال بكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، واستطاع أن يحرز تقدماً ملحوظاً على الصعيد العقائدي رغم محاولات الارهاب الفكري، وإذا كان للبرهان الاستدلالي أثره، فإن للقصيدة الشعرية حضورها في خضم هذا المعترك الفكري، فاستطاع القطيفيون من تنميط جهادهم الفكري المقدس بتشكيلة المدرسة

الأدبية التي تستنطق التاريخ وتعيد للأذهان واقعية الحدث وموضوعيته، فقصيدة المأساة الفاطمية قد احتلت أولويات الشاعر المجاهد الذي بذل الوسع في تقديم مظلومية آل البيت (عليهم السلام) على أساس مظلومية الزهراء (عليها السلام) وكانت واقعة اسقاط المحسن المحور التي تدور عليها هذه المأساة، لذا نجد أن الشاعر محمد سعيد الجشي قدألهم المأساة في التعبير عن قضية آل البيت (عليهم السلام) باظهار مظلومية السيدة فاطمة (عليها السلام) على أساس الاستقصاء التاريخي للاحداث.

فالشاعر محمد سعيد الجشي المولود سنة 1339 (1)، ولد في القلعة، تلقى علومه على يد أعلام بلاده واستمر بنظم الشعر حتى تكوّن لديه ديواناً أسماه "في محراب الذكرى" وكان على جانب كبير من الورع والصلاح والذكاء والفتنة والرسوخ في الايمان والعقيدة.

1- راجع ترجمته في شعراء القطيف للشّيخ علي المرهون: 89.

[118] وللشاعر محمد سعيد الجشي مرثية فاطمية يخاطب فيها الإمام الحجة عجل الله

فرجه الشريف ويستنهضه قائلاً:

يرنوا إليك الدين والإسلام	يابن البتول وهذه الاعلام
فاشهر حسامك ماضياً متألّفاً	كالبرق في أفق السماء يشام
فاشرق على الدنيا بنورك ساطعاً	فيمثل نورك يكشف الاظلام
وعلى ندائك قد يهب معذب	ويمثل هديك تهتدي الاقوام

وبمثل صوتك يستفيق مسهد
وبمثل مجدك لا يهان أخو تقي
وبمثل نورك تملأ الدنيا سناً
إلى أن يقول

أودت به الامال والآلام
في الارض أو تنبوا به الايام
وبمثل سيفك ينصر الإسلام

ويظل طي الغيب ثأر صارخ
هذي قبورك تنور كالضحى
ولقد تضوع بالعبير ترابها
وعلى جبين الدهر قان من دما
فإلى متى التاريخ يروي هولها
فالمصطفى علم الهدى أودى به
ولفاطم سقط الجنين ببابها

فمتى يجرد للعداة حسام
من حولها الاجلال والاعظام
كالزهر حين تفتح الاكمام
شهادتكم لم تحمه الايام
ولكم ترن بلايل وحمام
عبء الجهاد فنكست أعلام
عصراً ورضت أضلع وعظام

الصفحة
535

هتفت بفضة والجنين معفر
واغتيل جدك حيدر في فرضه
وإلى الزكي مشت غوائل ناكث
إلى آخر قصديته.

بالباب ملقى والدموع سجام
لم يرع فيه الشهر وهو صيام
حتى طغت مما هناك جسام(1)

1- شعراء القطيف الشيخ علي المرهون 89.

الصفحة
536

الصفحة
537

آية الله العظمى

السيد مهدي الحسيني الشيرازي

لم تقتنع الحوزة الدينية بابداعاتها العلمية فحسب، بل اقتحمت ميادين الابداع فكان لها قصب السبق في الابداع الأدبي، والقصيدة الحوزوية لم تكن نزعة أدبية يختطفها الشاعر من خيالاته المرهفة، بل هي تحقيق علمي يصاغ بابداع أدبي، أو عاطفة أدبية بنسجها بحث موضوعي، أو مطلب تاريخي تعرضه رقة أدبية لتصوغها مقطوعة أدبية تستثمر الموهبة الشعرية لصالح القضية التاريخية، أو تدخل القضية التاريخية ضمن اطروحة أدبية بديعة.

الصفحة

538

هذا ويدن علماء التحقيق، وهذا منهجهم الأدبي، ابداع في التحقيق، وتوفيق بين الحس الأدبي الرقيق، والنزعة العلمية الحادة، لذا تجد القصائد التي قدمها علماء الحوزة ومراجعتها ما هي إلا جديد في الطرح الأدبي، فضلا عن التحقيق العلمي الذي يعطي للقصيدة العربية أهميتها ليجعلها أرشيفاً تحقيقياً مهماً.. وهكذا كانت مقطوعة آية الله السيد مهدي الشيرازي، فالتحقيق العلمي في القضية الفاطمية لم يمنعه من الابداع الأدبي، والحس الشعري المرهف لم يضعف جانب تحقيقاته العلمية في قصيدته، فجمع بين علمية تحقيقية وبين وجدانيات الحدث وهواجس المأساة وهول الفاجعة.

كانت اهتمامته الفاطمية تتطلق من تحقيقاته العلمية التي تزامن الحدث، حتى انهى مأساته بفاجعة الاسقاط التي كانت مسلمة علمية، وثابتة تاريخية لا تقبل الالغاء، ولا ترضى بالحذف والتقزيم.

ولد آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي في كربلاء (1) سنة 1304 هـ، كان عالماً جليلاً من أئمة التدريس والجماعة والتقليد في كربلاء وله مؤلفات منها: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة وغيرها توفي في كربلاء سنة 1380 هـ ودفن فيها.

1- فاطمة الزهراء في ديوان الشعر العربي عن أعيان الشيعة 10: 146.

الصفحة

539

[119] قال في مدح الطاهرة البتول (عليها السلام) وبيان مصائبها بعد فقد الرسول
(صلى الله عليه وآله):

ظَهَرَتْ زَهْرَةُ زَهْرَاءِ الْبَتُولِ فَاسْتَنَارَ الْكَوْنُ مِنْ أَنْوَارِهَا

* * *

وُلِدَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ فَاسْتَقْنِي كَأْسَ الْهِنَا وَالطَّرَبِ
وَاتْرُكِ الزُّهْدَ وَهَوَلَ اللَّهَبِ فَهِيَ الْفَاطِمُ فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ

مُذْنِبِي شَبِعَتْهَا مِنْ نَارِهَا

وُلِدَتْ فَخْرُ الْعُلَا بِنْتُ الْجَلَالِ وَظَهَرَتْ نُخْبَةُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ
أُصْلُ كُلِّ الْخَيْرِ بَلْ أُمَّ الْأُصُولِ

وَأُصُولِ الدِّينِ مِنْ أَفْئَادِهَا

لَمْ تَكُنْ تُوَلِّدُ مِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ هِيَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَصِيَامِ
بِفُطُورِ الْخُلْدِ مِنْ خَيْرِ طَعَامِ جَلَّتِ الزُّهْرَاءُ عَنِ هَذِي الْعُقُولِ

أَنْ تَرُعَهَا فِي عُلَا أَنْظَارِهَا

هِيَ بِنْتُ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ هِيَ أُمَّ الْأَوْصِيَا الطُّهْرِ الْغُرِّ
زَوْجُهَا قَاسِمُ طُوبَى وَسَقَرِ شَمْسُ غُرٍّ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ أَفْوَلِ

وَسَمَا مَجْدَ سَمَتْ آثَارِهَا

فَاسْتَقْنِي يَا صَاحِبِي كَأْسَ الْمُنَى وَأِدِرْ فِي جَمْعِنَا خَمْرَ الْهِنَا

الصفحة

540

لَا تَخَفْ ذَنْباً وَتَخْشَى وَهَناً بَشِّرِ الْيَوْمَ الْأَمَانِي بِالْحُصُونِ

فَالرَّجَا كُلُّ الرَّجَا فِي دَارِهَا

بَرَعَتْ شَمْسُ الْعُلَا أُمَّ الْهُدَاةِ بَلَعَتْ أَعْلَى مَرَاقِي الْمُمَكِّنَاتِ

شَرُفَتْ أَبَاوَهَا وَالْأَمَهَاتِ وَوُلِدَتْ يَا لَلْهِنَا بِنْتُ الرَّسُولِ

بَانَ سِرُّ اللَّهِ فِي إِظْهَارِهَا

هِيَ سِرُّ اللَّهِ مَا بَيَّنَّ الْوَرَى سِرُّ غَيْبِ دَانِهَا كَيْفَ تَرَى!

وَلَهَا خَلْقُ الثَّرِيَا وَالثَّرَى

لَيْسَ لِلْعَقْلِ بِمَعْنَاهَا الْأُصُولُ

فَدَعِ الْأَوْهَامَ فِي أَطْوَارِهَا

لَا يَدَانِي فَضْلَهَا قَطُّ بَشَرٌ

لَا تَرْمُهَا إِنَّهَا إِحْدَى الْكَبَرِ

هِيَ لِلْمُخْتَارِ أَصْلٌ وَتَمَرٌ

أَيْنَ لَوْلَاهَا الذَّرَارِي لِلرَّسُولِ؟

دَوْحَةٌ بُورِكَ فِي أَثْمَارِهَا

هِيَ وَثَرٌ فِي نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

هِيَ شَفْعٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

هِيَ نُورٌ اللَّهِ فِي الْأَفْقِ الْمُبِينِ

حُبُّهَا دَارٌ أَمَانٌ لَا تَزُولُ

أَهْلُهُ أَمِنَّةٌ فِي دَارِهَا

لَا تُضَاهِي فَاطِمَةَ فِي حَسَبِ

كَرُمَتْ جَلَّتْ بِبَعْلِ وَأَبِ

وَبَنُوهَا فِي أَجْلِ الرُّتَبِ

كُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ صَعْبٌ وَسَهْوَلُ

فَلَهَا قَدْ أَدْعَنْتُ أَفْطَارُهَا

فَلَهَا مِنْ رَبِّهَا خَيْرُ الشُّؤُونِ وَعَلَى عِرْفَانِهَا دَارَتْ قُرُونُ
 وَبِهَا تَفَخَّرُ الْآبَاءُ وَالْبَنُونَ وَهِيَ لَوْلَا الْمُرْتَضَى خَيْرُ الْبُعُولِ
 لَمْ تَزَلْ مُفْرَدَةً فِي دَارِهَا كَهَيِّ كَفَاءٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَهُ مِنْهَا الْهُدَاةُ الْأَنْجَبِينَ فَهِيَ أُمُّ الْأَوْصِيَاءِ بِنْتُ الرَّسُولِ
 وَهِيَ شَمْسُ الدَّهْرِ فِي أَسْتَارِهَا أَيْنَ مِنْ أَدْنَى عُلَاهَا مَرِيْمُ
 أَيْنَ مِنْ مَخْدُومِهَا مَنْ تَخْدُمُ لِأَنَّ وَرَبِّي مِثْلَ زَهْرَاءِ الْبُنُوتِ
 لَمْ تَرَ الدُّنْيَا عَلَى أَدْوَارِهَا بِمَزَايَا كَسَنَاءِ الْقَمَرِ
 فَاطِمَةُ سَادَتُ نِسَاءِ الْبَشَرِ لَيْسَ فِيمَا تَرْضِيهِ مِنْ نُكُولِ
 وَغَدَتُ مَفْرَعَ يَوْمِ الْمَحْشَرِ فَاسْأَلِ الْأَخْبَارَ فِي آثَارِهَا
 فَهَنِيئًا لِمُحِبِّبِهَا النَّجَاةُ مِنْ عَظِيمِ الْوِزْرِ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 كَيْفَ يَخْشَى مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ مَنْ تَوَلَّى فَاطِمًا أُمَّ الشُّبُوتِ
 لِأَنَّ وَرَبِّي لَمْ يَذُقْ مِنْ نَارِهَا وَعَدُوا مِنْ رَبِّهِمْ فِي غَضَبِ
 لِعَدَاهَا الْوَيْلُ إِذْ عَادُوا النَّبِيَّ إِذْ بَنَارُ أَحْرَقُوا بَابَ الْبُنُوتِ
 عَمَرُوا بَيْتًا لَهُمْ مِنْ لَهَبِ نَارِ حِفْدِ بَقِيَّتِ أَخْطَارِهَا

لَمْ يَزَلْ يَغْلِي لَهَيْبِ الْكُفْرِ فِي قُلُوبِ طُبَعَتِ كَالْحَجَرِ
 فَعَدَا يُحْرِقُ بَابَ الْعَرْرِ بَابَ فَوْزِ خَيْرِ بَابِ السُّؤُولِ

هُوَ بَابُ اللَّهِ فِي أَقْطَارِهَا

لَهْفَ نَفْسِي لِعَزِيزِ هُضِمَتْ ضَرَبْتُ طَوْرًا وَطَوْرًا لَطِمْتُ

وَبِأَطْوَارِ الْأَدَايَا ظَلِمْتُ لَهْفَ نَفْسِي لَكَ يَا بِنْتَ الرَّسُولِ

لَهْفَةً تَشْكُو الْحَشَا مِنْ نَارِهَا

مَنْعُوا إِرْتِ أَبِيهَا عَلْنَاً وَأَزْلِحُوا الْفَيْءَ عَنْهَا أَحْنَاً (1)

أَسْقَطُوا مِنْهَا جَنِينًا مُحْسِنًا كَسَرُوا أَضْلَعَهَا يَا لِلدُّحُولِ!

هَجَمُوا بَغِيًّا عَلَيْهَا دَارَهَا

لَمْ تَزَلْ بَعْدَ أَبِيهَا فُتِنْتُ وَبَكَتْ شَجْوًا إِلَى أَنْ زَمِنْتُ

فُتِلْتُ جَهْرًا وَسِرًّا دُفِنْتُ فَبِعَيْنِ اللَّهِ غَارَتْ فِي الرَّسُولِ

بِنْتُ طَهٍ وَعَفَى آثَارَهَا

أَنْتِ يَا أُمَّ الْمَلَاذِ الْمُرْتَجَى أَنْتِ لِلْأُمَّةِ كَهْفٌ وَرَجَا

فَالْيَاكِ الْعَيْنُ تَرْتُو بِالنَّجَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْخَطْبِ الْمَهُولِ

وَلِعُقْبَى أَوْحَشْتُ أَخْبَارَهَا

1- أي ضغنًا وحقداً.

الشيخ ابراهيم المبارك

سجل الأدب الامامي اعتزازه للمدرسة الأدبية البحرانية التي كادت أن تنحصر جهود أدباؤها على الرثاء الفاطمي لتفرّع على أساسه رثاياتها الأخرى، ولعل الذي دفع المدرسة البحرانية إلى انتهاج هذا الخط الأدبي المتميز أن شعرائها عاشوا مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) من خلال تاريخهم السياسي المقهور الذي كان مجموعة توليفات سياسية مستبدة، واقتصادية خانقة، واجتماعية مسحوقة، أسستها اطروحات سياسية حرصت أن تكون الحواضر الشيعية تحت هيمنتها المقيتة، ولما كانت البحرين بلاد الولاء

الصادق لمدرسة آل البيت (عليهم السلام) منذ الصدر الأول للإسلام حتى هذا اليوم،
فان الاطروحة الحاكمة تُلقَى بثقلها على هذا الوجود الولائي لتكتّم أنفاسه الصارخة
بمظلومية آل النبي الاطهار (عليهم السلام)، وهكذا انتهجت المدارس الحاكمة هذه النظرة
الساذجة محاولة منها لاختفاء معالم الولاء الصميم، وهكذا كانت جهود المدرسة الأدبية
البحرانية المقابلة لهذه المدارس الحاكمة تؤكد اصرارها على ولائها الذي لا يُساوم، داخرة
كل تخرصات السياسة السلطوية الرخيصة.
قدّم الشيخ ابراهيم المبارك اطروحة الولاء الأدبية التي تحكي عن صميم الولاء البحراني،
وتؤكد مبايعة هذا البلد لقادته وساداته الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، مهما كانت
التضحيات ومهما كانت الاساليب.
كان الشيخ ابراهيم المبارك من أفاضل الحوزة النجفية ولد في قرية الهجير سنة 1326
هـ وتوفي في البحرين سنة 1399 هـ.

[120] قال في احدى مقطوعاته الفاطمية (عليها السلام):

وراءك يا دنيا فأنتِ دنيّة	وكم باطل يُطرى بخير ويُنعث
عرفتك يا هوجاء زوجة أحمق	وما غرني منك الزها (1) والتزمت
فإن كان من غريت بلها (2) فإتني	أدمم منك الترهات (3) وأمفت
وسيفك لا ينفك في الناس مُصنّتا (4)	ولكنه في سادة الناس أصلت (5)
فإن كانت الأندال تُحبي (6) بنعمة	فهايتكم الأبدال تُزوي (7) وتبّهت
تعاضم أهل الغي حتى تحكموا	بال رسول الله ظلماً وعنتوا

1- أي التية والتكبر.

2- البله: جمع أبله، ضعيف العقل.

3- الترهات: جمع ترهه، القول الخالي من نفع، والباطل.

4- أي ماض.

5- أي أمضى.

- 6- أي تُعطى وتُكْرَم.
7- الأبدال: الكرام الشرفاء، زواه: منعه وصرفه.

أزالوهُم عن حَفْهِم وتَوَاتَبُوا
ورَضُوا من الزهراء جَنَباً وأسَقَطُوا
وصَبَّوْا على المَتْنَيْنِ منها سِيَّاطَهُم
وكانت من الهادي الوديعَةَ فيهِمُ
رَوَوْا حَقَّها بالعَصْبِ إرثاً ونِحْلَةً
وقادوا علياً آخِذِينَ خِنَاقَهُ
ولمَّا أهَاضَتْهُمُ بدَفْعِ وضَجَّةِ
إلى أن قضت مقروحة الجفن والحشا
عليهم وَعَثُّوهُم (1) حقوقاً وعمتوا (2)
جَنِيناً وخطوا من غلاها وبكتوا (3)
وخانوا عهود الله فيها وخوتوا (4)
فيا بئس ما خانوه فيها وبيتوا
سَحِيثاً أدال الله منهم وأسحتوا (5)
يكادُ بإضغاطِ التنفُّسِ يخفتُ
أهاضَ بها سَوَطٌ يَضِجُ ويصمِتُ
بقلبِ يَصُكُّ الهَمَّ فيه وينكُتُ

- 1- عَثَّه: آذاه.
2- عَمَّتْه: قَهَره.
3- بَكَتْه: لقيه بما يكره، وقَرَعَهُ ووتخه، وضربه.
4- خَوَّتْ: نقض عهده، وأخلف وعده.
5- سَحَّتْه: نقض عهده، وأخلف وعده.

وقد باتت ابناها بأطول ليلة
وهاج بقلب المرتضى الحزن والأسى
أفاطمُ لا أنساك بعد محمد
فما أنا إلا كالشكير (2) بعثته
وأنساك لا أنساك والحزن قاتلي
إذا سرَّ هذا البدر أظلم ليله
فما أقبح الخضراء إن غاب بدرها
بيبتُ بها مَضْنَى الفؤاد مفتتُ
كأنَّ حشاهُ بالرَّزِيَّةِ تُسَلَّتُ
وهل كان مثلي في فقيدَيْنِ يقلتُ (1)؟
ورائسُهُ (3) الحاني عليه مكفتُ (4)
ويومك يومٌ أكَدَّرَ الوجه أمقتُ
وإن صَوَّح (5) المرعى من الناس أسنتوا (6)
وما أكَدَّرَ الغبراء إن جفَّ منبتُ!

- 1- قَلَّتْ يَقَلَّتْ: تعرّض للهلاك.
- 2- الشَّكِير: أول ما ينبت من ريش الطائر.
- 3- راشه يريشه: أطعمه وسقاه وكساه.
- 4- كَفَّت الطَيْر: أسرعه في الطيران والعدو وتقبّض فيه.
- 5- صَوَّح النَّبْتُ: بَيَسَ حَتَّى تَشَقَّقَ.
- 6- أسنت القوم: أصابتهم سنة مُجْدِبَة.

فِدَاكَ الْوَرَى طُرّاً وَقَلَّ لَكَ الْفِدَا
أُصِيبَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَظْلَمَ نَوْرُهَا
وَعَجَّتْ عَلَيْكَ الْكَائِنَاتُ بِنَوْجِهَا
ولكنّما الآجالُ وقتٌ مُوقَّتٌ
وأُخْرِسَ مِنْهَا نَاطِقٌ أَوْ مُصَوِّتٌ
وتلك الجبالُ الشَّمُّ تُذْرَى وتُنْحَتُ (1)
[121] وقال في رثاء النبي (صلى الله عليه وآله) والزهراء (عليها السلام):

ماتَ الرَّسُولُ فَمَاتَتْ كُلُّ كَائِنَةٍ
وَأَصْبَحَتْ حَرَكَاتُ الْكَوْنِ سَاكِنَةً
وَأَظْلَمَتْ صَفَحَاتُ الْجَوِّ وَانطَبَقَتْ
وَأَظْهَرَ النَّاسُ أَحْقَاداً مُؤَكَّدَةً
وَكُدِّرَتْ صَفْوَةُ الدُّنْيَا بِأَكْدَارِ
وَالْأَرْضُ مُؤَذَّنَةٌ مِنْهُ بِتَسْيِيرِ (2)
دَوَائِرِ الْأَفْقِ وَاصطَكَّتْ بِإِعْصَارِ
ضَاقَتْ ضِمَائِرُهُمْ مِنْهَا بِإِسْرَارِ
وَأَضْرَمُوا النَّارَ فِي بَابِ وَأَسْتَارِ
تَقَحَّمُوا مَنَزِلَ الزَّهْرَاءِ وَاجْتَرَمُوا

- 1- ديوان المراثي: مخطوط.
- 2- التَّسْيِير: المبالغة في السير.

وَأَخْرَجُوا حَيْدَرَ الْكَرَّازِ وَاحْتَشَدُوا
قَادُوهُ سَحْباً وَتَجَرِيراً لِبَيْعَتِهِمْ
أَمَّا الْبِنْتُولُ فَرَضَوْهَا بِحَائِطِهَا
وَأَسْقَطُوهَا جَنِيناً بَعْدَ مَا لَطَمُوا
لِبُغْيَةِ الْمَلِكِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّارِ
بَاءَتْ مَابِحُهُمْ مِنْهَا بِإِخْسَارِ
رَضّاً يُوجِّهُهُمْ لِلنَّارِ وَالْعَارِ
هَا لَطْمَةٌ بَقِيَتْ مِنْهَا بَأْتَارِ
وَالسَّوْطُ أَلَمٌ مَنَنْيَهَا عَلَى أَلَمِ
لَاقْتَنُهُ مِنْ رَضٍّ أَضْلَاعِ وَأَفْقَارِ
تَشْكُو إِلَى النَّاسِ لَمْ تَسْمَعْ شِكَايَتِهَا
فَمِنْ مَهَاجِرَةٍ مِنْهُمْ وَأَنْصَارِ

وَأَتَّبَعُوا فِعْلَهُمْ هَذَا بَعْضُهُمْ إِلَى
حَتَّى قَضَتْ وَهِيَ حَرَى الْقَلْبِ شَاكِيَةً
مِيرَاثَ مِنْهَا بِمَوْضِعَاتِ أَخْبَارِ
مِنْ كُلِّ بَاغٍ أَثِيمِ الْقَلْبِ حَتَّارٍ (1)
[122] وَقَالَ فِي رِثَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَبُكَاءِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

1- ديوان المرثي: 62 "مخطوط" والختار: الغدار.

الصفحة
550

وَأَحْمَدُ إِنْ سَنَّ الشَّرِيعَةَ لِلْهُدَى
وَأَحْمَدُ إِنْ يُنْقِذَ مِنَ الشَّرْكِ مَنْ مَضَى
وَأَلَيْسَ بِهَذَا لِلشَّرِيعَةِ يُسْتَضَا؟
فَهَذَا هُوَ الْهَادِي إِلَى نَهْجِ مَنْ مَضَى
وَإِنْ هَجَرَ الْأَصْنَامَ أَحْمَدُ مَا قَتَا
وَإِنْ أَصْبَحَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ
فَمَنْ هَشَّمَ الْأَصْنَامَ كَسْرًا وَرَضَّضَا؟
فَهَذَا هُوَ الْغَادِي مُحِضًا مُحْرَضًا
مَتَى رَعَدَتْ مِنْ أَحْمَدِ أَيِّ مُرْتَنَةٍ (1)
وَأَبْرَقَ فِيهَا سَيْفُ هَذَا وَأَوْمَضَا
هَمِي صَيِّبٌ (2) فِيهِ شِفَاءٌ لِمُهْتَدٍ
وَكَانَ عَلَى الْغَاوِينَ دَاءً مُمْرَضَا
لِحَى اللَّهِ قَوْمًا (3) أَبْغَضُوهُ فَلَيْسَ مَنْ
تَعَرَّضَ فِي مَبْنَى الْهُدَى لِيُقَوِّضَا
وَيَا قَوِّضَ الْبَارِي بِنَاءِ مُرْتَمٍ (4)
وَصَدَّ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَعْرَضَا
تَوَجَّهَ لِلدُّنْيَا بِكُلِّ جُهْدِهِ

1- المُرْتَنَةُ: السَّحَابَةُ تَحْمِلُ الْمَطَرَ.

2- أَي تَزَلُ مَطَرًا.

3- أَي لَعْنَتُهُمْ وَقَبْحُهُمْ.

4- الْمُرْتَمُ: الْمُلْحَقُ بِقَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ.

الصفحة
551

وَخَادَعَ بِالْأَطْمَاعِ مَنْ يَسْتَمِيلُهُمْ
مَعَاشِرِ سَوْءٍ لَا يُنْيِبُ لِرَبِّهِ
وَأَسْلَفَ قَوْمًا آخِرِينَ وَأَقْرَضَا
أَطَاعَ الْهَوَى فِي كُلِّ مَا هُوَ عَامِلٌ
مُنَافِقُهُمْ إِلَّا إِذَا هُوَ أَعْرَضَا
فَجَاءَ لِيُنْيِتَ الْوَحْيِ فِي مَنْ أَطَاعَهُ
وَأَخْلَصَ لِلشَّيْطَانِ حَتَّى تَمَحَّضَا (1)
وَحَرَّشَهُمْ أَنْ يُحْرِقُوهُ وَحَرَّضَا (2)

وأغراهمُ لا أرشد الله أمرهم
وأغراهمُ من غير إذن قد اقتضى
وهَدَّ قُواهم أجمعين وهيَّضا (3)
دُخولهم ما يعلم الله ما اقتضى
يُقَاد بما أوحى له الصبر للقضا
وأخرج ليثاً خادراً (4) من عربيه
وفاطمة الزهراء يُضرب جنبها
وتعصراً ما بين الجدار لتجهضاً (5)

- 1- أي صار محضاً، والمحصن: الخالص الذي لم يخالطه غيره.
- 2- حرّشهم: أغراهم، وحرّض: حثّ.
- 3- هيّض: هيّج.
- 4- خَدَّر الأسد: لزم عربيه وأقام به، فهو خادِر.
- 5- أجهضت الحامل: ألقت ولدها لغير تمام.

الصفحة

552

وما لقيت منهم حناناً ورحمةً
سوى كمد (1) أدمى الفؤاد وأمراضاً (2)

- 1- الكمد: الحزن الشديد المكتوم.
- 2- ديوان المرثي: 105 "مخطوط".

الصفحة

553

الشيخ عبد العظيم الربيعي

إذا كانت بلاد الجنوب الخوزستانية قد فقدت الشيخ هاشم الكعبي بعد نزوحه إلى كربلاء
فان مدرسته بقيت تضرب بجذورها في الجنوب العربي، ولعلها استمكنت من نفس الشاعر
الجنوبي حتى صار يحاكي توجهات "المدرسة الكعبية" لوناً وغرضاً.
إن عظمة أية مدرسة تعرف من مدى التأثير الذي تحدثه في الاوساط الثقافية، وعدد
ونوعية المنتسبين اليها، وإذا أردنا أن نعرف جدارة "المدرسة الكعبية الأدبية" فان تراءة لشعر
الشيخ عبد العظيم الربيعي يعطينا تصوراً

الصفحة

554

مهما للكشف عن تأثير هذه المدرسة في الوسط الأدبي الجنوبي.

كان شعر الشيخ عبد العظيم الربيعي انبعثاً جديداً لمدرسة الشيخ هاشم الكعبي، وإعادة ممتازة للخط الأدبي الملتزم الذي عرف به الكعبي، فالذي يتصفح ديوان عبد العظيم الربيعي سيرجعه إلى عهود "المدرسة الكعبية الملتزمة".

ففاجعة كربلاء كانت طابعاً يميز الشعر الربيعي، ومأساة فاطمة (عليها السلام) احتلت أولويات هذه المدرسة، فالشاعر الربيعي تقرأ معه المأساة الفاطمية على الطريقة الملحمية الأدبية، فهو يستعرض مجريات التاريخ الإسلامي ويساير القضية ليمر بك على مواقع الاحداث حدثاً بعد حدث وقضية بعد قضية فإذا انتهى من سرده التاريخي هذا، نقلك إلى مأساة الزهراء (عليها السلام) لتكون المسحة العامة على شعره وأدبياته، فإذا كان اسقاط المحسن هو العنوان الذي تعنون به مأساة الزهراء (عليها السلام) فليكن شعره موثقاً لهذه الحادثة، وقد كان كذلك.

إذن فمن مختصات الشعر الربيعي هو رثاءه الفاطمي الذي توجه بحادثة اسقاط المحسن، حتى جاء تراثاً أدبياً ملتزماً. واليك بعض قصائده.

[123] له في رثاء الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن

لا زال يأتينا بكل عُجابٍ	دهرٌ يحارُّ به ذوو الألباب
وعلى الرؤوس تطاولُ الاذنان	أعلى رواسيه تطول وهاده
يلجُ العدو عليه وسط الغاب	أو مثل حيدر وهو ليث خادِرٌ
بوصية نفذت وسبق كتاب	علموا بأفعى بأسه مرصودة
في داره بالنار والاحطاب	فتواثبوا بغياً عليه وأحدقوا
حرق المحل عزيمة الاصحاب	من ذاكرٌ بنت النبي وقد رأت
بتعطف لم يرجعوا بعتاب	لم يقنعوا بتذكر لم يقلعوا
قد كان جبريل من الحجاب	فهنا لِكَم فتحت لهم باباً له
فلذا لكم لاذت وراء الباب	لم يمهلوها أن تلوث خِمارها
هاجت هناك ضغائن الاحزاب	من عاذري من ذكر ما صنعوا وقد

تسقى كؤوس الذل والاصواب
وأَمْضُ شكوى المرءٍ للاحباب
ما أضمرت في سالف الاحقاب
من بعدك انقلبوا على الاعقاب
من عصرهم حملي على الاعتاب
نثروهما هتكوا عليَّ حجابي

الله أكبر مثل بضعة أحمد
لم أنسها تشكوا اليه شجونها
أبتاه أنَّ الجاهلية أظهرت
أبتاه أدركنا فقومك كلهم
غصبوا تراثي لببوا بعلي هوى
كتفيَّ قد ضربوهما فُرطِيَّ قد

صدري وشقوا بعد ذاك كتابي
مذُ غصَّ بالانصار والاصحاب
بحكيم اسلوب وفصل خطاب
ولرب نور كان ذا ألقاب
يا قوم فارعوا جانبي وجنابي
ضيعتم المختار في الأعقاب
يزوى ويُلغى كلُّ ما أوصى بي
جراة كذبة مفتر كذاب
غرتم بالنظر الخلاب
لا الوجد قلت عديمة الاتراب
خطبُ يهون لديه كل مصاب
مذُ جرد الزهراء من الأثواب
بتتابع والدمع في تسكاب
مكسورة من عصرها بالباب
رضت قرأه صوافئ النصاب
ويصون نسوته على الاقتاب(1)

كسروا ضلوعي أثبتوا المسمار في
وكذلك انكفأت لمسجد أحمد
خطبت فأوقرت المسامع وعظها
بالنطق تفرغ عن لسان المصطفى
أحي وديعة أحمد ما بينكم
المرء يحفظ في بنيه وأنتم
أمن المروة أن ارثي من أبي
أيردُ نص الذكر بالميراث من
أرضيتم الدنيا عن الأخرى وقد
بأبي التي عاشت قليلا وهي لو
من ذاكرُ أهل العباءِ وقد قضت
من مسعفُ بالنوح قلب المرتضى
ماذا رأى في جنبها فنحيبه
ألقي على المصباح بعض ضلوعها
ياليته ألقى حسينا عارياً
وعلى القنا يتلو الكتاب كريمه

1- ديوان عبد العظيم الربيعي: 45 مطبعة الزهراء النجف طبعة ثانية 1369.

[124] وله أيضاً في الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ثم يخلص إلى مصائب
جدته الزهراء واسقاط المحسن

ألا نداء ببشرى تشملُ البشرأ
بأن في البيت نورَ الله قد ظهرا
وأنها دارتِ الأيام ذروتها
وربَّ شيءٍ قديمٍ عاد مبتكرا
بيتٌ به قد بدا الإسلام مكتملا
بالمصطفى فتولى الشرك معتكرا
وهكذا البدر يبدو النقص فيه إلى
أن يستسر فيأتي بعدها قمرا
كأنني بولي الأمر طاف به
في البيت جندُ السما والأنبيا زمرا
عليه من هيبه الجبار أوسمة
كثر بأنَّ به سلطانه انحصرأ
والارض تهتز بشراً والسما طرباً
بعد له حيث زال الظلم واندرحأ
وجيشه الباسل المنصور رابته
والرعب يسبقه شهراً ومن سبقت
بكف عيسى يقود الياس والخضرا
والرعب يسبقه شهراً ومن سبقت
مياماً حرم المختار مدكرا
ما مر فيه على أبائه وجرى.
من غصب جدته من كسر أضلعها
من ضربها من سقوط الحمل إذ عُصرأ(1)
الى آخر القصيدة.

[125] وله في أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم يخلص إلى مصاب الزهراء (عليها
السلام)

أسفرت في جمالها
واختفت في جلالها

1- المصدر السابق: 62.

ودنت غير أنها
وتثنت كأنها
بعدت في منالها
غصنٌ باختيالها

في جميع خصالها	حيدر خيرة الورى
منبر من رجالها	يوم قام النبي في
مبدعاً في ارتجالها	خاطباً أيّ خطبة
قدست عن منالها	قائلاً ذات حيدر
كل من لم يوالها	ليس لله مسلماً
وهو عين اعتدالها	وهو ميزان شرعتي
وهو سرُّ جمالها	زينته بهديها
للورى من محالها	ممكن حصرُ فضله
أفرطت في مقالها	واجب عند فرقة
دون كل رجالها	ناصرٌ راية الهدى
منه ليث نزالها	سائل العرب من رأت
أوتيت من محالها	لو رمته بكل ما
رغبةً عن قتالها	لم تجده مولياً
علم عند سؤالها	وأعتقد في مدينة الـ

انه خيرُ آلهـا	أيهم كان بابها
وهو مفني حلالها	وهو قاضي حرامها
كنتُ أدري بحالها	لا تلمني بمقت من
خبطت في ضلالها	كيف مع فرط نوره
بالغت في اختزالها	نازعتـه خلافةً
حيدرأ في حبالها	عجباً قادت الطبى
السهل رواسي جبالها	وهو لو شاء دك في

زوجه من حجالها
أغربت باحتمالها
فانتوها في قتالها(1)

أفصبراً وقد بدت
بعد أرزاء حملت
دافعت عن قتاله
[126] وله أيضاً:

كتبت في وجه من تيمني
هاك فأقرأها ولا تفتن
لا تكلفي بمالم يمكن
من تراه عاف شم السوسن
يجلب الفخر لذاك المعدن

أحرف الحسن بخط حسن
قلت للعادل في حبي له
وإذا حققت أسباب الهوى
هو للحسن وللحب أنا
كل شيء جاء من معدنه

1- نفس المصدر: 15.

فأتاني حبة وعلني
حلية الفخر لجيد الزمن
أفصحت عن سره لم تُلحن
وسهادي ونحول البدن
شاهد في حبه لم يوقن
نظر الفكر بها لم يُمعن
من شهيد ودليل بيّن
عن ذرى منصبه العالي السني
في كتاب عبرة للمؤمن(1)
غير أن ليس العمى للأعين
في صدور أو غرت بالأحسن
وعن الحجة بالذكر غني

وإذا أخفى محبّ شوقه
كيف أخفيه واطهاري له
كيف يخفي وشهود العدل قد
أبحر الدمع ونيران الجوى
غير أنني كلما قدّمت من
كثرة الاشهاد لا تغني إذا
وانظر المولى علياً لم له
كيف قد زحزح بعد المصطفى
هذه ألفا دليل جمعت
وهي أنموذج أمر ساطع
انما تعمى قلوب وضعت
ومن الاشياء ما تذكره

من ترى يصدع بالحجة أن
لا يساوي الذرُّ أعلى الفننِ
إلى أن يقول بعد أن يعدد بعض فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام).
فتأمل صاح هذا حيدر
أم ترى الموقفَ قد ذهلني

1- المقصود به كتاب الالفين للعلامة الحلبي [ره] جمع فيه ألفي دليل على امامة أمير المؤمنين (عليه السلام) [عن الديوان].

الصفحة
561

من قرأه اقتحم الغاب ومن
قاد ضرغام الشرى بالرّسن
خلفه الزهراء لكن جفنها
يخجل الغيث بدمع هتن
وهي تدعو القوم لا والله لن
تؤتموا اليوم شقيق الحسن
حسبكم كسر ضلوعي غصبكم
نحلتني إسقاطكم للمحسن (1)

1- المصدر السابق: 20.

الصفحة
562

الصفحة
563

الشيخ محمد علي اليعقوبي

في بدايات القرن الرابع عشر الهجري شهد العراق الإسلامي حركات التحرر الجهادية التي قادها علماء النهضة لصد المحتل البريطاني وطرده من العراق، ورافقت حركات التحرر السياسية يومذاك، حركات التحرر الفكرية التي عجّلت على المحتلين من أن يغادروا العراق بهزيمة نكراء. فالحوزة العلمية النجفية عبّأت طاقاتها لتحرر أبناءها الميامين من نير الافكار الدخيلة المرافقة للاحتلال، وجنّدت الأمة بالفكر المعصومي الذي يحتم على أتباعه التحرر من التبعية الفكرية فضلا عن التبعية السياسية، لذا

فان أتباع آل البيت (عليهم السلام) استجابوا لداعي الجهاد الذي وجهه اليهم علمائهم الابرار وجعلوا جهاد الغاصب جزءاً من تكليفهم الشرعي الذي لا يمكن التوصل عنه أو الاعتذار منه، فكانت طلائع المجاهدين من أتباع آل البيت (عليهم السلام) ينخرطون في صفوف القتال بقيادة علمائهم الذين قدّموا اطروحة الجهاد والثورة على طريقة أئمتهم الاطهار (عليهم السلام).

كانت نهضات التحرر الفكري بقيادة الحوزة العلمية تتخذ أنماطاً عدة، وتتنظم ضمن تشكيلات مختلفة، داعية إلى رفض الهيمنة الفكرية القادمة من خارج حدود الوطن الاسلامي، وداعية للرجوع إلى فكر قادتها الافذاذ متحصنة برسالتها المقدسة. فكان مثلاً تأسيس الجمعيات العلمية والأدبية ظاهرة صحوه لجيل عانى من هيمنة الفكر الغربي إبّان الاحتلال البريطاني للعراق، ومن سداجة الافكار التي تطرحها الدولة العثمانية في فترة مظلمة تسيطر قياداتها المتخلفة على العراق الذي عرف باطروحته العلمية والأدبية المنتمية لآل البيت (عليهم السلام).

ففي سنة 1351 مثلاً تشكلت احدى جمعيات التحرر الفكري بقيادة مجددتها الحجة الشيخ محمدعلي اليعقوبي والناهضة باعباء التجديد العلمي والاصلاح الأدبي، فكانت "جمعية الرابطة العلمية الأدبية" احدى ثمرات هذا الوعي الاصلاحى الذي تنزعمه النخبة المصلحة والداعية للرجوع إلى فكر واطروحة آل البيت (عليهم السلام)، ونبذ ما دون ذلك من أفكار وتخرصات تُبعد الأمة عن قياداتها المعصومية وتُحيد بفكرها إلى حيث الافكار الهجينة العابثة.

كانت اطروحات الاصلاح التي قادها الشيخ محمد علي اليعقوبي تتمثل

في مشاريعه الادبية، فقد قدّم للمكتبة الأدبية مثلاً مقطوعاته الشعرية التي تستوحي التاريخ الإسلامي بكل جزئياته داعياً إلى أن تكون رسالة الشاعر هي البحث عن الحقيقة والكشف عن نقاب الواقع الممتحن بمشاريع التقزيم للحدث الإسلامي، لذا فقد جاءت قصيدته الفاطمية تعبيراً عن هذه النزعة الاصلاحية، مؤكداً أن رُقي الأمة هو في التحري عن واقعها

ومعرفة حيثياته، مستعرضاً مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) ومسجلاً حضور هذا الحدث في أولويات الاحداث الإسلامية المهمة التي لا يمكن تهميشها أو الالتفاف عليها.

* * *

[127] قال العلامة اليعقوبي في مقطوعته الفاطمية.

ترك للصبا لك والصبابه	صب كفاه ما اصابه
أنسته ايام المشيب	هوى به أفنى شبابه
أو بعد ما ذهب الشباب	مودعاً يرجو إياه
وسرى به حادي الليالي	للردى يحدو ركابه
هيهات دأبك في الهوى	لم يحك بعد اليوم دأبه
ليس الخلي كمن غدا	رهن الجوى حلف الكتابه

الصفحة

566

ما شاب لكن الحوادث	قد رمته بما اشابه
اسوان مما نابه	والوجد انشب فيه نابه
لم يدعه لبني الهدى	داعي الأسى إلا اجابه
صب الآله على بني	صخر وحزبهم عذابه
لا جاز بالشام النسيم	ولا همت فيه سحابه
سنوا بها سب الوصي	لدى الفرائض والخطابه
سدوا على الآل الفضاء	وضيقوا فيهم رحابه
حتى قضاوا والمآء حولهم	وما ذاقوا شرابه
بالطف بين مصفد	ومجرد سلبوا ثيابه
ضربوهم بمهند	شحد الأولى لهم ذبابه
ولقد يعز على رسول	الله ما جنت الصحابه
قد مات فانقلبوا على	الاعقاب لم يخشوا عقابه
منعوا البتولة ان تتوح	عليه أو تبكى مصابه

ووراءهم نبذوا كتابه
رحم النبوة والقرايه
بعد النبي لما استتابه
مذ اضرموا بالنار بابه

نعش النبي امامهم
لم يحفظوا للمرتضى
لو لم يكن خير الورى
قد اطفأوا نور الهدى

الصفحة
567

ولجت ذئاب القوم غابه
ضربا بحضرته المهابه
ارث فاطم واغتصابه
شادت يد الباري قبايه
والقوم قد هتكوا حجابيه
تئن من تلك "العصابه"
عبرى ومهجتها مذايه
سلام قد اورى التهايه
وقبرها عفى ترابه

اسدالآله فكيف قد
وعدوا على بنت الهدى
في أي حكم قد اباحوا
بيت النبوة بيتها
اذن الآله برفعه
عاشت معصبة الجبين
حتى قضت وعيونها
وامض خطب في حشا الا
باليل وارها الوصي

الصفحة
568

الصفحة
569

الملا حسن بن عبدالله آل جامع

اذا كانت المدرسة الحلية الأدبية قد عرفت بحاضرة الرثاء الحسيني، فان مدرسة القطيف الأدبية قد عرفت بحاضرة الرثاء الفاطمي، ولعل ما يجمع المدرستين شدة تأثرهما بالواقعتين،

فتلك حدوداً جغرافيةً لواقعةِ الطفِ المفجعةِ وكأنها قد ارتوتُ بدماءِ شهدائها لتخلقَ لدى شعراءِ الحلةِ ثورةَ كربلاء.

والقطيفُ الأدبيةُ تأثرت هي الأخرى بواقعةِ المأساةِ الفاطميةِ فهبت عليها رياحِ الذكرياتِ المؤلمةِ من مدينةِ النبي (صلى الله عليه وآله) لتذكّرَ أبناءها بفاجعةِ ابنته

الصفحة

570

المضطهدة، فجاشت بهم هذه الذكريات لتشكل من شخصياتهم وجودات ثورة وفداء، وهكذا تمتد هذه الخصوصية لتشمل الاطروحة الادبية القطيفية فتتأثر هي الأخرى بمأساة فاطمة (عليها السلام) لتخرج القصيدة القطيفية، فاطمية الغرض الحسينية الرثاء، أي أن الشاعر القطيفي لن ينسى مجريات الفاجعة الحسينية الا أنه لن يتخلى عن احساسه المرهف في أن يرجع تلك الفاجعة إلى مأساة فاطمة (عليها السلام) ولعل ما يعزز هذه الرؤية أن قصيدة واحدة على الأقل قدّمها الشاعر حسن آل جامع كانت مصداقاً لهذه النظرة التحقيقية، قال جامع قد تأثر بمدرسته القطيفية وفرضت عليه هذه المدرسة ذلك الاحساس الذي لا ينفك عن هاجسه الشعري، فقدم في قصائده مأساة الزهراء (عليها السلام) على أنها المأساة الأولى التي يحق للأديب أن يفتح على أفاقها الواسعة.

وبالفعل فقد انفتحت الدائرة الأدبية لشاعر القطيف "حسن آل جامع" على مأساة السيدة الزهراء (عليها السلام) ليؤكد شدة انتمائه لمدرسة آل البيت (عليهم السلام)، وليؤكد على أن القطيف الفاطمية، كما هي فاطمية الانتماء فانها فاطمية العطاء والثورة على امتداد التاريخ. ولد الشاعر حسن بن عبدالله بن ابراهيم آل جامع في حي القلعة من مدينة القطيف عام 1333 هـ، وتعلم القرآن والكتابة على يد الأجل الشيخ محمد صالح البريكي، واشتغل في بداية حياته بالتجارة ثم انتقل بعدها إلى مهنة الكتابة.

زاول في فترة حياته الخطابة الحسينية، وكان ملازماً للعلماء محباً لهم

الصفحة

571

توفي رحمه الله في رجب عام 1403 هـ عن عمر يناهز السبعين.

* * *

[128] له عدة قصائد في مأساة الزهراء (عليها السلام) واسقاط المحسن (عليه السلام)

منها:

أعيئي جوداً بالدموع الهواطلِ
نبي كريم شرف الله قدره
نبي أتى يدعو إلى الرشيد والهدى
لقد كذبتُه عُصبة الكفرِ وابتغتُ
فقد دحرجوا تلك الذبابَ عدواً
وذلك لما عاد من أرض مكة
وقد عقد المختارُ في خم بيعةً
وقال: ألا هذا وصيي وناصري
بعفدٍ ولاه أكملَ الله دينكم
فقالوا: رضينا بالذي قلت طاعةً
فما زال بالثقلين يوصي مبيئاً
ألا فاحفظوهم لا يضيعون بينكم

لفقد رسول الله أفضلِ راحلِ
وطهره من كل رجس وباطلِ
بخلق عظيم ماله من مماثلِ
لأفضلِ خلقِ الله شتى الغوائلِ
على خيرِ مبعوثِ حوى للفضائلِ
وبيّن في الإسلام كل المسائلِ
لحيدرة الكرارِ مُردِي البواسلِ
بمحضرِ حشد من جميع القبائلِ
فكونوا له عوناً بكل المعاضلِ
لأمرِ إمام طيب الذكرِ عادلِ
لكل بني الإسلام عال وسافلِ
فان ضيّعوا صرتم لأدنى المنازلِ

الصفحة

572

فلما قضى حادوا عن الرشيد والهدى
قضى فله الإسلام لازال معولاً
وناح عليه المرتضى وابنة الهدى
وأعولت الأرض البسيطة إذ قضى
وقد بكت السبع الطباق له دمماً
لقد فقد الإسلام أفضل مرسل
قضى وعلى الزهراء ظلماً تواتبوا
لقد كسروا أضلاعها خلف بابها
وقد غصبوا إرثها فانثنت إلى

ومالوا عن الحق المبين لباطلِ
بنوح كنوح الفاقات الثواكلِ
وأولادها أهل العلاء والفضائلِ
نبي الهدى غوث الورى والأراملِ
وأثكل شرع الله أفضل راحلِ
وأكرم مبعوث أتى باللائلِ
وقادوا علي المرتضى بالحمائلِ
وهم أسقطوها حملها غير كاملِ
علي تنادي يا مبيد البواسلِ

أبا حسن ترضى بهضمي وذنتي
[129] وله أيضاً

وارثي مغصوبٌ بأيدي الأراذل!؟

يا مُصِيراً على الذنوبِ الكبارِ
غارقاً طولِ عمره في هواه
أفهاً تفيقُ من سِنَةِ الجهلِ
ما براك الاله للهِو والخوضِ
فأطعه تفرُّ بجنةِ عدن
وتمسكُ بحبلِ حيدرِ تسلّم

عاصياً أمرَ ربِّه الجبَّارِ
غافلاً عن حوادثِ الأقدارِ
وتخشى عواقبَ الإصرارِ
وحملِ الذنوبِ والأوزارِ
وتتلُّ فضلَه بدارِ القرارِ
في غدٍ من لهيبِ حرِّ النارِ

بطلٌ قد فدا المؤيِّدَ بالنفسِ
ووقاه في يومِ بدرٍ وأحدِ
كم أباد الأبطالَ فيها وقاسى
بطلٌ جدلَ ابنِ ودٍ وأردى
صاحبُ المعجزاتِ قطبُ رح
حاكماً عادلاً حكيماً شجاعاً
خاشعاً خاضعاً امامَ همامِ
آيةُ الله حجةُ الله بابُ الله
بؤلاه قد أكملَ الدينُ بخمِّ
بايعوه يومَ الغديرِ وأخفوا
أظهروا بعد أحمد كلَّ حقدِ
نكثوا البيعةَ التي هي عقْدُ
خلعوها وخالفوا قولَ طه
وعليه تفحموا الدارَ ظلماً

و واساه في الأمورِ الكبارِ
حين فرَّت قبائلُ الأنصارِ
غمراتِ الحروبِ والأخطارِ
مرحباً بالمهندِ البتارِ
ي الدينِ مبيئُ العلومِ والأسرارِ
ماجدٌ جامعٌ لكلِّ فخارِ
عابدٌ طائعٌ لأمرِ الباري
ذو النسكِ سيدُ الأبرارِ
وتمتَّ رسالةُ المختارِ
في الحنايا ما بان من إنكارِ
أضمروه للمرتضى الكرارِ
في رقابِ الورى ليومِ القرارِ
يومِ خم في حيدرِ المغوارِ
والبتولُ الزهرا بغيرِ خمارِ

مذ رأتهم ربيبة الوحي لاذت
عصروها وأسقطوها ورضّوا
ومن العصرة التي قد عرّثها

عنهم خيفةً ببابِ الدارِ
ضلعها بين بابها والجدارِ
صدرها قد أُصيب بالمسمارِ

لطموها والهفَ نفسي عليها
وبحل الحسامِ قادا علياً
وأنت خلفه البتولةُ تعدو
عجباً بالحبالِ قاده قسراً
أيها الناكثون خلّوا علياً
مذ رأها اللعينُ ردّاً إليها
أوجع البضعةَ البتولةُ ضرباً
ثم جاؤا به لمسجدِ طه
وعليه سلّوا السيوفَ وقالوا
والى قبرِ أحمد دارَ بالطرفِ
قائلاً: يابن أمّ بي غدر القومُ
وأرادوا قتلي على غيرِ جُرم
ثم من بعد ما لقي من عداه
ماله ناصرٌ يرى الامرَ قد
لم يزل طولَ عُمره في عناء
من حروب إلى حروب إلى أن

لظمةً أثرت بعينِ الفخارِ
يا بنفسي وهو الهزيرُ الضاري
وهي تدعو وقلبها في انكسارِ
وهو حبلُ الإلهِ حامى الذمارِ
أو لأشكو للواحدِ القهارِ
عابساً مغضباً كليث ضاري
وهي تبكي بدمع مدرارِ
ماله ناصرٌ من الأنصارِ
قم وبائع خليفةَ المختارِ
ينادي يا صفوةَ الجبارِ
وراموا مذلتني واحتقاري
كان مني على البريةِ جاري
يا بنفسي غدا جليسَ الدارِ
صار بأيدي اللئامِ والأشرارِ
لم يجد راحةً أبو الأطهارِ
حان منه أمرُ القضاءِ الجاري

[130] وله أيضاً في رثاء الشهيدة الطاهرة (عليها السلام):

كيف يهني جسمي بطيبٍ منام
فقد كابد الأذية والتكذيب
من قريش وكل رجس غويٍّ
كم أرادوا قتل النبي مراراً
حجَّ حجَّ الوداع عن أمرٍ
فقضى حجَّه وأوضح للناس
وانثنى راجعاً وقد جاء جبرئيلُ
قائلاً: أيها الرسول فبلغْ
وانصب المرتضى علياً إماماً
وأنته على مشارفِ خمٍّ
أمر الناس بالنزول فلبوا
نصبوا منبر الحدائج والكورِ
فرقى فوقه النبي وأرقى
ودعاهم ألا انصتوا لمقال
رافعاً في الجموع كفَّ عليٍّ
إن هذا خليفتي ووصيي

ونبي الهدى طريح سقام
في بدء دعوة الإسلام
قابل المصطفى بأقسى الكلام
وله الله ناصرٌ ومحامي
مولاه لاثبات حجة ومقام
جميع الأمور في الأحكام
رسولاً من ربّه بالسلام
شرعة الله في عليّ الإمام
ذاك أمر الميهمن العلام
عصمة الله من جميع الأنام
طاعة للنبي نسل الكرام
لخير الورى النبي التهامي
المرتضى الطهر فارس الإسلام
أنا ملقيه بينكم في مقامي
سيد الأوصياء بدر التمام
ووزير وناصر في الزحام

إن هذا مولاكم وولي
فأجابوه: إننا قد سمعنا
بأيعوا المرتضى وبالحدِّ أخفوا
الأمر بعدي وحجّة العلام
وأطعناك في جميع الكلام
ما أكننت صدورهم من مرام

سارعوا بالأذى لذاك الإمام
نكثوا ببيعة الإمام الهمام
حطبَ الجزلِ عصبهُ الأثام
ما تريدون من علي المقام
أو علي يُقادُ بالإرغام
ولادنت به عن الأقوام
وهي مصداقُ عِقَّةٍ واحتشام
وعلياً قادوا بحبلِ الحُسام
للذي نالها من الآلام
ودعوها رهينةَ الأسقام
لحقت بالنبيِّ عند السلام
لأبيها من البغاة اللثام

ثم لمّا مات النبيُّ المفدى
قبل أن يُودعَ النبيُّ بقبر
ثم جاءت لبيته وأدارت
فانثنت فاطمُ البتولُ ونادتُ
فدعا بعضهم: عليّ بنار
فاتت فاطمُ البتولُ للبابِ
هجم القومُ والبتولُ توارتُ
عصروها ومحسناً أسقطوها
كسروا ضلعها فيا لهفَ نفسي
رَوَّعوها وعينها لطموها
فقضت بالأسى وبالهضمِ حتّى
وكأني بها اشتكت ما عراها

آية الله

السيد محمد جمال الدين الهاشمي

لم تكتفِ الحوزة العلمية قيادة العالم الإسلامي بتجديداتها العلمية فحسب، بل واصلت مسيرتها القيادية لتتزعّم النهضة الاصلاحية، يوم هيّمنت التيارات الفكرية العلمانية لتكتسح ثوابت الأمة الإسلامية، وتقتلع ما أسسه أسلافها.

فدعوات المادية الماركسية تدغدغ عواطف أمة الشباب، والأراء القومية تزيّن لذوي المنظور الاقليمي توجهات النازحين من خارج حدود الوطن

الإسلامي لتتغنى بأمجاد الماضيين على حساب التوجهات الإسلامية، والتحزبات الفكرية تفوق أتباعها فتُحيلهم من طلائع اصلاح إلى ركام تنظيري يُحيل أي مشروع عملي إلى شعارات معسولة وتمنيات واهية.

في خضم هذا الصخب الثقافي والهوس الفكري، تتصدر الحوزة العلمية مهمة الاصلاح العالمية، وتشارك جميع المدارس الحوزوية النجفية أو العاملية أو القمية وكذلك تلك المنبثقة في أرجاء العالم الإسلامي كالحوزة البحرانية أو القطيفية وغيرها، تشارك في محاولات برمجة المشاريع الاصلاحية الفكرية والسياسية، بما يلائم وطموحات الرؤية الإسلامية، والسعي من أجل انتشار الأمة من ورطة التحالفات الفكرية الأممية ونبذ المبتنيات الإسلامية الأصلية.

كانت الحوزة النجفية الرائدة في هذا المضمار، وقد تزعمت تلك الحركات الاصلاحية بما

ينسجم والمبدأ الإسلامي، وإذا كانت الدعوات الاصلاحية تشمل أي مشروع ثقافي فان المشروع الأدبي هو إحدى العيّنات الأساسية التي تعرضت اليها جهود الاصلاح، وكانت قيادة الحوزة العلمية قد تزعمت هذه النزعة الاصلاحية الأدبية، وخلقت من الغرض الأدبي مشروعاً يطمح لقراءة ذات الأمة وتوجهاتها، فقراءة تاريخية تتبناها القصيدة العربية هي في حد ذاتها اعادة تجديدية لقراءة التاريخ، وتحقيق في قضية عقائدية هو إحياء لمشروع فكري ثقافي، وهكذا كانت الحوزة النجفية، اصلاح دؤوب، وتجديد متواصل، وإذا كانت مقتضيات هذا البحث تستوجب معرفة الشخصية الاصلاحية كعينة في هذا المضمار، فان آية الله السيد محمد جمال الهاشمي مشروع اصلاحي تجديدي، ومحاولة أدبية رائعة

قدّم التاريخ الإسلامي "عرضاً وتحليلاً" في قرائته الشعرية، واستطاع أن يختزل الجهود التنقيفية المتمثلة في قراءة سيرة آل البيت (عليهم السلام) واسقضاء مجريات حياتهم، واحتلت سيرة الزهراء (عليها السلام) ومأساتها مساحة واسعة من مشروعه الأدبي وحاول أن يجد في المأساة الفاطمية التعبير الحقيقي عن هموم الأمة ومأساتها.

ان قراءة سريعة للجهد العلمي الذي بذله السيد محمد جمال الهاشمي يُطلعنا على مدى أهمية المشروع الأدبي الذي يؤسسه أمثاله فهو من طلائع العلماء المحققين ولا يلقي القضية التاريخية في مقطوعاته الأدبية إلاّ بعد تتبع علمي رائع، وجهد تحقيقي دؤوب، لذا كانت قصائده الفاطمية احدى الوثائق المهمة الشاهدة على مجريات الأحداث.

وردت ترجمته في مقدمة ديوانه كما يلي:

آية الله السيد محمد ابن آية الله العظمى السيد جمال الدين ابن الفقيه السيد حسين ابن الفقيه السيد محمد علي ابن السيد المؤمن ابن الشريف علي ابن السيد الجليل مسعود المعروف بعيشي، يرجع نسبه الشريف إلى ابراهيم المجاب ابن محمد العابد ابن الامام موسى الكاظم (عليه السلام). ولد في النجف الاشرف، نشأ في بيت علم وتقوى حيث كان والده من مراجع الدين في عصره ومن المعروفين بالزهد والتقوى. دخل منذ صباه الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وتلقى علومه في هذه الجامعة الدينية الكبيرة وأخذ مقدمات العلوم على اساتذة معروفين وتلقى دروس الخارج من الاصول والفقهاء لدى علماء كبار أمثال الشيخ

ضياء الدين العراقي، والسيد أبو الحسن الاصفهاني و والده (قدس الله اسرارهم) وغيرهم من علماء النجف ونال درجة الاجتهاد. قام بامامة صلاة الجماعة ليلاً في الصحن العلوي الشريف، وظهر في مسجد الرأس الواقع في الصحن العلوي، وصباحاً في داخل الروضة العلوية الشريفة. توفي في شهر ربيع الأول سنة 1397 هـ ودفن في وادي السلام إلى جنب والده رحمة الله عليهما.

له من الاثار العلمية ما يلي:

- 1 . الاخلاق في القرآن الكريم: دراسة جديدة في الاخلاق على نهج المدرسة القديمة.
- 2 . حواشي على حاشية ملا عبد الله في المنطق.
- 3 . حاشية على مطول التفتازاني.
- 4 . حاشية على كفاية الأخوند تقع في جزئين.
- 5 . حاشية على رسائل الشيخ الانصاري.
- 6 . حاشية المكاسب.
- 7 . تقارير بحث المحقق العراقي.
- 8 . تقارير بحث والده.
- 9 . رسائل في أهم المباحث الاصولية

10 . تفسير القرآن الكريم يبلغ عدة أجزاء لم يكمل.

11 . الادلة الشرعية عند الامامية.

12 . اصول الفقه.

فضلا عن آثاره الأخرى التي لم تطبع بعد.

له قصائد في النبي وآله صلوات الله عليهم، وكانت قصيدته "بنت الخلود" من أهم قصائده الرائعة التي نظمها في ميلاد السيدة الزهراء (عليها السلام) وقد تحدث عن عظمتها وقدسيتها فضلا عن مظلوميتها وقد عرّج على ما صح لديه من خبر إسقاط جنينها "المحسن" وكسر ضلعها.

اثبتنا القصيدة من ديوانه المطبوع مع النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم

السلام)(1).

* * *

[131] بنت الخلود:

شعّت فلا الشمس تحكيها ولا القمرُ
بنْتُ الخلود لها الاجيال خاشعَةٌ
زهراءُ من نورها الاكوانُ تزدهرُ
أُمُ الزمان اليها تنتمي العُصُرُ
روحُ الحياة، فلولا لطفُ عنصرها
لم تأتلفُ بيننا الارواح والصورُ

1- مع النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) ديوان السيد محمد جمال الهاشمي ص34. قم 1406 هـ.

سمت عن الأفق، لا روح ولا ملك
مجبولة من جلال الله طينتها
وفاقت الأرض، لاجن ولا بشرُ
يرفُ لطفاً عليها الصون والخفر
على الرجال نساءُ الارض تفتخر
منا المقاول أو تدنولها الفكر
خصالها الغر جلت ان تلوك بها

معنى النبوة، سرُّ الوحي، قد نزلت
حوت خلال رسول الله اجمعها
تدرجت في مراقي الحقِّ عارجةً
ثم انتنت تملأ الدنيا معارفها

* * *

في بيت عصمتها الآياتُ والسور
لولا الرسالةُ ساوى اصله الثمر
لمشرق النور حيث السرُّ مستتر
تطوى القرون عياءً وهي تنتشر

قل للذي راح يُخفي فضلها حسداً
أتقرن النور بالظلماء من سفه؟
بنتُ النبيِّ الذي لولا هدايتهُ
هي التي ورثت حقاً مفاخره
في عيد ميلادها الأملاك حافلةً
تزوجت في السماء بالمرتضى شرفاً
على النبوة أضفت في مراتبها
أم الأئمة من طوعاً لرغبتهم

وجه الحقيقة عنا كيف ينستر
ما أنت في القول إلا كاذب أشير
ما كان للحقِّ، لا عين ولا أثر
والعطر فيه الذي في الورد مدخّر
والحور في الجنة العليا لها سمرُ
والشمسُ يقْرُنُها في الرتبة القمر
فضلُ الولاية لا تبقى ولا تذر
يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر

قف يا يراعي عن مدح البتول ففي
وارجع لنستخبر التاريخ عن نبأ
هل أسقط القومُ ضرباً حملها فهوت
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت
ان كان حقاً فان القوم قد مرقوا
[132] وقال أيضاً في قصيدة غراء:

مديحها تهتف الألوأح والزبر
قد فاجأتنا به الانباء والسير
تأنُ مما بها والضلغُ منكسرُ
وراه نادبةً والدمع منهمرُ
عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا(1)

أي خطب يبكي عليه خطابي
آه يوم الزهراء أي فؤادي
لك في الدهر رنة رددتها

ومصاب قد شاب شهدي بصاب
علوي عليك غير مذاب
بخشوع أجياله واكتئاب

فهي نار تنذكي القرون ونور
وهي للمجد فيه للسا
غاب نور النبي وانقطع الوحي
وارتمى موكب الحياة وجاشت
فانطوى النور في ظلام كثيف
وانمحي الحق والصراحة لما
موقف أربك العصور فأخفت

رف لألأوه على الاحقاب
لك تبدو الصعاب غير صعاب
وخارت عزائم الاراب
نزعات النفاق في الاحزاب
نشرته جرائم الانقلاب
ساد عهد الضلال والارتياب
رأيها في القلوب والاهداب

1- المصدر السابق.

غضبة الحق ثورة تجرف الباطل
وإذا اللبوة الجريحة ثارت
شمّرت للجهاد سيده الاسلام
وأنت ساحة الجهاد بايما
حاكمت عهدا المدعى بقلب
لم تدع للمهاجرين وللانصار
واستعانت بالحق والحق درع
رجمتهم بالمخزيات فأبوا
حجج كالنجوم ينثرها الحق
فهي أما عقل وأما حديث
فتهاوت أحلامهم كصروح
آه لولا ضعف النفوس لما
ولما عادت الامارة للقوم
واستقرت هوج العواصف لما

في موج عزمها الوثاب
لهث الموت بين ظفر وناب
عن ذيل عزمها الصخّاب
ن يرد السيوف وهي نواب
واغر من شجونها لهاب
رأياً إلاّ انمحي كالضباب
من أمان وصارم من صواب
وهم يحملون سوء المثاب
ويرمي الشهاب أثر الشهاب
جاء عن نص سنة أو كتاب
شادها الوهم عالياً في السراب
استرجع ركب الهدى على الاعقاب
وحازوا إمامة المحراب
قابلتها سياسة الارهاب

عن سؤال لا هجمة من عتاب
بتلؤل من خزيمه وروابي
أظهر الكيد فكرة الانتخاب

لا خطاب من عادل لا جواب
ومذ انهارت الرجال وعادو
واختفى النص بالولاية لما

الصفحة
585

علقت في مواكب الاحقاب
تترامى بها بطون الشعاب
مثلتها عداوة "الاصحاب"
كي تحرق بيت الاكارم الاطياب.
وسقط الجنين عند الباب
بتيار ثورة الاعصاب
باختلاف الاعذار للاغتصاب(1)

أو قد الغدر في السقيفة ناراً
وتلاشى "الغدير" إلا بقايا
وتوالت مناظر مؤلمات
من هجوم الارجاس بالنار
وانكسار الضلع المقدس بالضغط
وانتزاع الوصي سحياً من الدار
واغتصاب الحق الصريح جماراً

1- وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) للسيد عبد الرزاق القرم: 147.

الصفحة
586

الصفحة
587

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

وُلِدَ الأدب الشيعي من رحم المأساة، وأنجبت هذه المأساة شعراء مجيدين كما انها أنجبت ابداعات الأدب الشعري، واستلهم الأديب روح المأساة التي حلت بآل البيت (عليهم السلام) ليترجمها أغراضاً شعرية يقدمها في مقطوعاته، لذا فان العبقرية الشعرية كانت استجابة لمعاناة الأديب، حتى صار الأدب الشيعي رافداً مهماً من روافد الأدب العربي، واذا تابعنا

نتائج الأدب الجاهلي فانها كانت لا تتعدى عن عرض أدبي يتفنن به الشاعر انتصاراً
لعصبية قبلية أو غرض شخصي أراد أن يعكس في مقطوعته تعبيراً

لما يعتلج في صدره، فلما جاء الإسلام سعى إلى عقلنة الأدب العربي ووجهه لصالح
السير الانساني الذي من خلاله تترجم متطلبات إنسانية تشارك في بناء الشخصية التكاملية
التي أرادها الإسلام، فصار الأدب الإسلامي مدرسة خاصة تحمل طموحات الأديب
العقائدية، وأضحى الأدب مشروعاً يعبر عن توجهات الأمة، ثم هو بعد ذلك يتوخى الابداع
الأدبي لأسلمة الأغراض الشعرية التي كانت أساساً تعبيراً عن معاناة خاصة يحملها الأديب
في نفسه، أو قضية عامة يصبو اليها المجتمع ليعكسها في أدبه.
والمشروع الأدبي الإسلامي بقدر ما هذب سلوكية الأدب المنفلته أيام العرب الجاهليين
فانه أضاف للابداع الشعري أغراضاً خاصة انطلقت للتعبير عن طموحات الأديب، فالشعر
القصصي مثلاً لم يكن قد تداوله الجاهلي بقدر ما اهتم برواية مشاهد يومية بسيطة، والثناء
الإسلامي الموجه لم يكن معروفاً بقدر ما كان الوقوف على الاطلال وبكاء أهلها الراحلين،
والوجدانيات لم تكن متعلقة بقدر ما كان الأديب ينفلت في الهجاء والتفاخر على غير بني
قومه، والعصبية القبلية برمجت حتى عواطف الشاعر لتوجهها إلى حرب باردة تجر فيما
بعد إلى قتال طاحن ونزيف دماء.

وإذا أضفنا رقماً آخر في حسابات البحث عن عقلنة الإسلام لأدب الأديب، فان الشعر
القصصي لم تعد قصصاً منسوجة في خيال الأديب، بل استحدثت الأدب الشيعي غرضاً
آخر يعبر عن طموحات قضية ليجعل من الأدب القصصي الخيالي، أدباً موجهاً علمياً
استخدم فيه قراءة التاريخ برنامجاً يوجه فيه قصيدته، ويعبر عن رؤيته الأدبية ضمن مشروع
تاريخي يستقرأ به تاريخ أمته، وينقل فيه مشاهداته التاريخية واستقرائه في

مقطوعاته، وكان استخدام القصيدة للتعبير عن استنتاجاته التاريخية قد نحى فيه منحى
علمياً موضوعياً جعل فيها الرواية الصحيحة التي اعتمدها وحدة الموضوع لقراءته، بل طمح
أن تكون قصيدته وثيقة تاريخية هامة، ومرجعاً علمياً معتمداً، وهذا ما حظى به الشاعر

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حيث عمد إلى توثيق تاريخ آل البيت (عليهم السلام) في قصيدة شعرية واحدة جعلها ملحمة تاريخية اعتمد الرواية الموثقة في سرد هذه الملحمة، وأكد على إعادة كتابة الرواية التاريخية على أساس موضوعي فضلاً عن الغرض الفني الذي اعتمده في أدبياته.

صاغ الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ملحمة آل البيت (عليهم السلام) على أساس الدراما القصصية التي تستهوي القارئ والسامع لمتابعة سياقات ملحمة الأدبية، وأكد على العنصر الفني استخداماً لبرمجة روايته التاريخية، وقدم التاريخ ليشارك فيه الأدب العربي قراءةً وتوثيقاً. عالج الشيخ عبد المنعم الفرطوسي اضطراب الرؤية التاريخية الإسلامية في مشروعه الأدبي هذا، وشخص مواطن هذا الاضطراب بما أرقته السياسة الحاكمة من تدوين التاريخ أو القاء القضية التاريخية بما يضمن الابقاء على قدسية النظام السياسي اللا مشروع، فاذا استطاعت الأمة قراءة سيرها التاريخي بوضوح دون إلتواء أو غموض وضحت لديها رؤية تاريخية كانت الذهنية الإسلامية بعيدة عن تصوراتها، فسعى الشاعر في ملحمة هذه إلى الجهود الفكرية التي تشارك في كسر الطوق التثقيفي المضروب على العقلية المسلمة.

ان أهمية ملحمة الشيخ الفرطوسي متأتية من شاعريته العلمية ومن علميته الشاعرية، فهو الأديب الشهير، والشاعر المجيد، والفاضل المحقق،

الذي ولد في النجف عام 1335 هـ (1)، وبدأ الدراسة عند نشئته، فقرأ المقدمات على أرباب الفضيلة، وأخذ الفقه والأصول على السيد محمد باقر الشخص الاحسائي، ولازم أخيراً حلقة السيد أبو القاسم الخوئي، واختلف على حلقة المرحوم الشيخ محمد علي الخراساني في الأصول، وقد برز في الأندية العلمية كفاضل أتقن المقدمات وطائفة من الفقه والأصول وهضم ما تلقاه من أساتذته حتى عد من أوائل فضلاء الشباب، وله آثار علمية شاهدها صاحب شعراء الغري وذكرها كالاتي:

1. شرح الاستصحاب من رسائل الشيخ الانصاري يقع في ألف صفحة.
2. شرح مجموعة الرسائل وهو نتيجة العهد الذي درس فيه على السيد الاحسائي وغيره.
3. شرح الجزء الأول من كفاية الأصول يقع في 800 صفحة.
4. شرح مقدمة المكاسب وصل به إلى كتاب المعاطاة.

- 5 . شرح شواهد مختصر المطول .
6 . منظومة في الاشكال والضابطة من علم المنطق في حاشية ملا عبدالله .
7 . ديوان شعره ويقع في أربعة أجزاء .
8 . الوجدانيات، مجموعة ذات ألوان وصفية ووجدانية من شعره .

1- راجع في ترجمته شعراء الغري 6 : 4 .

9 . نظم رواية الفضيلة لمصطفى المنفلوطي .
هذه جوانب شخصيته العلمية، وإذا أضفنا معاناته السياسية التي طبعت مشاريعه الأدبية وما لقيه من مضايقات الأنظمة الجائرة، مسحت أعماله الأدبية بصيغة تراتيجية حتى طغت مسحة الحزن والمعاناة على أغلب مقطوعاته فصار شعره معبراً عن معاناة الأمة كما هو معبر عن معاناته الشخصية أيضاً، لذا فأنك تجد أن ملحمة عن آل البيت (عليهم السلام) قد أخرجت مأساة الزهراء (عليها السلام) بصيغتها العلمية الكاملة فضلا عن اللون الأدبي الحزين الذي رافق مقطوعته الفاطمية، وكانت مسألة اسقاط المحسن (عليه السلام) قد أبدع في نقلها وتصويرها بما يضمن الابقاء على اللون الأدبي الذي ارتسمت به معالم الأدب الشيعي الحزين .
دعم قضية اسقاط المحسن بتحقيقاته المعروفة المتقنة .
ولكي تكتمل رؤية هذه المقدمة فان ملحمة الفاطمية نوردها لتشارك في تأكيد ما قدمناه .

[133] من مقطوعته الفاطمية قال:

كلمة أضمرها لها في الخفاء	غصبوا حقها جهاراً فأبدوا
وهي كانت من أقرب الأقرباء	أنكروا فرض إرثها من أبيها
فدكاً عن سلبية الأنبياء	حين صدوا ببدعة ونفاق
لأبيها محمد من عطاء	وهي ممّا أفاءه الله لطفاً

ناشدتهم بالله عهداً فعهداً
فتعاموا عن الهداية جهلاً
بعد ردّ منهم بما أثبتته
وعليّ وأمّ أيمن للزهراء
وكفى حجة على عهد طه
غير أن النفوس بالغي مرضى
بني قبيلة:

أن يفيقوا من سكرة الجهلاء
حين صمّوا عن منطق العقلاء
أنّها نحلة بخير ادّعاء
كانا من خيرة الشهداء
بيديها كانت بعدل القضاء
من قديم وما لها من شفاء

يا بني قبيلة أأهضم إرثي
وبمراي أنتم ومسمع مني
ولكم عدة وخير عديد
لا تغيثون صرخة من صريخ

من أبي جهرة بشر اعتداء(1)
في مكان دان بدون تتائي
وسلاح وسطوة الأقوياء
لا تجيبون عند وقت الدعاء

1- قبيلة: قبيلتنا الأنصار: الأوس والخزرج.

أفلستم وُصفتُمُ بصلاح
خير جند ونخبة قد حُببتم
أولستم قاتلتُم العرب كدأ
وقديماً كافحتُم دون وهن
حيث كنا وحيث كنتم جميعاً
قط لا تبرحون في كل حين
أفأنتم جنباً تفرون عنا
حين دارت رحي الرشاد ودرت
واستكانت للشرك ثغرة غي
وعرى فورة الضلال سكوتُ

وعُرفتم في نجدة وإباء
لبني أحمد بخير اصطفاء
وتحملتم عظيم العناء
أمة بعد أمة بمضاء
معنا في تعاون والتقاء
بائتمار لأمرنا وانتهاء
بفراق منكم بدون اتقاء
حلبة الدهر في معين الرواء
خضعت ذلّة بدون إباء
وتلاشت نار العمى بانطفاء

ونظام الدين استتم كمالاً
كيف حزتم بعد البيان وصرتم
ونكصتم بعد النهوض نكولاً
فشناراً لكم ويؤساً لقوم
أفتخشونهم من الرعب خوفاً
فاعملوا إنكم ستجزون عدلاً
بعد فوضى عمّت بكم وشقاء
بعد إعلانكم بهذا الخفاء(1)
ورجعتم للشرك بعد اهتداء
نكثوا عهدهم بدون وفاء
وهو أولى بالخوف والاختشاء
أجر أعمالكم بيوم اللقاء

1- حزتم: ضمتم حقنا اليكم.

الصفحة
594

وأأخذتم إلى الخفض لهواً
ودفعتم عنها الذي هو أخرى
وهو أولى بالبسط والقبض منهم
ونجوتم بالضيق من كل وسع
ما وعيتم مجتم ودسعتم
إن كفرتم ومن على الأرض طراً
وأنا قلت كل ذلك ردعاً
بعد علم مني بجذلة كفر
غير أنني من نفثة الغيظ أدلي
ولحزن من فيضة النفس يطغى
دونكم بالشنار فاحتقبوها
وهي موسومة من الله بالسخط
وعذاب الجحيم أسوأ عقبي
بعد جدّ في دينكم وعناء(1)
من سواه في منصب الخلفاء
بعد فقدان خاتم الأنبياء
وخلوتهم في رغبة وهناء
ما تسوّغتم من الارتواء(2)
فهو عن سائر الورى في غناء
لكم عن ضلالة الكبرياء
خامرتكم ورغبة ورياء(3)
ببيائي وشدة البرحاء
ولتقديم حجة بيضاء
نقبة دبيرة بدون وطاء(4)
ستبقى عاراً بدون انقضاء
ومآلاً لكم بيوم الجزاء

1- أخذتم: ملتم. الخفض: الخصب واللين.
2- الدسع: القيء. وتسوغ الشراب: شربه بسهولة.
3- الجذلة: ترك النصر. خامرتكم: خالطتكم.

4- احتقبوها: حملوها على ظهورهم. وذبر البعير: أصابته الديرة - بالتحريك - وهـ جراحة
تحدث من الرجل. والنقب: يقال نقب خف البعير، رق وتثقب.